

عبد الوهاب بوزقرو

# دوسرينا الملاحه





# روسيينا الملاحم

( ألفية المنستير )

شعر عبد الوهاب بوزقرو





بِسْمِ الْإِلَهِ أَقُولُ: الْحَمْدُ مُبْتَدَأٌ  
لِلَّهِ مُبْتَدِئُ الْأَكْوَانِ بِالنُّورِ  
مُسْتَمْطَرًّا رَحْمَةً مِنْ عَفْوِهِ وَرِضًا  
ثُمَّ صَلَاةً عَلَى الْمُخْتَارِ لِلْخَيْرِ  
يَا صَاحِبِ! دَعْنِي أُجِيزُ الْحَرْفَ يَسْبِقُنِي  
كَيْ يَنْشُرَ الْوَرْدَ فِي دَرْبِ التَّعَاطِيرِ  
فِي رَدِّ بَعْضِ جَمِيلِ لَسْتُ أَنْكَرُهُ  
مَهْمَا تَقَلَّبْتُ فِي صَرْفِ الْمَقَادِيرِ



## الإهداء

إِلَى الَّتِي بَقِيَتْ عَبْرَ الْعُصُورِ مِنَّا    رَا لِلْهُدَى، وَبِهَا قَدْ هَامَ تَفْكِيرِي  
أُهْدِي الْقَرِيضَ وَهَلْ يُجِدِي الْقَرِيضُ إِذَا مَا سِيقَ فِي بَلَدٍ مِثْلَ الْمُنَسْتِيرِ  
لَكِنِّي عَاجِزٌ، وَالْعُدْمُ أَقْعَدَنِي    أَنْشَدْتُ بِالرَّغْمِ مِنْ عَجْزِي وَتَقْصِيرِي

عبد الوهاب بوزفرو





# المصادر والمراجع

1	الدباغ، معالم الإيمان — (طبع المطبعة العربية التونسية 1320هـ.)
2	ابن أبي دينار، كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس — (الطبعة الأولى 1286 هـ بتونس.)
3	محمد بوزقرو، رباطات المنستير في خضم صراعات المسلمين (مخطوط)
4	محمد الطاهر عقي، المنستير عبر مواقع التجدير والتحرير (مطبعة بريمو 1989)
5	محمد الطاهر عقي، هذه هوية المنستير — منشورات اللجنة الثقافية المحلية بالمنستير. 1992.
6	عبد الله الزناد، المنستير عبر العصور (مطبعة لابراس 1987)
7	حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس (الدار التونسية للنشر)
8	محمد صالح الصيادي، المنستير، دراسة للتاريخ الاجتماعي في القرن التاسع عشر (تونس 1979)
9	محمد الهادي العامري، الشيخ الأكبر أبو عبد الله محمد زيتونة المنستيري، مقال منشور بمجلة مرآة الساحل عدد 22 السنة 6: جويلية 1971.
10	وثيقة حس الحاج أحمد بوزقرو.
11	Excursions en Tunisie (SOUSSE, Monastir, Mahdia, Enfidaville, El-Djem Kairouan) 1904-1905.
12	Hichem JAÏT et autres, Histoire de la Tunisie ; S.T.D.
13	Herbert W. ARMSTRONG, Les Anglo-Saxons selon la prophétie; edit EMBASSADOR COLLEGE. Pasadena, Californie, U.S.A
14	L'Indicateur Tunisien 1901.
15	ALPHA Encyclopédie universelle, Grange Batelière, France
16	Petit LAROUSSE 1976.
17	Dictionnaire LATIN- FRANCAIS, edit HATIER
18	محمد الشادلي النيفر، المازري الفقيه المتكلم وكتابه المعلم (اللجنة الثقافية الجهوية بالمنستير).
19	كتاب التاريخ السنة الثالثة ثانوي، للمدارس التونسية (طبعة العراق الشقيق). سنة 1980
20	أرشيف بلدية المنستير.
21	Léopold-Sédar SENGHOR et autres, L'Afrique africaine, imp. Suisse
22	Dr. DEYROLLE, Haouanet de l'île de la quarantaine (Monastir)

\* في الإحالات بالهامش نجد بين قوسين رقما بعد حرف الميم (م.3) هو رقم المرجع بالقائمة أعلاه.



## مقدمة

هَلْ لِلصَّبَابَةِ حَدٌّ فِي الْمَقَادِيرِ  
لِلَّهِ مِنْ دَنْفٍ، قَدْ شَفَهُ كَمَدٌ  
مَا بَالُ حُرْقَتِهِ لَا تَنْطَفِي أَبَدًا  
مَا زَالَ دَاعِيَةُ الْأَخْزَانِ يَأْخُذُهُ  
فِي حُبِّهَا ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ هَدْرًا  
لَا يُرْتَجَى أَبَدًا فَتَحْ لِمُغْلَقِهِ  
إِنَّ الصَّبَابَةَ دَاءُ النَّفْسِ مُدْخِلَتْ  
مَنْ لِي بِجَارِيَةٍ، أَعْكَائِهَا<sup>(١)</sup> خُلِجْ  
لَا الْأَفْقُ يَسْحَرُهَا، لَا الْبَحْرُ يَغْمُرُهَا  
وَالْحُسْنُ فِي مَقَةٍ<sup>(٢)</sup> يَرْجُو تَعْطِفُهَا  
جَاؤُوا يَلُومُونَهُ فِي حُبِّهَا فَرَأَوْا  
كَفُّوا الْعِتَابَ وَقَالُوا: لَسْتُ فِي خَطِإٍ  
إِنَّا عَشِقْنَا وَهَذَا الْقَلْبُ قَدْ مَلَأَتْ  
مِنْ فَاتِرِ اللَّحْظِ قَدْ بَانَ لَنَا سِمَةٌ  
جَلَّتْ مَجَاسِنُهَا عَنْ وَصْفٍ وَاصِفِهَا

أَمْ تِلْكَ شَنْشَنَةٌ أَجَلَتْ سَمَادِيرِي<sup>(٣)</sup>  
وَالْقَلْبُ مُشْتَعِلٌ جَمْرًا بَتْنُورِ  
كَالْعَيْظِ مِنْ تَرَةٍ فِي صَدْرِ مَوْثُورِ  
إِلَى غَلِيلٍ مِنَ الْآلَامِ مَسْعُورِ  
وَالْفِكْرُ مُنْذَهَلٌ فِي شِبْهِ مَخْمُورِ  
ضَاعَتْ مَفَاتِحُهُ فِي جَوْفِ عُصْفُورِ  
هَلْ مِنْ دَوَاءٍ؟ وَقَدْ حُمَّتْ مَقَادِيرِي!  
تَحْتَالُ مِنْ غَيْدٍ فِي رِقَّةِ الْحُورِ  
لَا الْفَجْرُ يَبْهَرُهَا مِنْ بَعْدِ دَيْحُورِ  
لَمْ يَلْتَفِتْ وَلَهَا، يَهْذِي كَمَسْحُورِ  
مِنْ عَشِقِهَا نُطْفًا فِي عَيْنِ مَبْهُورِ  
مِنْ حُبِّهَا، وَلَقَدْ أُبْنَا بَتْنُورِ  
أَرْكَائِهِ شُعْلٌ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ  
لَمْ نُلْفِهَا أَبَدًا فِي النَّزْلِ وَالذُّورِ  
كَالْمَاسِ فِي حُقِّهِ بِالْعِزِّ مَخْفُورِ

(1) «الشنشنه» هي الإدعاء والزعم و«السمادير» هي تخيلات وهواجس السكران (2) «الأعكان» جمع عكن وهي طيات اللحم من جهة البطن دلالة على النعمة والرواء، و«خُلِجَ» جمع خَلَجَ أي يَخْتَلِجُ (يترجج) وهي أيضا أحد جموع «خَلِيج» (3) «المقة» شدة الحب والوله.

يَرَعَاهُ صَاحِبُهُ حِفْظًا وَتَكْرِمَةً  
لَمْ يَلْمَسِ الْحُسْنَ فِيمَا قَدَحَوْتَ يَدُهُ  
وَالْحُسْنَ إِنْ ظَهَرَتْ أَسْرَارُهُ سَمَحَتْ  
وَالْكَشْفُ قَدْ زَادَنَا فِي فِتْنَةٍ كَلَفَّا  
وَإِنَّمَا امْتَلَأَتْ خَمْرًا جَوَانِحُهَا  
قُلْنَا، وَلَمْ نَقْلِ الْأَشْعَارَ عَنْ طَمَعٍ  
مَا دُرَّةٌ فِي حَقَاقِ الْعَاجِ أَمْلَحُ مِنْ  
لَمْ أَدْرِ!.. هَلْ غَادَةٌ إِنْسِيَّةٌ بَرَزَتْ  
جَاءَتْ إِلَى شَاطِئِي قَدْ نَامَ هَائِجُهُ  
فِي رَقْصَةِ الْمَوْجِ غَاصَتْ وَهِيَ فِي حُلْمٍ  
تَسَابُ سَابِجَةً فِي عُمُقٍ أَغْصَرَهَا  
فَالْفُلُكُ فِي رِقَةِ الْأَنْسَامِ جَارِيَةٌ  
وَالسَّعْدُ<sup>(4)</sup> فِي غَارِهِ قَدْ قَامَ مُبْتَسِمًا

مِنْ حَرْصِهِ قَدْ غَدَتْ عَيْنَاهُ كَالْعُورِ  
كَالْمَسْكِ يَحْمِلُهُ رَاعِي الْخَزَائِرِ  
وَالنَّفْسُ هَمَّتْهَا فِي كَشْفِ مَسْتُورٍ  
لَمْ نَسْتَطِعْ مَعَهَا ضَبْطَ الْمَعَايِرِ  
وَمَا رَوَتْ خَمْرَةً غِلًّا لِمَحْرُورٍ  
فِي وَصْلِ مَنْ خَلَطَتْ مِسْكًَا بِكَافُورٍ  
أَلْمَاسَةٌ ظَهَرَتْ مِنْ جَانِبِ السُّورِ  
أَمْ إِنَّهَا شَادَنٌ مِنْ تِلْكَمُ الْفُورِ<sup>(4)</sup>  
لَمْ تَلْقَ مِنْ مَائِرٍ فِيهِ وَلَا مُورٍ  
بِالْقَدِّ فِي أَلْقٍ بِالْمَسَاءِ مَغْمُورٍ  
وَتَنْسِجُ الْحُلْمَ مِنْ جَوْ الْأَسَاطِيرِ  
وَالْحُورُ سَابِجَةٌ فِي لُجٍّ «بُومْنِيرٍ»<sup>(5)</sup>  
كَيْ يَشْهَدَ الْحَفْلَ فِي مَقَامٍ «مَنْصُورٍ»<sup>(6)</sup>

(4) «شادن» غزال، و«الفور» الغزلان. (5) «بومنير» أحد المغاور البحرية بـ«سطح جابر» من الجهة القبلية لمدينة «المنستير» وبه مائدة حجرية في ارتفاع مترين تقريباً تحتها الأمواج في الصخرة من أبدع النقوش الطبيعية، وقع تغطيتها الآن بالحجارة في عملية حماية الساحل الصخري. (6) إشارة إلى «غار السعود» وهو أحد المغاور في مدخل ميناء «الكحلية» الآن، يأتي تحت مقام «سيدي منصور». (7) إشارة إلى مقام الشيخ «منصور بيزيد» الموجود على قمة «غار السعود» وبه تقام الوعائد وبعض الحفلات العائلية ومنها (وعدة إقامة سعد البنت التي لم تتزوج). وهو «منصور بيزيد المرباط» في أواخر القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر وقد كان برًا رحيماً وكان صديقاً للشيخ الصوفي عامر المزوغي صاحب زاوية «سيدي عامر»، وتُحكى عنه بعض الكرامات وما زال نسله إلى الآن وله مقام جليل على حافة البحر على «غار السعود» في مدخل ميناء «الكحلية» الآن.

«كَحَلِيَّةٌ»<sup>(٨)</sup> بَعَوَانِي الْحَيِّ مَائِحَةً  
 زَغَرْدَنْ حَتَّى أَتَتْ أَسْمَاكُهَا شُرْعًا  
 كَيْفَ السُّلُوءُ، إِذَنْ، وَالْقَلْبُ فِي كَلَفٍ  
 لَا الشَّيْبُ يَرْدَعُنِي عَنْ حُبِّهَا أَبَدًا  
 يَا نَفْسُ! فِي حُبِّهَا جِدِّي وَلَا تَهْنِي  
 لَا خَيْرَ فِي الْحُبِّ إِنْ كَانَتْ نَهَايَتُهُ  
 يَبْغِي مَبْتَرَدًا مِنْ حَرِّ «بَاخُورٍ»<sup>(٩)</sup>  
 تَرَعَى السَّوِيْقَ وَلَا تَخْشَى مِنَ الضَّيْرِ  
 مِنْ عِشْقِ غَانِيَةِ الْعُرِّ الْمَبَاكِرِ<sup>(١٠)</sup>  
 مَا سِتْرُ مَوْجِدَتِي فِي مَشْرِقِ النُّورِ؟  
 فِي نَشْرِ أَمْجَادِهَا، فِي عِشْقِهَا سِيرِي  
 فِي مَطْلَعِ الشَّيْبِ، أَوْ إِحْدَاثِ تَطْوِيرِ

(٨) «الكحلية» هي نَفَقٌ تحت الأرض منحوت في الصخر في الضفة الأخرى لجون «سيدي منصور» ويعتقد أنها كانت حَمَامًا بحرياً لوجهاء القوم، ثم أصبحت عمومية وكانت النساء يأتينها في الصباح الباكر للسباحة ويرمين بماء البحر «البسيصة» وهي السويق ملتوتا بالزيت فتأتي الأسماك تلتقطه وهي آمنة لا يصطادها أحد وهناك تقوم زغاريد النسوة متلهلة فرحا بقبول الهدية (٩) «الباخور» هي شدة الحرارة في الصيف بين أواخر تموز وأوائل آب ويسمى عندنا «أوسو». (١٠) مَبَاكِر (جمع مبكار) وهو المنتج والغزير الإنتاج.

## العهد البربري

قُمْ صَاحٍ وَأَشْدُدْ مَعِيَ فَخْرَ «الْمُنَسْتِيرِ» «رَأْسِ الْمَغَاوِرِ»<sup>(1)</sup> بَلْ غَارِ الْمَغَاوِرِ  
 فَخْرًا بِهِ طَرَبَ الْآثَامُ مُذْ ظَهَرَتْ آثَارُهُ تَبَعًا فِي شِعْبِ «تَنْتِيرِ»<sup>(2)</sup>  
 تُشْرِي رَصِيدًا كَانَ مِنْ زَمَنِ شُغْلِ الْأَسَاتِيدِ فِي فَهْمِ الْأَحَافِيرِ  
 حَارَ الْأُولَى دَرَسُوا تَارِيخَهَا مَا الَّذِي تُخْفِيهِ آثَارُهَا مِنْ دَارِسِ الدُّورِ  
 وَالْكُلُّ يُدْلِي بِقَوْلٍ غَيْرِ مُنْحَسِمٍ وَالرَّسْمُ كَاللُّغْزِ بَاقٍ دُونَ تَغْيِيرِ  
 هَلْ «بِرَبْرَ» حَفَرُوا فِي صَخْرِهَا غَرْفًا أَمْ عُمُرُهَا أَزَلَّ فِي عُمُرِ «أُحْفُورِ»<sup>(3)</sup>  
 أَمْ كَانَ سَاكِنُهَا مُسْتَعْمِلًا حَجَرًا فِي كُلِّ أَغْرَاضِهِ لَا قِطْرَ تَضْهِيرِ<sup>(4)</sup>  
 هَلْ كَانَ مِنْ بِيضِهَا؟ أَمْ زِنْجِهَا؟ وَلَقَدْ جَاءَتْ بِرَابِرُهَا مِنْ بَعْدِ تَعْمِيرِ<sup>(5)</sup>  
 فَالْكُلُّ مُحْتَمَلٌ فِي فَحْصِ مَا تَرَكُوا وَالْكُلُّ تَعَضُّدُهُ أَشْغَالُ تَحْفِيرِ

(1) «رأس المغاور» هي الترجمة لكلمة «روسينا» (Rush Penna) (روش = رأس؛ وبيننا = مغاور) وهي عبارة عبرية وفعلاً فـ«المنستير» رأس كثرت به المغاور والمحارِب في ساحله الصخري منه والرمل، فهو ليس بالشاطئ الممتد في استواء واحد. أو لعله بسبب المغارات التي كانت بحزيرة «الوسطانية» وهي ما يعبر عنها بـ«الحوانيط» فالبعض يرى أنها مدافن أو أماكن تُحْتَط فيها الحنائز بغمسها في البحر لتتشرَّب المِلْح ثم يقع حشوها بالحنوط ووضعها في النواويس؛ وقد تكون بعض النواويس المحفورة في جزيرة الغدامسي منها، وهي عبارة عن صناديق منقوشة في الصخر بما مكان للرأس على قدره والبقية للحسد على شكل الصناديق المحمولة من النواويس الحجرية. ولا يستبعد أن تكون طريقة فينيقية أتوا بها معهم من بقايا الحضارة الآشورية، (م. 22، Dr. DEYROLLE Haouanet de l'île de la quarantaine (Monastir) واستعملت بعد ذلك معزلاً للزمن عند الأوبئة. (2) «التنير» هو الشعب الذي عثر به على آثار رومانية سنة 1980 وجعل ذلك منعرجاً حاسماً في أذهان مؤرخي «المنستير». (3) بعض الأحافير دلت على عمر الأرض بـ«المنستير» وهو العهد الجيولوجي الثالث. من ذلك ما وجد في تربة منطقة الشعبة (آثار رخويات متحجرة لم تظهر إلا في العهد الجيولوجي الثالث)، أما الجزء القلبي فمن الواضح أنه من العهد الرابع. (4) إشارة إلى اكتشاف بعض الآلات الحجرية، والقطر هو البرنز (م. 8). (5) كلها احتمالات (م. 21)

و«الأفر»<sup>(6)</sup> إن سَكَنُوا «إفْرِينَةَ»<sup>(7)</sup> فَلَقَدْ  
 سَارَتْ قَوَافِلُهُمْ بِالْبَيْدِ يَحْرُسُهَا أُسْدٌ قَسَاوِرَةٌ مِنْ كُلِّ مَحْذُورٍ  
 هُمْ الطَّوَارِقُ لَا مَطْرَاقَ غَيْرُهُمْ إِنْ شَدَّ رَائِدُهُمْ فِي وَخْدَةِ السَّيْرِ<sup>(8)</sup>

(6) «الأفر» هم «اللوبيون» أو السكان الأصليون ومعنى (الأفر) حسب بعض الروايات (سكان المغاور). (7) «إفْرِينَةَ» الاسم الفينيقي لمكان اسمه إلى الآن هكذا، وهو النسبة من (أفر)=أفرين= أفرينا) وهذه الصيغة في النسبة معروفة في لغات الشرق القديم السامية منها بالخصوص وما زالت بقاياها بالعربية كإسكندراتي نسبة إلى الإسكندرية، ومعنى أفرينا (بلاد المغاور)، وتكون ترجمتها إلى اللاتينية «أفْرِيكَا» وهكذا ينطبق الاسم الفينيقي على الاسم العربي وهما من أصل لغوي واحد. (8) الطوارق جمع (طارقي): وهم قوم من برابرة الصحراء الملتئمين، وطارق الليل هو الغازي أو السارق. المطراق (مفرد المطاريق): قوافل الإبل الجادة في السَّيْرِ ، وَخْدَةُ السَّيْرِ : شدته وسرعته.

## العهد الفينيقي

يَاسَاحِلًا هَدَأَتْ خُلْجَانُهُ وَهَدَتْ  
بَحَّارَةً رَحَلُوا يَحْدُوهُمْ أَمَلٌ  
مِنْ «صُور» قَدْ خَرَجُوا يَبْعُونَ مَتَجَرًّا  
مِنْ «أَفْرِ إِفْرِينَةَ» قَدْ جَاءَهُمْ مَدَدٌ  
مِنْ عَهْدِ «إِفْرِينَةَ» «الْفِينِيقُ»<sup>(2)</sup> قَدْ سَكَنُوا  
«تَانِيتُ»<sup>(4)</sup> تَرْضَعُهَا وَ«بَعْلُ»<sup>(5)</sup> يَحْرُسُهَا  
مَا كَانَ أَجْدَرَهَا بِالْقُدْسِ إِذْ وَهَبَتْ  
بِالدِّينِ عَزَّتْهَا ، بِالْعِلْمِ رَفَعَتْهَا  
إِلَيْكَ قَدْ لَجَّوْا خَوْفَ الْأَعَاصِيرِ  
هَذَا غَنَاؤُهُمْ آتِيكَ مِنْ «صُور»<sup>(1)</sup>  
يَبْعُونَ مَتَجَرًّا لِّلْفَلَكِ وَالْعِيرِ  
يَبْنُونَ مَرْفَأَهُمْ فِي حِجْرِ مَخْجُورِ  
«قُرْطِيلُ»<sup>(3)</sup> عَنْ صُورَةٍ مِنْ أُخْتِهَا «تِير»<sup>(1)</sup>  
لَكِنْ مَرَجَعَهَا لِ«يَهُوَه الطُّور»<sup>(6)</sup>  
مِنْ وَلَدِهَا رَصَدًا لِلْعِلْمِ وَالنُّورِ  
شَمُّ أَشْأَوْسُهَا فِي نَصْرِ مَوْتُورِ

- (1) «صور أو تير» هي مدينة «صور» الفينيقية أو اللبنانية. (2) «الفينيق» (إله يوناني للطرب) والمقصود هم الفينيقيون، ولعلمهم سُموا هكذا لتطور فن الغناء عندهم، وهم يعتبرون أنفسهم من الكنعانيين. وهذه إشارة إلى حضارتهم بالمكان. (3) «قرطيل» بقايا مدينة فسيحة قديمة باسم (القرطيل: قرط = مدينة؛ وإيل = الله) وهو ما يفسر الحضور العبراني ومعنى (روسيينا)، وهي الآن جزء من غابة «المنستير» وما مسجد يسمى بهذا الاسم، وقد حرفه العامة فقالوا «قرطين»، ويظهر أن القلعة الرومانية المكتشفة بـ«التتير» جزء منها. (م. 10، وتفسير الدكتور محمد حسين فطر). (4) «تانيت» الإلهة المرضعة في حضارة الفينيقيين. (5) كبير الآلهة «بعل» (وهو إله قدم من عهد ما بين النهرين وانتقلت عبادته عن طريق التجار إلى فينيقيا) وذكره القرآن {وَإِنَّ إِلَاسَ لَبِمَنْ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (124) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (125) الصَّافَاتُ}. (6) «يهوه» (Jahvé) وهو (الله) ونسبته إلى الطور (طور سيناء) كون هذه الديانة هي اليهودية.



## الدور الإغريقي

لَكِنَّ قَرطَاجَ لَمْ تَهْنَأْ بِقُوَّتِهَا رَغَمَ التَّوَسُّعِ حَتَّى بَخِرَ بَلْبِيرُ  
 بَلْ قَامَ يُونَانٌ يَعْزُوهَا مُنَافَسَةً حَتَّى إِذِ انْهَزَمَتْ فِي حَرْبِ هِيمِيرِ<sup>(1)</sup>  
 قَامَ الْأَعَارِيقُ فِي عَجَبٍ بِدِينِهِمْ يَبْعُونَ نَشْرَهُ فِي قَلْبِ الْجَمَاهِيرِ  
 وَالنَّاسُ فِي دِينِهِمْ أَتْبَاعُ غَالِبِهِمْ فَصَارَ مُعْتَنَقًا دِينَ الْأَسَاطِيرِ<sup>(2)</sup>  
 طَابَتْ لَهُ أَنْفُسٌ حَتَّى اسْتَقَلَّ بِهَا فَهَانَ مَنْ أَجْلَلَهُ كُلُّ الْمَحَاضِيرِ  
 فَهُوَ الْحَقِيقَةُ فِي الْأَلْبَابِ لَا كَذِبًا وَهُوَ الْوَفَاءُ بِلَا مِثْنٍ وَلَا زُورِ  
 «زَيْوس»<sup>(3)</sup> إِذْ بَطِشَتْ «هيرا»<sup>(4)</sup> بِخِلْفَتِهِ فَالنَّاسُ مِنْ حُبِّهِمْ فِي كُلِّ مَعْمُورِ  
 يُهْدُونَ أَوْلَادَهُ، زُلْفَى وَ تَضْحِيَّةً مَا عَزَّ مِنْ وَلَدٍ، فِيهِمْ وَمِنْ دُورِ  
 أَهْدُوا «بَاخوس»<sup>(5)</sup> «رُوسِينا» وَغَابَتْهَا، وَالْكَرْمُ قَدْ أَثْمَرَ أَنْامِلَ النُّورِ  
 مِنْ خَمَرِهَا شَرِبُوا حَتَّى ارْتَوَوْا. وَأَتَوَوْا أَعْيَادَهُ أَمَلًا فِي الْيَمْنِ وَالْخَيْرِ  
 كَهَائِهِمْ عَزَفُوا أَلْحَانَهُمْ، وَ عَلَا صَوْتُ لِقَائِهِمْ مَعَ عَزْفِ طُنْبُورِ  
 تَرَوِي أَسَاطِيرُهُمْ حَرْبَ الْعُيُوبِ بِهَا مَأْسَاءُ أَبْطَالِهِمْ فِي حَرْبٍ مَقْدُورِ

(1) إشارة إلى الحرب التي خسرتها قرطاج ضد الإغريق سنة 480 قبل المسيح قرب هيمير بسواحل صيقلية (2) دين الأساطير المقصود به دين اليونان المبني على الأساطير ككل الأديان ولكن العنجهية اليونانية تقدمه على أنه الحضارة والحقيقة وما سواه البربرية والجهل. (3) «زيوس» «Zeus» كبير الآلهة في «أولمب» وهو أب «ديونيسوس». (م. 16). (4) «هيرا» عدوة «زيوس» وقد كادته في زوجته و ابنه «ديونيسوس». (م. 15). (5) «باخوس» إشارة إلى رواية تقول بأن «روسينا» مهداة إلى إله الخمر «باخوس» الذي هو «ديونيسوس». ويروي التاريخ أن عبادته شاعت في جميع الممالك الرومانية وقد قامت «روما» بمحاربة أتباعه منذ 186 قبل الميلاد. (م. 11 و 15).

«أَخِيلُ»<sup>(٦)</sup> لَمْ يَسْتَطِعْ تَحْقِيقَ رَغْبَتِهِ  
«أُولَيْسُ»<sup>(٨)</sup> لَوْ زَارَهَا وَعَادَ مُنْتَصِرًا  
مَا كَانَ تَحْقِيقُهُ إِلَّا مُنَاسِبَةً  
وَالنَّاسُ إِنْ لَعَبُوا مَلَهَاتِهِمْ فَلَقَدْ  
لَكِنَّ «يُونَانَ» قَدْ شَاخَتْ حَضَارَتُهَا  
رَغَمَ انْتِصَارَاتِهِ فِي حَرْبِ «هِكْتُور»<sup>(٧)</sup>  
مَقْدُورُهُ، هَكَذَا فِي شِعْرِ «هُومِير»<sup>(٩)</sup>  
لِدَوْرَةِ الرِّيحِ فِي فَصْلِ الْأَعَاصِيرِ  
أَغْرَاهُمْ رَغْدٌ فِي سُكْرِ تَخْمِيرِ  
وَبَاتَ مُرْتَقِبًا إِحْدَاثُ تَغْيِيرِ

(٦) «أخيل» هو البطل الرئيسي في «الإلياذة» (٧) «هكتور» هو سيد «عليون» أو طروادة (٨) «أوليس» أو «أوديسيوس» هو أحد أبطال الإلياذة وصاحب فكرة «الحصان» و بطل الأوديسية، و ذكر في الأوديسية وصف لمكان حبس فيه «أوليس» ينطبق على «روسيينا» انطباقا كبيرا وذلك من بنات العيال طبعاً، (٩) «هُومِير» هو الشاعر اليوناني الشهير «هوميروس» صاحب الإلياذة والأوديسية الذي قال في مدح شعره الشاعر الفرنسي «فيكتور هيقو»: «وُلِدَ العالمُ وغنى هوميروس إله كروان هذا السّحر».

## تراجع قرطاج

رُومًا الْوَرِيثَةَ لِلْيُونَانِ، عَنْ حَرَدٍ      قَادَتْ جِيُوشَ الْعَزْوِ وَالْتَّخْرِيبِ وَالْجُورِ  
 لَمْ تَدَّخِرْ حِيلَةً فِي السَّطْوِ تَحْبُكُهَا      ضِدَّ الَّذِينَ رَأَوْا عَرَفًا مِنَ الثُّورِ  
 صَبْرًا أَيَا «حَنْبَعْلُ» اصْمُدْ فَمَا وَهَنَ الْـ      مَغْزُؤُ مِنْ ضِعَّةٍ أَوْ خَوْفِ تَقْصِيرِ  
 لَا! «حَنْبَعْلُ»<sup>(١)</sup>! فَمَا بِالْجُنْدِ مِنْ طَمَعٍ      فَالْتَّبَلُ يَرُدُّهُمْ عَنْ سَلْبِ مَقْهُورِ  
 وَالْفُلْكَ قَدَمَخَرَتْ فِي اللَّجِّ وَافْتَخَرَتْ      بِالْقُوتِ قَدْ وَقِرَتْ كُلُّ الْعُنَابِيرِ  
 «قَرطَاجُ» قُومِي فَـ «رُوسِينَا»<sup>(٢)</sup> تَمُدُّ      كِ بِالْأَبْطَالِ وَالْعَوْنِ وَالْأَقْوَاتِ وَالْمِيرِ<sup>(٣)</sup>  
 لَا تَرْكَعِي لَصُرُوفِ الدَّهْرِ عَاجِزَةً      وَاسْتَجْمِعِي مَدَدًا مِنْ حُسْنِ تَدْبِيرِ  
 «دَلْنَدُ قَرطَاجُ» صَوْتُ الْعَدْرِ جَاشَ بِهِ      صَدْرُ الْبُعَاةِ عَلَى جَمْرِ بَتْنُورِ<sup>(٤)</sup>  
 «سَيِيُونُ» بِالْعَدْرِ قَادَ الْجَيْشِ مَنْتَهَزًا      فِي غَيْبَةِ الْبَطْلِ الْمَغْوَارِ بِالْعُورِ  
 «قَرطَاجُ» لَا تَهْنِي فَالْحَرْبُ فِي شَرَفٍ      خَيْرٌ مِنَ الْعَيْشِ تَحْتَ الْقَهْرِ وَالْجُورِ  
 خَوْضِي غِمَارَ الْوَعَى فِي عِزَّةٍ وَإِبَا      لَا خَيْرَ فِي دِعَّةٍ أَوْ عَيْشٍ مَقْصُورِ  
 يَا صَدْرَ بَعْلٍ إِذَا ضَاقَ الْفَضَاءُ بِمَنْ      يَرْمُونَ قَرطَاجَ فِي أُتُونِ تَدْمِيرِ  
 لَا تَرْكَعْنِ لِبُطْغَاةِ الرُّومِ عَنْ رَمَقٍ      لَا عِزَّ بَعْدَ إِبَا فِي قَيْدِ مَأْسُورِ

(1) إشارة إلى حروب «حنبعل» مع روما، ومدّ «روسينا» إياه بالرجال والعتاد. (2) «روسينا» الإسم الروماني للمدينة وتظهر فيه التركيبة العبرية. (يظهر أن كلمة (روس) الرومانية هي الغاية وليس هنالك معنى واضح لـ«بينا» وهكذا فهي ليست تسمية رومانية وإن لم تظهر إلّا في العهد الروماني). (3) إشارة إلى العون الذي أخذه «حنبعل» من «روسينا» في حروبه ضد «روما». (4) «دلندا كرتاقو» الكلمة التي قالها في غيظ الملك الروماني لغزوة «سبيون» بعد الهزيمة أمام «حنبعل»

«دِيدُونُ»<sup>(5)</sup> لَوَزَكَتْ مَا كَانَ يَحْسُدُهَا الرُّومَانُ فِي وَرَقٍ مِنْ أَرْضِ «إِيبِيرِ»<sup>(6)</sup>  
لَكَنَّا فَضَّلْتُ كَأْسَ الْحِمَامِ عَلَى أَسْرٍ تَذِلُّ بِهِ رَغْمَ الْمَعَاذِيرِ  
وَتِلْكَ مِنْ شَيْمِ الْأَحْرَارِ إِنْ غَلَبُوا فَالْمَوْتُ عِنْدَهُمْ خَيْرٌ مِنَ النَّيْرِ

(5) «دِيدُون» هي «عليسة» مؤسسة «قرطاج» والكلام من باب المجاز. فالتّي انتحرت هي زوجة صديري الذي فشل في ردّ هجمات الروم فانتحرت مرغية في النار بعد أن تخلّصت من أولادها حتّى لا يبقوا رهينة في أيدي الرومان.  
(6) «إيبير» هي «إسبانيا» وقد كانت لـ«قرطاج» مناجم الفضة بها.

## العهد الروماني

الْأَمْرُ لِلَّهِ! فَ«الرُّومَانُ» قَدْ مَلَكَوا مِنْ بَعْدِ «قَرطَاجَ» عَاجُوا «لِلْمُنْسْتِيرِ»  
 مِنْهَا «شَقَاقِصُهُمْ»<sup>(١)</sup> جَسْرًا بِهَا وَجَدُوا مِنْ عَهْدِ «إِسْكَندَر» قَبْلَ بَنَاءِ «السُّور»<sup>(٢)</sup>  
 عَاشُوا بِهَا زَمَنًا مِنْ خِصْبِهَا غَرَفُوا مِنْ عَطْرِهَا خَلَطُوا مِسْكًَا بِكَافُورٍ  
 إِنْ حَارَبُوا دِينَ «بَاحُوس» فَإِنَّهُمْ مِنْ كَرَمِهَا قَدْ رَوَوْا حَتَّى الْمَنَاحِيرِ<sup>(٣)</sup>  
 حَتَّى أَتَى «قَتِيُوسُ»<sup>(٤)</sup> الشَّهْمُ مُنْتَصِرًا وَاحْتَازَ فِي شَرَفِ إِسْمِ «الْإِبْرَاطُورِ»  
 قَامَتْ تُنَاكِدُهُ فِي حُكْمِهِ فِئَةٌ مِنْ بَعْدِ أُلْفَتِهِمْ فِي مُتَدَيِ «الْفِير»<sup>(٥)</sup>  
 فَكَّرَ يَطْلُبُهُمْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ حَتَّى غَدَا حَرِدًا وَالْقَلْبُ فِي ضِيرٍ  
 «يُولْيُوسُ!»<sup>(٦)</sup> أَقْبِلْ! فَ«رُوسِينَا» بِهَا مَدَدَ

لَا! لَا تَخَفْ حَرَجًا مِنْ قِلَّةِ الْمِيرِ  
 «بُومْبُوسُ!» لَا تَقْفَنْ فِي وَجْهِهَا أَبَدًا! لَا يَصْدُقْنَ دَائِمًا نَصْرُ «السَّنَاتِيرِ»<sup>(٧)</sup>  
 وَاعْنَمِ مُؤَازَرَةً فِي غَيْرِ مَفْخَرَةٍ وَلَا يَعْرِثُكَ تَأْلِيفُ الْعَسَاكِرِ

(١) «شقاقص» هي الكلمة اللاتينية لـ «سقانص» ومن معانيها: الممتد، والدرب المستقيم، والسلس «Séquan» وكذلك «شقانص» «Sequens» ومعناها التابع والذي يأتي بعد، فهي، إذن، ضاحية تابعة لـ «روسينا» وأقدم الآثار بها رومانية. (م. ١٧). (٢) أي قبل بناء سد «ياحوج وماحوج» بناء «الإسكندر» حسب روايات والمقصود الإشارة إلى القدم فقط (يقال في كلامنا الدارج «من عهد سيدنا إسكندر» أي قديم جدا). (م. ١). (٣) المناحير (جمع منحور) وهو أعلى الصدر (٤) «قَتِيُوسُ» هو «بومبوس» واسمه الكامل «قنيوس بومبيوس مغنوس» وحكم «روما» قبل أن ينور عليه «يوليوس قيصر». (م. ١٦). (٥) «الفير» هو مجلس نظر تكون من «بومبوس» و «كراسيوس» و «يوليوس قيصر» ويسمى «التريمفيرا» (Triumvirat). (م. ١٢). (٦) إشارة إلى لُحْوء «يوليوس قيصر» إلى «روسينا» وتقويه برجالها وانتصاره على خصمه «بومبوس» وإعلان نفسه إمبراطورا لـ «روما». (م. ١٢). (٧) «السنانير» جمع بالصيغة العربية لكلمة «سيناتور» وهم الشيوخ الذين يؤلفون مجلس الشيوخ في النظام الروماني (Sénat). (م. ١٢).

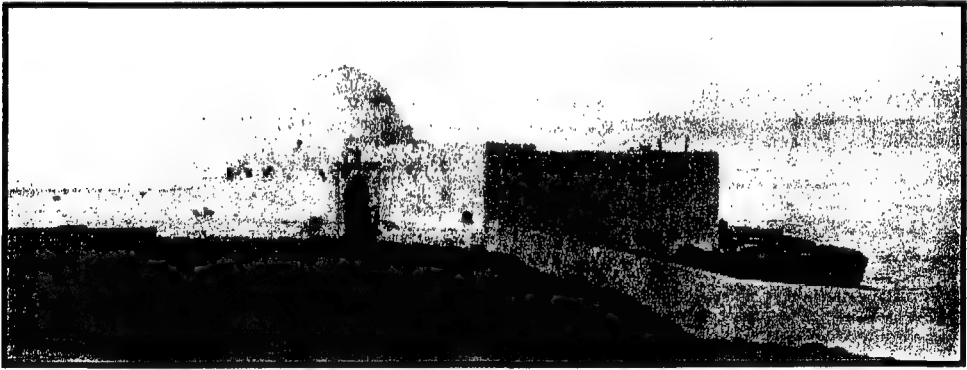
إِنَّ الْعِدَاءَ لـ«رُوسِينَا» شَقَاوَةٌ مَنْ  
«يُولْيُوسُ قَيْصَرٌ» إِذْ يَنْجُو بِمُعْجِزَةٍ

مَنْ كَفَّ «بُومْبُوسٌ» مِنْ خَلْفِ «الْقَنَاطِيرِ»<sup>(8)</sup>

فَقَدْ حَمَاهُ بـ«رُوسِينَا» أَشَاوِسُهَا  
«قَاطُونٌ أَوْتِيكَةُ»<sup>(9)</sup> انْصَرَفَ وَكُنْ حَذِرًا

«تَبْسُوسٌ»<sup>(10)</sup> إِنْ دُحِرَتْ، تَشْقَى بِمَحْذُورٍ

«بُومْبُوسٌ» لَمْ يَنْتَحِرْ، بَلْ فَرَّ مِنْهَزِمًا  
أَنْتَ الرُّوَاقِيُّ! لَا لَمْ تَنْخَزِلْ أَبَدًا  
فَالْمَوْتُ فِي عِزَّةٍ لِلنَّفْسِ أَهْوَنُ مِنْ  
هَلْ تِلْكَ مِنْ شِيْمَةِ الْعُرِّ النَّحَارِيرِ!  
فَلْتَنْتَحِرْ شِمَمًا مِنْ دُونِ تَأْخِيرِ!  
عَيْشٍ لِمُنْكَسِرٍ فِي الْقَيْدِ مَأْسُورٍ



(8) «القناطير» إشارة إلى القناطير القديمة المشار إليها في كتب المؤرخين. وقد تكون آثارها إلى الآن بالمطار الدولي بسقناص على ما يذكره البعض من سكان المنطقة ؛ ولعلها بعض القناطير التي كانت على الوادي المالح قبل تحويل مجراه في أشغال هبة المطار الدولي (م.1). (9) «قاطون أوتيك» هو «Caton d'Utique» كان واليا على «أوتيك» وهو من أنصار «بومبوس» على «قيصر» وحاربه بواقعة «تبسوس» فلما هزم «بومبوس» اتكا «قاطون» على سيفه حتى مات منتحرا على طريقة الرواقين «Les Stoïciens» في رباطة الحاشن. (م.16 و 12). (10) «تبسوس» هي «رأس ديماس» بـ«البقالطة» حيث ضرب «يوليوس قيصر» أعداءه الضربة القاضية. (م.12).

## روسينا القيصرية

يَا أَيُّهَا الرُّومُ «رُوسِينَا» مَدِينَتُكُمْ  
فَقَدْ أَقَامَتْ لَكُمْ فَخْرًا بُنْصَرَتَهَا  
«يُولْيُوسُ» لَمْ يَكُنِ الْأَوَّلَى بُنْصَرَتَهَا  
وَكَانَ يُمَكِّنُهَا نَصْرُ الْخُصُومِ، فَقَدْ  
لَكِنَّا هَا فَضَلَتْ «يُولْيُوسُ» تَنْصُرُهُ  
وَالْآنَ قَدْ أَصْبَحَتْ مِنْ بَعْضِ مَوَاطِنِكُمْ  
فَارْعَوْا لَهَا حَقَّهَا فِي كُلِّ مَفْخَرَةٍ  
فَالْعِزُّ عِزَّتُكُمْ، وَالذِّلُّ ذِلَّتُكُمْ  
فَشِيدُوا وَبَنُوا مَا كَانَ عِزَّتَهَا

إِنْ عَزَّهَا «قَيْصَرُ» مَحْدُ الْقِيَاصِيرِ  
إِذْ أَلْبَسَتْ «قَيْصَرًا» تَاجَ الْأَبَاطِيرِ  
لَوْ لَمْ تَكُنْ وَثِقَتْ بِاللَّصْرِ وَالْخَيْرِ  
عَزَّتْ بِمَوْقِعِهَا عَلَى الْمَغَاوِيرِ<sup>(1)</sup>  
لَطِيبَ عُنْصُرِهِ، وَحُسْنِ تَدْبِيرِ  
فِي حِفْظِهَا حَفْظُكُمْ مِنْ كُلِّ مَحْذُورِ  
لَا يَخْسُ الشَّهْمُ مَا عِنْدَ النَّحَارِيرِ  
وَالْكُلُّ مُحْتَسَبٌ طَيِّ الدَّفَاتِيرِ<sup>(2)</sup>  
فِيمَا أَتَى بَعْدَهُمْ مِنَ الْأَعَاصِيرِ<sup>(3)</sup>

(1) «المغاوير» جمع مغوار (مفعال) وهو كثير الإغارة، يقال بطل مغوار وأبطال مغاوير. (2) «الدفاتير» المقصود بها التاريخ المسجل. (3) «الأعاصير» جمع «أعصر» الذي هو نفسه جمع قلة لـ «عصر» أي الفترة من الزمن. وجموع القلة تجمع على صيغة منتهى الجموع. وسيعترضنا هذا الجمع في عدة مواضع أخرى.

## تنازع الرومان

الْمَوْتُ حَقٌّ وَلَكِنَّا نُبَاعِدُهُ  
 حَتَّى إِذَا مَا أَتَى أَلْفَيْتَ سَائِرَنَا  
 وَإِنَّهُ قَدَرٌ لَا يَنْثِنِي أَبَدًا  
 «يُولْيُوسُ» مَاتَ فَسَادَ الْخُلْفُ فِي خَلْفٍ  
 مَا كَادَ «أُكْتَا فُ»<sup>(1)</sup> يَنْهِي جَمَعَ فُرْقَتَهَا  
 لَكِنَّ بَرَبْرَهَا لَنْ يَرْضَخُوا فَلَقَدْ  
 هُمُ «الْأَمَارِيغُ»<sup>(2)</sup> مِنْ صَحْرَائِهَا رَضَعُوا  
 لَا يَصْبِرُونَ عَلَى ضَيْمٍ أَصَابَهُمْ  
 لَا يَرْكَعُونَ لِمَنْ يَرْجُو مَذَلَّتَهُمْ  
 يَهُونُ عِنْدَهُمُ الْعَالِي إِذَا غَضِبُوا  
 تَدُورُ أَيَّامُنَا دَوْرَ النَّوَاعِيرِ  
 مَا بَيْنَ مُنْقَطِعِ الْقَلْبِ وَمَدْعُورِ  
 عَنْ سَيْرِهِ بِحِجِّي أَوْ طُولِ تَفْكِيرِ  
 بَيْنَ الْحَفِيدِ وَ أَصْحَابِ «الْتَرَنْفِيرِ»  
 حَتَّى انْبَرَى قَدُمًا يَسْعَى لِتَطْوِيرِ  
 ذَاقُوا الْأَذَى زَمَنًا مِنْ ذَلِكَ النَّيْرِ  
 دَرَّ الشَّهَامَةِ مِنْ شُمِّ النَّحَارِيرِ  
 وَيَصْبِرُونَ عَلَى جُوعِ الْبَوَاقِيرِ<sup>(3)</sup>  
 حَتَّى وَلَوْ سَقَطُوا فِي شَرِّ تَخْسِيرِ  
 وَيَصْبِرُونَ لِمَا فِي الْحَرْبِ مِنْ ضِيرِ

(1) إشارة إلى الخلف الذي وقع بين الترمفيرات الثلاثة ومنهم «أوكتاف» حفيد «يوليوس قيصر». (م. 12). (2) «الأماريغ» هم البربر على حد تعبيرهم ومعناه الأسياد الأحرار وبعضهم يرجعهم إلى العرب العاربة من اليمن. (3) البواقي جمع باقور وهو جماعة البقر وجوع البواقي هو الجوع الشديد.



## حروب العصابات

«فِرْيُوسُ»<sup>(١)</sup> إِنْ يَنْتَصِرْ فِي جَوْلَةٍ فَلَدَى  
 حَرْبُ الْعَصَابَاتِ لَا يَسْطِيعُهَا أَبَدًا  
 وَالذُّعْرُ يُفْنِي جُيُوشًا مَا لَهَا عَدَدٌ  
 فِي الْبَيْدِ غَازِيَةٌ... فِي الْبَحْرِ قَرَصَنَةٌ  
 «تَكْفَارِنَاسُ»<sup>(٢)</sup> أَفَانِينَ الْمَخَاطِيرِ  
 جَيْشُ النَّظَامِ، وَلَا جَيْشُ ابِرَاطُورِ  
 وَالرُّعْبُ عُدَّةٌ مَنْ لَيْسَ بِمَقْهُورِ  
 أَتَيْنَ الْأَمَانَ أَيَّا «رُومًا» الْأَسَاطِيرِ؟  
 لِلْمَوْتِ وَالْأَسْرِ مِنْ رُومٍ وَمِنْ مُورِ<sup>(٣)</sup>  
 وَالتَّاسُ قَدْ ضَجَرُوا مِنْ دَفْعِ مُهْجَتِهِمْ

(١) «فريوس» هو القائد (Furius Camillus) الذي تغلب في المواجهة على «تكفاريناس» (٢) «تكفاريناس» البربري الثائر الذي لجأ إثر الهزيمة أمام «فريوس» إلى «حرب العصابات» (م. ١٢). (٣) «المور» (Maures) هم حيل من الناس سكن «شمال إفريقيا» قد يكونون من «الأمازيغ» أو فرقة منهم، والنسبة إليهم «موريسك» (Maurisque) وهم تسمت «موريطانيا». وما زالت تنسب إلى هذا الاسم بعض الأشياء كالحمام Bain maure لأن الأوروبيين عرفوه عن طريق «شمال إفريقيا»، والمقهى التركي Café maure. والكلمة في مقصدها لا تختلف كثيرا عما يدرسه اليوم مما يسمونه بالفن المورسكي.

## ظهور المسيحية

«عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ» نَادَى: (اللَّهُ رَبُّكُمْ) لَا تَرْكُنُوا أَبَدًا لِلْإِفْكِ وَالزُّورِ  
هَذَا خَلَاصُكُمْ قَدْ بَاتَ مُرْتَقِبًا هَيَّا أَقْدِمُوا وَاسْمَعُوا أَحْلَى التَّبَاشِيرِ  
وَاتْلُوا صَلَاتَكُمْ وَأَنْسُوا شَقَاوَتَكُمْ هَيَّا أَنْشِدُوا مَعَهُ سِفْرَ الْمَزَامِيرِ  
مَنْ يَزْرَعِ الشُّوكَ لَا يَحْصِدُ سِوَى حَسَكٍ وَيُكْشَفُ السِّرُّ فِي دَرَسِ الْبَيَادِيرِ  
رُدُّوا الْحُقُوقَ إِلَى أَصْحَابِهَا وَذَرُّوا مَنْ جَارَ يَحْصِدُ مَا يَأْتِي مِنَ الْجُورِ  
لَا تَرْكَعُوا أَبَدًا إِلَّا لِخَالِقِكُمْ مَا كَانَ ظَالِمُكُمْ يَوْمًا بِمَبْرُورِ  
وَالْمَوْتُ أَهْوَنُ مِنْ عَيْشٍ عَلَى مَضَضٍ فِي ظِلِّ طَاغِيَةٍ فِي شَكْلِ «أُمْبِيرِ»  
و«الْحَاذِلِيقُ»<sup>(1)</sup> إِذَا لَمْ يَسْتَقِمْ فَلَكُمْ «دُونَا»<sup>(2)</sup> يُعَلِّمُكُمْ سِرَّ الْمَقَاصِيرِ

(1) «الْحَاذِلِيقُ» أو «الكاثوليك» هي الكنيسة الرومانية التي تعطي الحق للإمبراطور في التصرف اللاحدود «اعطوا لله ما لله، واعطوا لقيصر ما لقيصر» ومنها قسموا الحياه والسلطة: السلطة الدينية والسلطة الزمنية، فجعلوا السلطان شريكاً لله في ملكه أو أن الله لا يملك الدنيا تعالى عن ذلك علواً كبيراً. (2) «دونا» هو أسقف «قرطاج» وقد ثار ضد الكنيسة الرومانية وابتدع مذهب الدوناتية الذي لا يقر بأن ما لقيصر لقيصر بل الكل لله وحده. لذلك حاربه الكنيسة الكاثوليكية، ووجد صدى في الأوساط الشعبية بـ «إفريقية التونسية». (م. 12 و 16).

## ظهور الزيف

الْحُكْمُ لِلَّهِ لَا «أَمِيرُ» يَجْهَلُهُ أَوْ مَنْ سَطَا بَطْرًا مِنْ «آلِ سِيفِير»<sup>(1)</sup>  
 وَ«سِيرِيَانُسُ»<sup>(2)</sup> قَدْ ضَحَّى بِشُرُوتِهِ فِي عِفَّةٍ وَتَقَاوَةٍ وَتَطَهَّرَ بِهَيْبَةِ  
 لِعَوْنٍ مُضْطَّهِدٍ فِي دِينِهِ وَمَرِيضٍ قَدْ نَسُوهُ لَطَاعُونَ وَكُؤَلِيرٍ  
 مِنْ بَعْدِ مَا حَدَثَ الْأَفْكَارُ وَارْتَكَسَتْ فِي غَفْلَةٍ سَدَرَتْ مِنْ دُونِ تَفْكِيرٍ  
 وَالنَّاسُ قَدْ خَرَجُوا عَنْ دِينِهِمْ وَغَوَوْا وَبَالَعُوا فِي زَخَارِيفٍ وَتَعْطِيرٍ  
 فِي عَرَضِ رُهْبَانِهِمْ بِالْقَوْلِ قَدْ وَقَعُوا رَمِيًا بِإِفْكَ وَتَنْجِيسٍ وَتَغْيِيرٍ  
 مَا كَانَ بُهْتَانُهُمْ تَلْفِيقٌ مُنْتَقِدٍ وَالطَّقُ فِي الْبَيْضِ مِنْ شَقٍّ وَتَكْسِيرٍ<sup>(3)</sup>  
 فَالْقَوْمُ لَمْ يَنْجَحُوا فِي كَبْتِ أَنْفُسِهِمْ عَنْ رَغْبَةٍ خُلِقَتْ مِنْ أَجْلِ تَغْيِيرٍ  
 أَوْ مِنْ دَنَائِيرٍ بِالْأَلْبَابِ كَمْ لَعِبَتْ لَمْ يَنْجُ مِنْ سِحْرِهَا أَعْتَى الْجَبَابِيرُ  
 وَدَاسَ «دَاسُ»<sup>(4)</sup> الْوَرَى فِي دِينِهِمْ وَسَطَا يَسُومُهُمْ فِي الْأَذَى كَيْلَ الْقَنَاطِيرِ  
 وَضَاقَ الْقَسُ فِي أَعْمَالِهِ ، وَنَأَى ذَاكَ الشَّرِيفُ بِتَغْيِيرٍ وَتَهْجِيرٍ  
 وَارْتَدَّ مَنْ ضَعُفَتْ فِيهِ عَقِيدَتُهُ وَقَامَ «نُوفَا»<sup>(5)</sup> بِتَسْهِيلِ التَّكَافِيرِ  
 أَعْرَى الْأَنَامَ بِفِعْلِ الْإِثْمِ مُرْتَمِيًا فِي مَهْمَةِ الْخُلْفِ مِنْ جَبْرٍ وَتَخْيِيرٍ  
 أَفْتَى لَهُمْ بِحَوَازٍ أَنْ يُبَارِكَهُمْ مُدْتَسُّ الذَّلِيلِ مِنْ إِثْمٍ وَمِنْ زُورٍ

(1) «آل سيفير» هم أسرة الأباطرة الذين حكموا البلاد في القرن الثالث للميلاد Sévères (م.12). (2) «سيريانس» هو القديس Cyprien أسقف «قرطاج» سنة 249 م. (م.12). (3) إشارة إلى مثلنا الشعبي «العظمة ما تقول طق إلا ما فيها شق». (4) «داس» هو الإمبراطور «داس» Déce الذي تفتن في التعذيب والإضطهاد. (م.12). (5) «نوبا» هو القس Novat الذي أسس بدعة أن المندس يُمكنه أن يُحافظ على مركزه الديني ولو دون توبة لأن التبرك للمسيح ولا يهم من يقوم به ، وكذلك يرى أن الذنوب تكفر دون حاجة لتوبة ويكفي شراء شهادة في التضحية (م.16 و 12).

لَأَنَّ تَبْرِيكَهُمْ فِي الْحَقِّ لَيْسَ لَهُ  
 فِي الدِّينِ لَمْ يَرْضَ «سَبْرِينَ»<sup>(2)</sup> بِهَرْطَقَةٍ  
 لَكِنْ «كَنِيسَةً» رُومًا لَيْسَ يُعْجِبُهَا  
 مَا اسْتَنْكَفَتْ مِنْ مَكِيدَاتٍ تُدَبِّرُهَا  
 بَلْ لِلْمَسِيحِ جَرَى عَلَى يَدِ الْغَيْرِ  
 تَلَاغُبًا بِمَصَالِحِ الْجَمَاهِيرِ  
 رَأَيْ الْأَفَارِقِ فِي تِلْكَ التَّدَابِيرِ  
 وَاغْتَالَتِ الْقُسُ سِرًّا دُونَ تَشْهِيرِ

## موقف روسينا

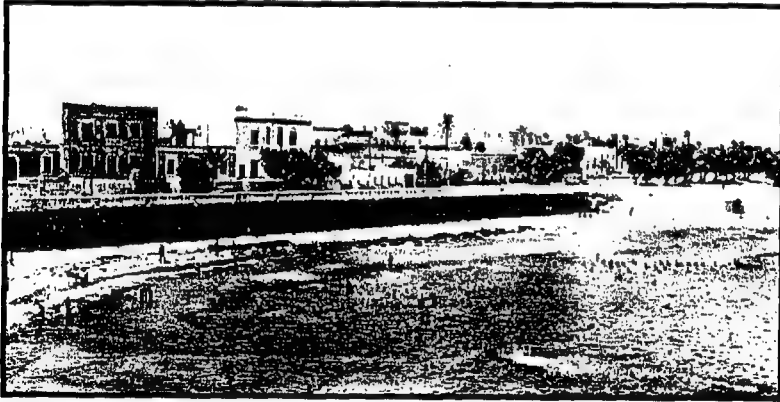
مَا هَكَذَا قَالَ «عَيْسَى» فِي بَشَائِرِهِ  
 الْحُكْمُ لِلَّهِ ، لَا لِلْقُسِّ يَصْرِفُهُ  
 هَذَا الْخَرِيفُ أَتَى وَالرَّيْحُ عَاوِيَّةٌ  
 «سَبْرِينَ» مَاتَ بِأَيْدِي الْعَدْرِ فَارْتَقِبِي  
 لَيْسَتْ دِمَاؤُهُ قُرْبَانًا يُخَلِّصُهُمْ  
 سَوْفَ يُيَكِّتُهُمْ رَبُّ السَّمَاءِ عَلَى  
 «رُومًا» الشَّقِيَّةُ خَانتْ فِي مَوَدَّتِهَا  
 مُحَاوَلَاتُ «دِيكْلِسَانَ»<sup>(2)</sup> لَوْنَجَحَتْ  
 لَكِنَّهُمْ عَبَرُوا فِي غَيْرِ مُعْضِلَةٍ  
 مَاذَا جَرَى يَا ثَرَى، فِي تِلْكَمُ الدُّورِ؟  
 فَاسْتَعْجِمِي الْأَمْرَ تَوًّا دُونَ تَأْخِيرِ  
 تَنْعَى عَزِيزًا عَلَى بَوَابَةِ الدَّيْرِ  
 نَكْثًا لِمَا غَزَلُوا، يَا شَرَّ تَدْبِيرٍ!  
 مِنْ إِيْتِمِهِمْ بَلْ رَدَى فِي قَعْرِ سَاعُورٍ<sup>(1)</sup>  
 دَيْنُونَةٌ وَعَلَى قَتْلِ الْمَعَادِيرِ  
 وَالرَّأْيِ، يَا بَلَدِي ! نَصْرُ الْبَرَايِرِ  
 لَكَانَ هَذَا «الْمَزَاقُ»<sup>(3)</sup> غَيْرَ مَعْبُورِ  
 وَأَنْتَهُبُوا مُدُنًا مِنْ غَيْرِ تَنْفِيرِ

(1) سَاعُور هي النار (والبيت كله تذكير بعقيدة نصرانية من أن دم المسيح المسفوح يُذل لخلاص الناس من الخطيئة)

(2) «دِيكْلِسَانَ» Dioclétien هو امبراطور القرن الثالث الذي حاول بعض الإصلاحات. (م. 12). (3) «الْمَزَاقُ» Byzacène وهي منطقة الوسط التونسي (الساحل والوسط الغربي). (م. 12).

## السلاح الأخضر

«جَلْدُون»<sup>(1)</sup> تَارَ عَلَى الطَّعْيَانِ مُمْتَشِقًا أَقْوَى سِلَاحٍ.. سِلَاحِ الْجُوعِ وَالْمِيرِ  
لَوْ أَمْسَكَ الْقَمْحَ عَنْ رُومًا وَجَوَّعَهَا؟ وَجُوعَ الْكَلْبِ يَتَّبِعُكَ عَلَى الضَّرِيرِ<sup>(2)</sup>  
أَيَا كُلُّ الْقَمْحِ أَسِيَادُ، وَزَارِعُهُ جُوعًا يَمُوتُ وَحَتْفًا غَيْرَ مَشْكُورٍ؟  
الْقِنْ أُولَى، فَدَعِ «رُومًا» يُنَازِعُهَا الْجُوعُ، وَهَاتِ الْقُمُوحَ لِلْجَمَاهِيرِ  
وَدَعِ مُجَوَّعَهَا يَشْقَى بِغُصَّتِهِ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَرْتَدِي جِلْبَابَ مَقْهُورٍ  
فِي الْقَيْدِ يَرْسُفُ، لَا تُنْجِيهِ مَرْتَبَةٌ قَدْ حَازَهَا آفًا بِالْمَكْرِ وَالزُّورِ  
«قُسْطَنْطِينِيَّةُ»<sup>(3)</sup> مَاذَا تَأْمَلِينَ وَقَدْ كَفَاكَ «جَلْدُون» فِي «رُومًا» الْأَبَاطِيرِ  
وَالْبُرِّ مِنْ «مِصْرَ» تَأْتِيكَ سَفَائِنُهُ وَجُوعُ «رُومًا» أَتَى أَحْلَى التَّقَادِيرِ  
وَالْمُلْكُ فِي الشَّرْقِ أَرْكَانُ لَهُ رَسَخَتْ وَالْعَرَبُ قَدْ هَزَّتْ «جَرْمَانُ بِافِير»<sup>(4)</sup>



(1) «جَلْدُون» Gildon القائد البربري الثائر في القرن الرابع. (م. 12). (2) إشارة إلى المثل العربي (جَوْعَ كَلْبِكَ يَتَّبِعُكَ). (3) إشارة إلى قيام الدولة البيزنطية ومنافستها لـ«روما». (4) «بافير» هو إقليم «بافاريا» Bavière هي المقاطعة الأوروبية التي خرج منها الجرمان على «روما» ومن غريب الصدف أنه نفس المكان الذي انعزل فيه «أدولف هتلر» للتخطيط لهجوماته على أوروبا في الحرب العالمية الثانية. (م. 16).

## نهاية الرومان

مَا مَاتَ «جَلْدُونُ» حَتَّى قَامَ يَحْكُمُهَا «هَرَقْلِيَانُ»<sup>(١)</sup> وَيَعْصِي أَمْرَ «آلِير»<sup>(٢)</sup>  
«هَرَقْلِيَانُ!» أَلَمْ تَسْمَعْ حَدِيثَهُمْ  
«هُونُورِيُوسُ»<sup>(٣)</sup> ضَعِيفٌ كَيْفَ تَنْصُرُهُ؟  
فَاخْرُجْ إِلَيْهِ وَلَكِنْ لَسْتَ مُنْتَصِرًا!؟  
يَا «بُونَفَاسُ»<sup>(٤)</sup> تَهَيَّأْ وَاحْتَمِلْ ثِقَلًا  
و«جَنْسَرِيْقُ»<sup>(٥)</sup> يَقُودُ الْحَيْشَ فِي عَجَلٍ  
أَوْ تَرْتَجِي مِنْهُمْ بَعْضَ الْمَنَاصِيرِ؟  
مَا تَرْتَجِي مِنْ مَلِكٍ جَدِّ مَقْهُورٍ؟  
«آلِيرُ» مَاتَ، وَبُؤْثَمَا بِتَخْسِيرٍ  
وَنَدَّالُهُمْ وَصَلُوا مِنْ أَرْضِ «إِيْبِير»  
لَمْ يَنْتَظِرْ أَمْرًا لِلْحَثِّ بِ«الْكُور»<sup>(٦)</sup>

(1) «هرقليان» هو Héraclien le comte d'Afrique والي الرومان على «إفريقية» (12.م). (2) «آلير» هو Alaric قائد الغجر الذين زحفوا على «روما» سنة 410 م. (3) «هونوريوس» Honorius آخر أباطرة «روما» قبل الغزو الوندالي. (4) «بونفاس» Boniface آخر كومت روماني بـ«قرطاج». (5) «جنسريق» «Genséric» ملك الوندال الذي وصل إلى «إفريقية». (6) «الكور» هو الجواد السريع.

## روسينا في عهد الرومان

عِيشِي بِزَيْتِكَ «رُوسِينَا!» فَمَرَّهْمُ  
مِينَاؤُكَ الرَّاهِرُ الْمَوْفُورُ أَمْتَعَةٌ  
فِي حَمَلِهَا فَائِضُ الْأَقْوَاتِ يَجْعَلُهَا  
وَالصُّوفُ يُنْسَجُ أَثَوَابًا مُزْرَكَشَةً  
وَالْمَالُ فِي دَوْرَةِ الْأَرْزَاقِ مُنْتَقِلٌ  
وَالنَّاسُ يَسْعَوْنَ فِي حَزْمٍ وَفِي مَرَجٍ  
دِيمَاسُهَا<sup>(1)</sup> لِعُضَالِ الدَّاءِ قَدْ وَصَفُوا  
وَالطِّفْلُ يَلْقَى بِدِيرِ الْخَيْرِ تَرْبِيَةً  
خَطًّا، حِسَابًا، وَتَارِيخًا، وَتَهْجِيَةً  
فِيرْتَقِي لِدُرُوسِ النَّحْوِ مِنْ أَدَبٍ  
«فِرْجِيلٍ» فِي الشَّعْرِ مَطْلُوبٌ دِرَاسَتُهُ  
إِنْ أَنْتَ لَمْ تَرُقْ فِي التَّعْلِيمِ مُجْتَهِدًا  
رِيَاضِيَّاتٍ لـ «فِيثَاغُور» تَذَكُّرُهَا  
تِلْكَ السَّمَاءُ، بِهَا أَفْلَاكُهَا بُرْجٌ<sup>(6)</sup>

سِحْرٌ، وَمَصْرَفُهُ لِلْأَكْلِ وَالنُّورِ  
هَذِي سَفَائِنُهُ تَخْتَالُ كَالْحُورِ  
تَكْفِيكَ شَرًّا وَفِعْلًا غَيْرَ مَبْرُورِ  
بِالْأَرْجُونَ صِبَاغًا غَيْرَ مَوْفُورِ  
بَيْنَ الشُّرَاةِ وَ مَا بَيْنَ السَّمَّاسِيرِ  
مِنْ أَمْنِهِمْ رَكِبُوا أَبْهَى الْمِيَاثِيرِ<sup>(1)</sup>  
مِنْ قَبْلُ، جَاءَ بِأَثَارِ الْبَيَاطِيرِ  
عَلِمًا يُلْقِنُهُ مِنْ «لِتْرَاتُور»<sup>(3)</sup>  
حَتَّى يَصِيرَ فَتًى مِنَ الشَّوْاطِيرِ  
لَدَى «النُّحَاة»<sup>(4)</sup> وَتَصْرِيفٍ وَتَعْبِيرِ  
و«شَيْشِرُونَ» وَ«أَثْيُوسُ» بِلَا مُورٍ<sup>(5)</sup>  
لَا تَعْجَبِينَ إِنْ أَهَنْتَ دُونَ تَقْدِيرِ  
وَهَنْدَسَاتُ الْأَسَاتِيدِ النَّحَارِيرِ  
هَلَا عَرَفْتَ بِهَا نَجْمَ النُّوَاطِيرِ؟

(1) «المياثير» جمع مياثر وهي السروج الوثيرة (2) «الديماس» هو الحمام الساخن Bain maure. (3) «لتراتور» Litterator وهو معلم الأطفال أو إن أردنا معلم الحروف. (م. 12). (4) «النحاة» Les grammairiens وهم أساتذة الدرجة الثانية. (م. 12). (5) «المور» هنا من المراوعة والدوران أي بدون لعب أو خداع وهو كناية عن جدية الأمر. (6) «برج» ظاهرة بارزة من برج يُرَجُّ بُرُوجًا - (البرج والبروج والأبراج).



وَالْفَلَسَفَاتُ أَلَمْ تَدْرُسْ بِهَا فِكْرًا  
وَالشَّعْرُ قَدْ بَاتَ فِي الْأَسْمَاعِ مُتَزِنًا  
«إِسْكَندَرِيَّا» وَ«تَمِينًا» وَ «تَعَشِيرَةً»<sup>(7)</sup>  
عَنْ «الْبَلِيغِ»<sup>(8)</sup> فَخُذْ بِلَاغَةً وَحِجِّي  
وَ كُنْ خَطِيئًا بَلِيغًا، مِصْقَعًا، أَلِقَا  
هَذِي الْمَسَارِحُ قَدْ قَامَتْ بِهَا نُخْبٌ  
أَعْمَالُ «تِيرِنُس»<sup>(9)</sup> لَا تُنْسَى مَقَالِبُهَا  
وَنُخْبَةٌ نَذَرَتْ لِلْحَقِّ أَنْفُسَهَا  
رَاجَتْ لَهُمْ طُرُقٌ فِي الْأَفْقِ قَدْ نُشِرَتْ  
وَالْمَكْتَبَاتُ بِهَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ  
وَهَكَذَا كُنْتُ «رُوسَبِينَا» مِهَادُ عَلُو  
«قَامَانَةٌ»<sup>(12)</sup> كُنْتُ فِي دُنْيَا الْفُنُونِ وَفِي  
قُدُسَتْ يَا بَلَدِي فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ  
مِنْ فَيْضِ «أَفْلُوطين» أَوْ «أَكْسَمَنْدِير»؟  
فَانْسِجْ عَلَيْهِ، وَقُلْ فِي غَيْرِ تَقْصِيرِ  
وَاجْعَلْ غِنَاءَكَ مَزْمُورَ الْحَنَاجِيرِ  
حَتَّى تَفُوزَ بِالْقَابِ الْمَشَاهِيرِ  
تَفُزْ بِمَا تَشْتَهِي عِنْدَ الْجَمَاهِيرِ  
تُمَارِسُ الْفَنَّ فِي أَجَلِي التَّعَايِيرِ  
فِي مَسْرَحِ الْهَزْلِ لَيْسَتْ بِالْمَهَازِيرِ<sup>(10)</sup>  
وَلِلتَّصَوُّفِ خُصَّتْ بِالْمَقَاصِيرِ<sup>(11)</sup>  
مَا زَالَ أَتْبَاعُهَا فِي كُلِّ مَعْمُورِ  
حَوَتْ نَفَائِسَ مِنْ أَعْلَى التَّحَارِيرِ  
مِ دَائِمًا مِنْذُ أَقْدَمِ الْأَعَاصِيرِ  
«تُوج»<sup>(13)</sup> رَقِيتِ إِلَى أَعْلَى الْمَنَابِيرِ  
عِنْدَ الْعَوَامِّ وَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالتُّورِ.

(7) «الإِسْكَندَرِي» (Alexandrain) هو الوزن الكامل الذي يبلغ شطره اثني عشرة رجلاً، و«التَّمين» (Octosyllabe) هو صياغة البيت من ثمانية أرجل فقط مثل بعض أناشيد فرجيل، و«التَّعَشِيرَةُ» (Décasyllabe) هي صياغة البيت من عشر أرجل. (8) «البلاغاء» Les rhéteurs وهم أساتذة الدرجة العليا. (م. 12). (9) «تيرنس» الكاتب المسرحي الإفريقي القرطاجي عاش بين 190 و 159 قبل الميلاد وعرضت مسرحياته بين 166 و 160 قبل الميلاد. (10) المهازير (جمع مهزور): المغبون. (11) «المقاصير» هي الغرف المنقورة بالجزر (الحوانيط) وقد استعملت للانقطاع والرهينة (وهو التصوف على الأفلاطونية الحديثة). بعد أن كانت في الأصل لطقوس جنائزية. (12) «قامانة» Camène وهي الجنية الموحية بالفن والإبداع وهي التي سُميت فيما بعد (Muse). (م. 16). (13) «التوج» Toge الكساء الفضفاض الذي يليسه الأساتيد المبرزون. (م. 12).

## عهد الوندال

يَا «جَنْسَرِيْقُ!» تَرَفَّقْ! هَذِهِ بَلَدٌ  
لَمْ يَقْضِ تَرْوِيْمُهَا<sup>(1)</sup> عَلَى حَضَارَتِهَا  
لَيْسَتْ «لِرُومَا» وَلَكِنْ لَسْتُ تَقْهَرُهَا.  
تَحْمِيكَ مِنْ «غَجَرَ»<sup>(2)</sup> قَدْ ذُقْتَ بِأَسْهُمُ  
هَذِي الْجَزِيرَةِ<sup>(3)</sup> خُذْهَا مَحْرَسًا وَبِهَا  
وَأَجْعَلْ بِهَا حَرَسًا يَحْمِيكَ مِنْ لُحْجِ  
إِنَّ الْبَرَاغَةَ قَدْ تَخُونُ صَاحِبَهَا  
فَالرُّومُ فِي الشَّرْقِ لَمْ يَسْنَحْ لَهُمْ عَمَلٌ  
تَثْلِيثُهُمْ خَطَأً، لَكِنَّهُمْ بَرَعُوا  
و«الْحَادِلِيْقُ» يَسُوْقُ النَّاسَ يَحْشُدُهُمْ  
لَكِنَّ مَسْأَلَةَ «الْأَرِيُوسِ»<sup>(4)</sup> مَا نَفَعَتْ  
فَاحْذَرِ إِثَارَةَ مَنْ لَمْ يَرْهَبُوا أَبَدًا  
أَوْ تَخْسِرِ الْكُلَّ فِي غَارَاتِهِمْ، وَلَقَدْ  
لَوْ كَوَّرُوا جَمْعَهُمْ فَالْمَوْتُ خَادِمُهُمْ

قَدْ شَادَتْ الْمَجْدَ بِالْعُرِّ الْمَعَاوِرِ  
بَلْ زَادَهَا أَلْقَا، كَالْكُحْلِ لِلْحُورِ  
فَانْزِلْ عَلَى سَعَةِ وَاطْفِرْ بِتَبْشِيرِ  
وَلْتَفْتَحْ صُحُفًا فِي غَيْرِ تَغْرِيرِ  
رَكْزِ طَلَاغٍ مِنْ غُرْمَخَاتِيرِ  
لَمْ تَنْحَصِرْ أَبَدًا فِي أَيِّ تَقْدِيرِ  
إِنْ لَمْ تَكُنْ صَدَرْتَ عَنْ حُسْنِ تَدْبِيرِ  
لِيَهْزُمُوكَ، وَلَكِنْ لَسْتُ فِي خَيْرِ  
فِي كَرْزِهِمْ جَعَلُوا شَتَّى الْمَعَادِيرِ  
لِيَغْضُوكَ بِتَجْهِيلٍ وَتَكْفِيرِ  
وَقَدْ عَزَوْهَا لِتَخْرِيْبٍ وَتَدْمِيرِ  
مِنْ جَيْشِ حَامِيَةٍ أَوْ حُكْمِ «أُمْبِيرِ»  
خَبَرْتَ بِأَسْهُمُ فِي غَيْرِ تَكْوِيرِ  
لَمْ يَرْهَبُوا أَبَدًا خَوْضَ الْمَخَاطِيرِ

(1) «الترويم» أو «الرومنة» هي لفظة مستحدثة مثل «تعريب» و«تونسة» و«وأورية» و«عولمة» و«أمركة» وهي صبغة كل شيء بالطابع الرومي أو الروماني الغالب. (2) «الغجر» هم «الفيزيقوت» Wisigoths الذين كانوا ينافسون الوندال بإسبانيا ويقلقون استقرارهم لأنهم رحل. (م. 12). (3) هي «جزيرة الغدامسي» وبها قبور «الوندال» إلى الآن. (م. حفريات قصر ابن الجعد). (4) «الآريوس» هو Arius وهو مؤسس المذهب القائل بعدم التثليث وعدم ألوهية المسيح، وأتباعه هم الأريسيون les ariens. (م. 16).

وَالْعَزُو لَا يَنْفَعُ الْأَبْطَالَ إِنْ فَقَدُوا  
لَكِنَّمَا الْجَشَعُ الْمَمْقُوتُ يَغْلِبُنَا  
فَابْحَثْ لَكَ الْآنَ عَنْ حِصْنٍ يَرُدُّهُمْ  
وَالْعَزُو يَزْرَعُ أَحْقَادًا وَمَوْجِدَةً  
لَنْ تُفْلِحَ الْيَوْمَ فِي تَخْضِيدِ شَوْكَتِهِمْ  
مَاذَا وَرِثْتَ «هَنْتْرِيقُ»<sup>(6)</sup> بِلَا حَسَدٍ  
و«هَلْدَرِيْقُ»<sup>(7)</sup> يَرَى بَنِي عُمُومَتِهِ  
إِنْ مُتَّ مِنْ كَمَدٍ فَالْمَلِكُ يَأْخُذُهُ  
و«جُنْدَمَنْدُ» ضَعِيفُ الرَّأْيِ مُفْتَقِرُ  
«تِرَاسْمَنْدُ»<sup>(9)</sup> تَرْفُقُ لَا تَكُنْ عَجَلًا  
وَانْظُرْ لِعَرْشِكَ «قَابَاوُونُ»<sup>(10)</sup> زَعَزَعَهُ  
لَوْلَا حَصَانَةُ «رُوسَبِينَا»<sup>(12)</sup> وَ مَوْقِعُهَا

شَعْبًا يُؤَاوِرُهُمْ حَتَّى بِتَوْقِيرِ  
يَرْمِي بِنَا صَلَفًا فِي قَعْرِ مَطْمُورِ  
إِذْ لَمْ تُحَازِرْ مَضَاغِينَ الْبَرَايِرِ  
لَنْ تَمَحِيَ أَبَدًا مِنْ ذَهْنِ «كُلْثُورِ»<sup>(5)</sup>  
وَلَا بَنُوكَ يَرَوْنَ غَيْرَ الْفَوَاقِيرِ  
مُلْكًا مُقَامًا عَلَى قَتْلِ وَ تَذْمِيرِ  
مَا بَيْنَ مَنْ غَدِرُوا أَوْ فِي الْمَنَاحِيرِ  
لِـ«جُنْدَمَنْدُ»<sup>(8)</sup> تَقَالِيدُ الْبَوَاكِرِ  
لِمَنْ يُجَنَّبُهُ مَكْرَ الْأَحَافِيرِ  
إِنَّ التَّعَصُّبَ مِنْ أَشَقَى التَّدَابِيرِ  
فِي وَقْعَةِ النَّحْسِ نَكْرَاءُ الْمَنَاقِرِ<sup>(11)</sup>  
لَكُنْتُ مُنْطَرِحًا بَيْنَ الْمَعَافِيرِ

(5) «كلثور» Cultor وهو الفلاح. (م.12). (6) «هنتريق» Hunéric هو ابن «جنسريق» الذي ملك من 477 م إلى 484 م. (م.12 و 14). (7) «هلدريق» هو ابن «هنتريق» الذي لم يصل إليه الملك إلا بعد أبيه بمدة وخلعه ابن عمه «جلمار» (م.14). (8) «جندمند» هو خليفة «هنتريق» وإن لم يكن ابنه لأنه كبير العائلة وهذه أحكام تقاليد البكورة. (م.14). (9) «تراسمند» هو خليفة «جندمند» وقد كان رغم ثقافته الواسعة متعصباً للأريسيين. (م.12 و 14). (10) «قاباوون» قائد البربر في «طرابلس» الذي هزم «تراسمند» وطارده حتى بـ«روسبينا». (م.12 و 14). (11) هي واقعة «طرابلس» بين الوندال و«لواتة» حيث هزم الوندال وتعقبته «لواتة» إلى «روسبينا». (12) إشارة إلى التحاته إلى «روسبينا» وتمكنه من الرجوع إلى «قرطاج» ، و«روسبينا» من المدن القلائل التي لم يهدم الوندال سوارها. (م.14).

يَا «هَلْدَرِيقُ» أَمَا يَكْفِيكَ مَهْزَلَةٌ أَنْ تُتْرَكَ الْحَيْشُ فِي أَيْدِي «عُؤَيْمِرٍ»<sup>(13)</sup>  
و«أَنْطَلَّاسُ»<sup>(14)</sup> يَقُودُ الْحَرْبَ مُعْتَمِدًا عَلَى «لُؤَاةٍ»<sup>(15)</sup> أَبْطَالٍ غَضَافِيرِ  
إِنْ يَهْزِمُوكَ فَ«رُوسِينَا» تَكُونُ لَهُمْ نَعَمَ الْحَصَّانُ لَدَى قَوْمِ نَحَارِيرِ  
وَالْفَاسُ قَدْ وَقَعَتْ فِي الرَّأْسِ فَانْجُ وَكُنْ دَوْمًا عَلَى حَذَرٍ مِنْ دَوْرَةِ الدُّورِ

(13) «عُؤَيْمِر» ابن أخ «هَلْدَرِيقُ» وقد قاد الحِيشَ إلى الهُزائم. (م.14). (14) «أَنْطَلَّاسُ» قائد الربر الذي هزم «عُؤَيْمِر» بـ«رُوسِينَا». (م.14). (15) «لُؤَاةُ» قبيلة بربرية وهي من جند «أَنْطَلَّاسُ» التي دخلت «رُوسِينَا» لطرد الوندال. (م.14).

## نهاية الوندال

«جِلْمَار»<sup>(١)</sup> مَا جَمَعَ الْوَنْدَالَ يَحْكُمُهُمْ وَ«أَنْطَلَّاسُ» بِرَأْسِ الْغُورِ كَالْغُورِ<sup>(٢)</sup>  
يَا «جِلْمَارُ» أَلَا لَا تَفْرَحَنَّ أَبَدًا

فـ«الْصُّفْرُ»<sup>(٣)</sup> قَدَرَكُبُوا مِنْ بَحْرِ «بُوسُفُورِ»<sup>(٤)</sup>

«جُسْتِنِينَ»<sup>(٥)</sup> إِذْ يَدْعِي رَدَّ الْحُقُوقِ إِلَى  
وَالْبَحْرِ مَا جِ بِمَا سَارَتْ بِهِ سُفُنٌ  
وَالْكُلُّ يُثْنِي عَلَى أَخْلَاقِ «بَلْزِيرِ»<sup>(٦)</sup>  
وَأَجْهَكُمْ حَظُّكُمْ جَهَمَ الْأَسَارِيرِ  
كَذَلِكَكُمْ ، وَأَمَحُوا مِنَ الدَّفَاتِيرِ  
أَوْ أَنْتَ فِي «دَرَبَةِ السَّيْفِ»<sup>(٧)</sup> بِمَنْصُورِ  
فِي فَكِّ أَرْصَادِهِ مِنْ حُسْنِ تَذْيِيرِ  
وَهَكَذَا دُولٌ تَجْتَثُّهَا دُولٌ  
فَالْحَقُّ : أَعْجَبَهُمْ زَيْتُونُهَا ، وَلَقَدْ  
فَلْتَخَتَفُوا وَكَأَنَّ لَمْ تَحْكُمُوا أَبَدًا  
لَا «أَمَطَّاسُ»<sup>(٨)</sup> بِصَامِدِ أَمَامَهُمْ  
«سَلْمُونُ»<sup>(٩)</sup> دَاهِيَةً ، لَنْ تُفْلَحُوا أَبَدًا  
مِنْ بَعْدِ قُوَّتِهَا تَنْهَارُ كَالْجِيرِ

- (1) «الغور» الأول هو الحرف المرتفع عن سطح البحر كالغور بالوادي؛ و«الغور» الثاني هو «الغول» قلبت لامه راء للمشكلة اللفظية والقافية (2) «جلمار» هو آخر ملوك الوندال الذي ثار على «عونيمر» و«جندمند» لكنه لم يستطع تخضيد شوكة البربر. (م. 12 و 14). (3) «الصفير» أو بني الأصفر هم الروم الشرقيون (البيزنطيون) كما يستعملهم العرب. (4) «بوسفور» إشارة إلى إقلاع قوات «بليعازر» أو (بليزار) من «مضيق البوسفور» لبحر «جلمار». (م. 12 و 14). (5) «جستين» هو Justinien امبراطور بيزنطة الذي غزا الوندال مدعياً رد الملك لـ«هلدرين» الملك الشرعي. (م. 12). (6) «بلزير» (بليزار أو Bélisaire) قائد القوات الرومية ضد الوندال. (م. 12 و 14). (7) «أمطاس» Ammatas وهو أخ «جلمار» ونائبه بـ«قرطاج» وقد مات بواقعة «دربة السيف». (م. 12). (8) «دربة السيف» موضع جنوب «حمّام الأنف» حيث تركز الجيش الرومي. (م. 12). (9) «سلمون» Salomon وهو أحد بطارقة الروم الدهاة. (12.م).

## العهد الرومي

و«الدِّيسْمُومُ»<sup>(١)</sup> غَدَا لِلرُّومِ مَفْخَرَةٌ قَدْ جَدَّدُوا مَعَهُ حُكْمَ الْقَيَاصِيرِ  
 فَقَامَ قَائِمُهُمْ يَبْنِي الْحُصُونِ وَقَدْ كَانَتْ مُحَطَّمَةً مِنْ سُوءِ تَدْبِيرِ  
 أَعْلَى، وَعَزَّزَ بِالْأَبْرَاجِ مُحْتَسِبًا غَزَوْا يُلَاحِقُهُ رَعْمُ التَّعَازِيرِ  
 وَبِالْجَزِيرَةِ شَادَ «الْقَصْرُ»<sup>(٢)</sup> زَيْنُهُ فَسَيَفِسَاءُ كَقَصْرِ الْإِمْبِرَاطُورِ  
 «سَلْمُونُ» قَدْ زَارَهُ لِلوُثْبِ مُنْتَهِزًا لِفَرْقَةٍ نَجَمَتْ بَيْنَ الْبَرَابِيرِ  
 أَذْلَهُمْ وَبَغَى دَوْسًا لِحُرْمَتِهِمْ تَأْخِيرَ رَاتِبِهِمْ دُونَ الْمَاجِرِ  
 فَاسْتَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ، وَثَارَ ثَائِرُهُمْ لَوُثْبَةِ الْفَتَكِ فِي عُنْفِ الْهَيَاصِيرِ<sup>(٣)</sup>  
 وَرَاجَ فِي الْحَيْشِ عَصِيَّانٌ وَبَلْبَلَةٌ وَفَرَّ «سَلْمُونُ» خَائِفًا لـ «بَلْزِيرِ»  
 فَكَانَ أَنْ جَاءَ «جِرْمَانُوسُ»<sup>(٤)</sup> يَخْضِدُهَا وَيُرْجِعُ الْحُكْمَ فِي «وَالِي الْبِرِيْتُورِ»<sup>(٥)</sup>  
 لَكِنَّ «سَلْمُونُ» لَمْ تَنْفَعُهُ تَجَرِبَةٌ بَلْ خَانَ عَهْدَهُ مَعَ شَيْخِ الْبَرَابِيرِ  
 وَسَامَ خَسْفًا فَرِيقًا مِنْ «لُؤَاثَةٍ» فَأَنْبَرُوا يُعِدُّونَ ثَابَاتٍ لِمَوْثُورِ  
 وَقَامَتِ الْحَرْبُ وَاسْتَعْصَتْ عَلَى رَجُلٍ لَمْ يُدْرِكِ السَّرْفِ فِي نَفْسِ النَّحَارِيرِ  
 مَنْ ذَاقَ حُرِّيَّةً لَنْ يَرْضَى أَبَدًا عَوْدًا لِرِقٍّ وَتَعْذِيبٍ وَتَسْخِيرِ  
 وَمَاتَ «سَلْمُونُ» مَقْهُورًا بِبُغْضِهِ يَا ضَيْعَةَ الْعُمْرِ فِي الْإِعْسَارِ وَالْمُورِ!

(١) «الدِّيسْمُومُ» Ad Décimum موقع المعركة التي سقط فيها الوندال في أيدي الروم. (م. ١٢). (٢) إشارة إلى القصر الرومي المعتبر عليه بـ «جزيرة الغدامسي» المبنى على القبور الوندالية. (م. حفريات قصر بن الجعد). (٣) «الهياصير» جمع «هياصر» التي هي جمع غير قياسي لهصور وهو الكاسر من هصر يهصر، كسر يكسر. (٤) «جرمانوس» Germanos وهو البطريق الذي أرجع الأمور لحكم الإمبراطور وأعادها إلى «سلمون». (م. ١٢). (٥) «والي البريتور» Préfet de Prétoire وهو «سلمون» لكنه خان عهد «أنطلاس» شيخ البرابرة. (م. ١٢ و ٣).

يَا «سَرْجِيُوسُ»<sup>(6)</sup> إِذَا مَارُمْتَ مَكْرَمَةً فَالْعَدْرُ مَنْقَصَةٌ. يَا شَرَّ مَعْرُورٍ!  
و«أَيْرِينْدُ»<sup>(7)</sup> كَذَا، مَا كَانَ أَسْعَدَ مِمَّنْ خَاضَ حَرْبًا وَعَادَ غَيْرَ مَنْصُورٍ  
لَكِنْ إِذَا جَاءَ «يُوحَنَّا»<sup>(8)</sup> بِهُدْنَتِهِ مَعَ «أَنْطَلَّاسَ» فَلَمْ يَكُنْ بِمَدْحُورٍ  
فَالْبَرْبَرِيُّ أَمِينٌ فِي صِدَاقَتِهِ مَقَامَ عَنْ عَهْدِهِ لَيْسَ بِمَبْثُورٍ  
لَكِنْ «بِيَزْنُطَةَ» لِلرَّقِّ قَدْ رَجَعَتْ تَهْذِي بِرَفْعَتِهَا فِي طَيْشٍ مَعْرُورٍ  
وَفَاسِدُ الطَّبْعِ لَا تُرْجَى اسْتِقَامَتُهُ وَالْحَرْبُ قَدْ رَجَعَتْ تَوًّا لِتَسْجِيرِ

(6) «سرجيوس» هو Sergius وهو البطريق الذي خلف «سلمون» وانشزل عن «أيربند». (م.12). (7) «أيربند» هو Aérobinde البطريق الذي خلف «سرجيوس». (م.12). (8) «يوحنا» هو Jean Trogliata بطريق «إفريقية» بعد «أيربند». (م.12).

## روسينا البيزنطية

لَا تَيَّاسِي يَا «ابْنَةَ الْأَمْوَاجِ» مِنْ فَرَجٍ  
فَالسُّورُ يَغْلُو ، وَتَحْمِيهِ بَطَارِقَةٌ  
وَالدَّيْرُ يَسْطَعُ بِالْأَنْوَارِ فِي أَلْقٍ  
فَارَؤُا بِيُعَيَّتِهِمْ فِي ظِلِّ مَمْلَكَةٍ  
لَكِنَّهُمْ فَشَلُّوا فِي نَشْرِ مَذْهَبِهِمْ  
«حَمُونُ»<sup>(1)</sup> لَمْ تَنْقَطِعْ حَقًّا عِبَادَتُهُ  
فَالنَّاسُ لَمْ يَفْهَمُوا مَعْنَى عِبَادَتِهِمْ  
فَهَذِهِ صُورَةٌ فِي الصَّخْرِ قَدْ رُسِمَتْ  
وَالْكُلُّ تَحْسِيدُ أَفْكَارٍ يُرَوِّجُهَا  
مَا الْفَرْقُ حَتَّى يَقُومَ الْبَعْضُ فِي صَلَفٍ  
لَا تَحْفَلِي بِلِحَاجِ الْقَوْمِ إِنْ قَبِلُوا  
«هَرَقْلُ»<sup>(2)</sup> إِنْ مَالَ لِلْأَقْبَاطِ يَعْضِدُهُمْ  
فَإِنَّ «مَكْسِيمَ»<sup>(3)</sup> لَنْ يَرْضَى وَيَمْنَعُهَا

«جُسْتِنُ» لَمْ يَنْسَ أَسْرَارَ الْمَعَاوِيرِ  
مِنْ أَشْجَعِ الْحَيْشِ مِنْ رُومٍ وَمِنْ مُورِ  
رُهْبَانُهُ وَضَعُوا أَحْلَى الزَّانَانِيرِ  
قَدْ أَلْبَسَتْ شَيْخَهُمْ أَعْلَى الطَّرَاطِيرِ  
فِي نَجْعِ بَادِيَةٍ أَوْ بِالْهَنَاشِيرِ  
وَالْقُسُ لَمْ يَتَّصِرْ رَغَمَ التَّبَاشِيرِ  
أَوْ أَنْ تُخَاطِبَهُمْ بَعْضُ التَّصَاوِيرِ  
وَتِلْكَ أَيْقُونَةٌ مِنْ شُغْلِ تَصَوِيرِ  
أَهْلُ الدِّيَّانَاتِ فِي عَقْلِ الْجَمَاهِيرِ  
يَدْعُو لِتَغْيِيرِهَا مِنْ دُونِ تَبْرِيرِ؟  
أَوْ أَنَّهُمْ رَفَضُوا بَعْضَ الْمَزَامِيرِ  
فِي "الرُّوحِ قَدْ جُسِدَتْ مِنْ أَجْلِ تَكْفِيرِ"  
يُغْرِي بِـ «جَرْجِيرِ»<sup>(4)</sup> ضِدَّ الْإِمْبِرَاطُورِ

(1) «حَمُون» إله فينيقي قدم مازال معبودا إلى ذلك العهد عند بعض القبائل البربرية. (2) «هَرَقْل» هو Hiraclius الذي كان والي «قرطاج» ثم أصبح إمبراطور «بيزنطة» وقد مال لفكرة الأقباط في عدم اعتبار المظهر الإنساني للمسيح بل هو كلمة الله التي تجسدت لخلاص الناس وهي أصول الكنيسة القبطية، و«هَرَقْل» هذا هو الذي دعاه «النيء محمد صلى الله عليه وسلم». (م. 12 و 3). (3) «مكسيم» Maxime وهو الأسقف الكاثوليكي الذي لم يرض ببدعة الإمبراطور «هَرَقْل». (م. 12 و 3). (4) «جرجير» أو Grégoire هو آخر ملوك «سبيطة» الذي قتله «عبد الله بن الزبير» في واقعة العبادلة. (م. 12 و 3).



و«الأرثذكس»<sup>(5)</sup> يَقُودُ النَّاسَ مُعْتَسِفًا  
 قَالَ الْمَسِيحُ: «ظِلَامٌ سَوْفَ يَعْقُبُنِي  
 «طَوْنِي لِمَنْ لَزِمَ التَّحْقِيقَ، سَارَ بِهِ  
 «مَا فِي بُكَائِكُمْ لِلْقَلْبِ تَعْزِيَّةُ  
 «لَكِنَّ تَعْزِيَّتِي فِي «أَحْمَدٍ»، فَإِذَا  
 «فَدِينُهُ قَائِمٌ إِلَى الْقِيَامَةِ وَالرَّ  
 فَأَنْعِزْ لِي وَدَعِي كُلَّ لَغَايَتِهِ  
 لَا تَعْفَلِي! أَنْتِ «رُوسِينَا» وَمَلَجَأُ كُلِّ  
 أَنْتِ الْمَلَاذُ، إِذَا ضَاقَ الْفَضَاءُ بِمَنْ  
 يَدْعُوهُمْ لَارْتِكَابِ كُلِّ مَحْظُورٍ  
 مِنْ بَعْدِمَا أَخْتَفَيْ فِي مَرْقَبِ الثُّورِ؟  
 لَمْ يَرْتَكِبْ مَرْكَبَ التَّلْفِيقِ وَالزُّورِ  
 إِلَّا مَحَبَّتَكُمْ لِلْبِرِّ وَالْخَيْرِ  
 مَا جَاءَ يُنْصِفُنِي مِنْ قَوْلَةِ الْجُورِ  
 حَمَانُ نَاشِرُهُ فِي كُلِّ مَعْمُورٍ»<sup>(6)</sup>  
 وَارْتَقَبِي أَلْقَا مِنْ بَعْدِ دَيْحُورٍ  
 ذِي أَسَى حَائِرٍ فِي الْأَمْرِ مَعْسُورٍ..  
 لَمْ يَلْقَ فِي عَيْشِهِ غَيْرَ الْعَوَاقِرِ

(5) «الأرثذكس» Orthodoxe هو المذهب المقابل للجادليقية الرومانية وهو مذهب «كنيسة بيزنطة»، وقد يكون معناه الأصيل أو المستقيم. (6) كلام مثبت بلفظه تقريبا إلا ضرورة الوزن بـ«إنجيل برنابا» ومثله بالمعنى في «إنجيل يوحنا».

## ظهور الإسلام

"اللَّهُ أَكْبَرُ! لَا مَعْبُودَ غَيْرُهُ، يَا مَنْ أَشْرَكُوا وَأَتَوْا ظُلْمَ الْجَبَابِرِ"  
 "اللَّهُ أَكْبَرُ! جَاءَ الْحَقُّ مُنْتَصِرًا وَبَاءَ كُفْرُ بَارُوحِ الْمَسَاعِيرِ  
 الْمُسْلِمُونَ أَتَوْا فِي عِزِّ دَوْلَتِهِمْ مَا هَمَّهُمْ خَبَرٌ مِنْ تِلْكَ الدُّورِ  
 فِي نَشْرِ دَعْوَتِهِمْ لَمْ يَرْهَبُوا أَبَدًا مِنْ ظُلْمِ طَاغِيَةِ بِالْجُنْدِ مَخْفُورِ  
 أَوْ قُوَّةٍ قَدْ بَدَتْ أَقْوَى وَأَرْهَبَ مِنْ نَارِ مُوَجَّحَةٍ قُدَّامَ عُصْفُورِ  
 مَا رَدَّهُمْ «عُمَرُ»<sup>(1)</sup> إِذْ رَدَّهُمْ فَرَقًا أَوْ رَدَّهُمْ حَيْلٌ مِنْ رَأْيِ «حَرْجِرِ»  
 هَذَا «مَعَاوِيَةَ»<sup>(2)</sup> قَدْ جَاءَ مُفْتَتِحًا أَنَاخَ فِي دَعَا مِنْ جَانِبِ «الدَّيْرِ»<sup>(3)</sup>  
 مُرَابِطًا مُرْهِبًا جَيْشَ الْعَدُوِّ فَمَا يُثْنِيهِ عَنْ عَزَمِهِ جَمْعُ السَّبْرَابِيرِ  
 وَ«ابْنُ الزُّبَيْرِ»<sup>(4)</sup> يَقُودُ الْجَيْشَ مُنْتَصِرًا سَلَّ عَنْهُ، إِنْ شِئْتَ، أَعْقَابًا «لِنَقُفُورِ»<sup>(5)</sup>

(1) إشارة إلى منع «عمر بن الخطاب» جيوش المسلمين من دخول «إفريقية» خوفا من غدرها. (م.3). (2) هو «معاوية بن حديج» وقد رابط بجانب الدير (أي مكان الرباط حاليا، وتقول بعض الدراسات الأثرية أن الرباط الحالي قد بُني على أرض بكر؛ لكن ذلك لا يمنع من وجود دير قريب من المكان، وطبيعي أن المسلمين لم يهدموا أي دار للعبادة إلا في ظروف خاصة جدا). (م.1 و2 و3 و4 و5 و6 و8). (3) «الدير» هو مقر العبادة النصراني وهو الأصل في كلمة «المنستير» والمفترض أنه كان قرب قصر الرباط أو مكانه. (م.6). (4) هو «عبد الله بن الزبير» وقد كان في جند «معاوية بن حديج» مرابطا بـ (المحارب) موضع على الساحل المرتفع بين قصر الرباط و«سقاص»، سُمي كذلك لكثرة الحروف به كألفا المحارب (م.الذاكرة الشعبية، وقول بعض أساتذة التاريخ) ومنها خرج إلى «نقفور» وهزمه على أسوار «سوسة». (م.1 و2 و3 و4 و5 و6 و7 و8). (5) «نقفور» البطريق الرومي الذي ألهم أمام «ابن الزبير» تاركا وراءه أثقاله.

## روسينا تدخل الإسلام

يَا بَلَدَتِي اتَّئِدِي فِي الْحُكْمِ عَنْ فِتْنَةٍ  
وَأَسْتَكْشِفِي أَمْرَهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقِفِي  
لَا تَجْمَعِي بِحِمَاكِ الرُّومَ عَنْ ثِقَةٍ  
لَكِنَّهَا امْتَنَعَتْ فِي عِزَّةٍ وَأَبَتْ  
أَلْقَتْ بِأَبْطَالِهَا فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ  
لَمْ يُشْنِ «عُقْبَةُ»<sup>(2)</sup> عَنْ عَزْمٍ تَمْنَعُهَا  
فَكَرَّ يُرْهِقُهَا صَبْرًا مُحَاصِرَةً  
أَمْسَتْ بِلَاقِعِ دَارِ الْكُفْرِ وَانْتَصَبَتْ  
فِي حَرْبِهِمْ غَلَبُوا أَقْوَى الْأَبَاطِيرِ  
فِي مَوْقِفٍ حَارِجٍ قُدَّامَ مَنْصُورٍ  
فَالْأَمْرُ آتٍ، وَلَا رَدًّا لِمَقْدُورٍ<sup>(1)</sup>  
مَوْتًا، كَمَقْهُورَةٍ مِنْ خَلْفٍ تَسْوِيرِ  
لِلْمَوْتِ تَدْرُسُهُمْ دَرَسَ الْبَيَادِيرِ  
وَذَاقَ فِي حَرْبِهَا مِنْ مُرْصَامُورٍ<sup>(3)</sup>  
حَتَّى اسْتَحَابَتْ لِحَلْعِ الْكُفْرِ وَالزُّورِ  
حَصْنًا عَتِيدًا وَثَغْرًا غَيْرَ مَثْغُورِ

(1) إشارة إلى تجمع فلول الروم بـ «روسينا» لمقاومة «عقبة بن نافع» سنة 62 للهجرة. (م.8). (2) «عقبة بن نافع الفهري» الذي هدم «روسينا» سنة 63 للهجرة وجعل «المنستير» محرسا «للقيروان»، كما أنه أول من بدأ بالتصير أي بناء مدن للاستقرار. ومن محرس «المنستير» بدأ ببناء «القيروان». (م.6 و8). (3) «الصامورة» هي اللبن الذي فسد ولم يعد صالحا للشرب من شدة حموضته.

## تأسيس المنستير

قَالَ الْأَوَّلَى سَبَقُوا: «إِنَّ «مُعَاوِيَةَ»<sup>(1)</sup> حَطَّ الرَّحَالَ هُنَا، بِجَانِبِ الدَّيْرِ<sup>(2)</sup>  
لَوْ نَبَتْنِي «قَيْرَوَانًا»<sup>(3)</sup> بِالْمَكَانِ يَصُورُ نُ النَّاسَ مِنْ غَارَةِ الْأَرْوَامِ وَالْمُورِ  
قَالَ الْأَمِيرُ<sup>(4)</sup>: «أَخَافُ أَنْ يُفَاجِئَنَا الْأَعْدَاءُ فِي غَفْلَةٍ تَحْتَ الدِّيَاغِيرِ  
فَلْتَبْتَئُوهُ بَعِيدًا عَنْ سَوَاحِلِهِمْ وَلْتَأْمُنُوا غَدْرَهُمْ فِي غَيْبَةِ النُّورِ  
وَلْتُبْقِ إِنْ شِئْتُمْ بَعْضَ طَلَائِعِنَا نَحْمِي بِهَا «قَيْرَوَانًا» غَيْرَ مَخْفُورِ  
فَاسْتَعْجِمُوا أَمْرَكُمْ وَابْثُوا بِهَا أَطْمًا وَرَبِّبُوا عَسَسًا، مِثْلَ «الْمُنَسْتِيرِ»<sup>(5)</sup>  
أَجْنَادُهَا حَرَسٌ يَحْمُونَ غَرَّتَنَا وَنَحْنُ نُنْجِدُهُمْ بِالْمَالِ وَالْمِيرِ  
فَمَصِّرُوا هَاهُنَا مَصْرًا يَكُونُ بَدَأَ يَةً تُسَاعِدُكُمْ فِي بَدْءِ تَمْصِيرِ»

(1) هو «معاوية بن حُذَيْج» (2) قد يتصور بعضهم أن المكان كان خلاء ولم يكن به أديرة حيث إن أحد الباحثين قام بسير في مكان قصر الرباط ووجد أنه أسس على أرض بكر؛ لكن الآثار البحرية في الجزيرتين «الوسطانية» و«الغدامسي» تؤكد أن هنالك وجودا بشريا ولا يعقل أن تكون المنطقة خلاء، وقد قيل لي إن آثارا ما زالت تحت الأنقاض خارج برج سيدي مسعود (مكان نزل الرباط حاليا). (3) «قيروان» يظهر أنها تحريف لكلمة فارسية هي «كرافان» Caravane قافلة وقد أصبحت تدل على محطة القوافل ولذلك فسرها أكثرهم بـ«المعسكر» وربما يكون القصد «المخيم». (4) هو «عقبة بن نافع الفهري» فاتح «روسيينا». (5) «المنستير» كلمة معروفة عندهم ويطلقونها بالخصوص على الآطام والصياصي التي تبني للحراسة وسميت هذه التسمية الرومية (Monasterium) وهو الدير النصراني لأنهم اتخذوا الأديرة في البلاد المفتوحة لمثل هذه الوظيفة وكان النصارى يبنون أديرتهم بعيدة عن العمران وعلى طريق السابلة وفي المضائق لقضاء شؤون السابلة من جهة وللعبادة من جهة أخرى وكذلك للمراقبة من جهة ثالثة.

## بداية الإمارة العربية

يَا «عُقْبَةَ» الْخَيْرِ! دِينُ اللَّهِ مُنْتَشِرٌ فَلَا تَكُنْ حَامِضًا مِثْلَ الصَّوَامِيرِ<sup>(1)</sup>  
 إِمَّا عَزَلْتَ فَلَا تَرْكُنْ لِمَنْقَصَةٍ أَمْرٌ سَوَاءٌ... وَأَنْتَ خَيْرُ مَاجُورٍ  
 «أَبَا الْمُهَاجِرِ»<sup>(2)</sup> فَدَوَّ وَاصَلْتَ مَلْحَمَةً كَانَتْ لـ «عُقْبَةَ» فِي أَرْضِ الْبَرَابِرِ  
 هَذَا «كُسَيْلَةُ»<sup>(3)</sup> فَدَوَّ وَافَاكَ مُؤْتَلِفًا فَارْفُقْ بِهِ وَائْتَلِفْهُ غَيْرَ مَعْرُورٍ  
 يَتَّبِعُهُ أَصْحَابُهُ جُنْدًا مُحَنَّدَةً وَتَبْلُغِ الْمُبْتَغَى فِي خَيْرِ تَيْسِيرٍ  
 وَالْكُلُّ فِي خِدْمَةِ الْإِسْلَامِ مُرْتَهَنٌ فَلَا تَكُنْ حَاقِدًا مِثْلَ الصَّنَانِيرِ<sup>(4)</sup>  
 يَا أَيُّهَا الْقُرَشِيُّ<sup>(5)</sup> لَا تَكُنْ حَرَضًا إِنْ عُدْتَ لِلْأَمْرِ فِي أَثْوَابِ مَأْمُورٍ  
 مَا كَانَ خَصْمُكَ إِذْ أَوْصَاكَ مُنْتَقِصًا مِنْ قَدَرِ مَأْسُورِهِ، بَلْ غَيْرِ مَأْسُورٍ:  
 «كَانَ الْمَلِكُ، وَكَانَ الْكُلُّ يَرْهَبُهُ وَجَاءَ عَنْ طَوْعٍ، لَا سِلْمَ مَقْهُورٍ  
 .. فَلْتُعْلِ مِنْ قَدَرِهِ، وَلْتَرْعَ حُرْمَتَهُ يَأْنِسْ لَهُ قَوْمُهُ فِي كُلِّ تَذْبِيرٍ  
 وَخَالِقِ الْقَوْمَ وَارْفُقْ فِي سِيَاسَتِهِمْ لَا تَكْسِرِنْ خَاطِرًا لَيْسَ بِمَجْبُورٍ  
 فَاللَّهُ أَكْرَمَ مَنْ بِالرَّفْقِ عَامَلَ خَلَقَ اللَّهُ مِنْ دُونِ تَغْيِظٍ وَتَمْعِيرٍ<sup>(6)</sup>  
 وَالْقَوْمُ مِثْلُكُمْ أَغْرَابُ بَادِيَةِ ذُفْرِ الشَّرَى كَالضَّرَاغِيمِ السَّنَادِيرِ<sup>(7)</sup>  
 فِي حُسْنِ تَقْدِيرِهِمْ تَلْقَى مَوَدَّتَهُمْ فَلَا تُعَامِلُهُمْ إِلَّا بِتَقْدِيرٍ

(1) «الصوامير» جمع صرة وهو اللبن الحامض الذي لا حلاوة فيه. (2) «أبو المهاجر دينار» وهو خليفة «عقبة» في ولاية «إفريقية» وكان معه كالأخصمين. (م.3). (3) هو «كسيلة الأوزي» أسلم على يدي «أبي المهاجر» وارتد بسبب تجبر «عقبة» فقتله بواقعة «الزاب»، وقتل «زهير البلوي» كسيلة فيما بعد. (م.3). (4) «الصنانير» جمع صنارة وهو الرجل سيئ الخلق. (5) «القرشي» هو «عقبة بن نافع». (6) «التمعير» هو التغيظ والتغضب. (7) «السنادير» جمع سندر وهو الحجري.

قَدْ يَسْتُرُ الْعَيْظَ فِي كَظْمٍ وَتَصْبِيرٍ  
فَالْبَرَبْرِيُّ حَقْبُودٌ، وَهُوَ مُضْطَظِّنٌ  
حَتَّى يَرَى سَانِحًا مِنْ غَيْرِ تَغْرِيرِ  
يُرِيكَ ضَعْفًا وَ يُخْفِي عَنْكَ مَوْجِدَةً  
وَيَشْتَفِي نَاسِيًا كُلَّ الْمَعَادِيرِ  
فَيَأْخُذُ الثَّارَ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً  
فَاغْتِيلَ فِي «الزَّابِ» مَقْتُولًا بِتَنْغِيرِ<sup>(8)</sup>  
لَكِنَّ «عُقْبَةَ» جَرَّ الْحَقْدَ فِي بَطَرٍ  
وَأَرْتَدَّ قَاتِلُهُ وَاخْتَلَّ بِلَدَّتِهِ  
وَأَعْلَنَ الْكُفْرَ فِي غَيْظِ الْمَوَائِرِ<sup>(9)</sup>  
فَالْحَقْدُ مَفْسَدَةُ الشَّمِّ الذَّوَائِرِ  
تُنْسِي مُعَادِيَهُ طِيبَ النَّحَايِرِ<sup>(10)</sup>  
مَا مَسَّ عَيْشَهُمْ مِنْ كُلِّ تَذِيرِ  
لِكُلِّ مُنْتَصِرٍ لَا بُدَّ مِنْ هَفْوَةٍ  
وَالنَّاسُ أَغْلَبُهُمْ لَا يَنْظُرُونَ سِوَى  
أَنْ تَرْتَضِي بَلَقْعًا مِنْ بَعْدِ تَعْمِيرِ  
لَوْ لَا تَهَافُتُهُمْ مَا كَانَ لَامْرَأَةٍ<sup>(11)</sup>  
مِنْ أَرْضِ «بَرْقَةِ» حَتَّى «رَأْسِ إِيْدِيرِ»<sup>(12)</sup>  
سَهْلًا تَنَاولُهَا مِنْ كَفِّ صُغُرُورِ<sup>(13)</sup>  
وَدَوْلَةٍ سَطَعَتْ فِي إِثْرِ دِيْجُورِ  
فَأَخْرَبَتْ مُدْنًا، وَأَخْرَقَتْ شَجَرًا  
«حَسَّانُ»<sup>(14)</sup> فِي حَرْبِهَا لَمْ يُلَفِّ مَعْنَمَةٌ  
لَكِنَّمَا ذُوْلُ آلَتِ لِمُنْقَرَضٍ

(8) التنغير: غلبان الحقد (9) الموائير (جمع مائر) وهو الرجل الخفيف العقل. (10) «زهير البلوي» بعد موت عقبة تولى قيادة الجيش وحارب كسيلة الذي استولى على القيروان وأخذ منه بثأر عقبة (11) النحايير (جمع) نخيرة وهي النخيزة والطبيعة (12) هي «الكاهنة» ملكة البربر وقد قهرت «حسان بن النعمان» في معركة أولى؛ ثم أمرت بإحراق الغابات وتدمير المدن وقد كانت ظلاً واحداً من «رأس أدار» إلى «طرابلس» وتغلب عليها «حسان» فيما بعد بـ«الحجم» وأسلم أولادها على يديه وحسن إسلامهم فبعد لهم على بعض الجند. (م. 1 و 3 و 7). (13) هو «رأس أدار» أو «الرأس الطيب» أو «شبه جزيرة شريك» أي «الوطن القبلي» حالياً. (14) «حسان» هو حسان بن النعمان الذي تولى فتوح إفريقية في زمن الكاهنة (15) «الصعور» جمعه «صعاير» وهو البسيط المتكبر.

«حَسَّانُ» أَحْسَنُ وَكُنْ فِي حَرْبِهَا لَبِقًا  
 لَوْ أَنَّكَ عَامَلْتَهُمْ بِالْبِرِّ مَا نَقَضُوا  
 فَأَنْتَ خَلَصْتَهُمْ مِنْ دُونِ تَفْرِقَةٍ  
 فَاسْتَعْمِلِ الْكُلَّ فِي تَرْكِيزِ دَوْلَتِكُمْ  
 فَالْبَرُّ «الْبُتْرُ»<sup>(١٦)</sup> كَالْعُرِّ الْمَعَارِيرِ  
 عَهْدًا عَلَيْهِمْ بِإِمْدَادٍ وَتَعْزِيرِ  
 بَيْنَ «الْبِرَانِسِ» أَوْ بَيْنَ «الْبَوَاتِيرِ»<sup>(١٦)</sup>  
 فِي ظِلِّ دِينَ أَتَى أَسْمَى الدَّسَاتِيرِ

(16) كان البربر ينقسمون إلى «برانس» وهم حضر ، وإلى «بتر» وهم غجر (بلو) (م.3).

## بداية المراقبة

وَجَاءَ «مُوسَى» <sup>(١)</sup> وَقَدْ دَانَتْ بَرَابِرُهَا  
فَرَادَ أَبْنَاءَهُمْ تَقْلِيدُهُمْ شَرَفًا  
وَصَارَ قُرَاؤُهُمْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ  
وَالنَّذْرُ إِنْ نَذَرُوا شَهْرًا مُرَابَطَةً  
فَيَنْزِلُونَ بِهَا وَالْكُلُّ قَدْ نَشِطُوا <sup>(٢)</sup>  
يَلْقَوْنَ فِيهَا شُيُوخًا شَابَ عَارِضُهُمْ  
مَا هَمَّهُمْ ذَهَبٌ يُعْرِي بِأَصْغَرِهِمْ  
فَالْكُلُّ قَدْ وَهَبُوا أَعْمَارَهُمْ سَلَفًا  
صَارُوا حُمَاةً وَصَارَ النَّاسُ حَوْلَهُمْ  
وَالنَّفْسُ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِنْ تُرِكَتْ  
بَاعُوا بِبَاقِيَةِ دُنْيَاهُمْ وَلَقَدْ  
مَا كَانَ مَلَبَسُهُمْ إِلَّا مَرْقَعَةٌ  
لَا عَنْ قُعود وَلَا عَنْ فَقَرِذَاتٍ يَدٍ  
لَا الْجُوعُ أَقْعَدَهُمْ عَنْ حَمْدِ خَالِقِهِمْ  
تَرَاهُمْ خُشْعًا يَبْكُونَ مَوْجِدَةً  
فِي لَيْلِهِمْ سَجْدًا يَدْعُونَ خَالِقَهُمْ

مَا بَيْنَ مُسْتَلَمٍ صَلَدٌ وَدُعُورٍ  
بَعْضَ الْوُظَائِفِ فِي الْحُكْمِ بِتَقْدِيرِ  
وَالْفَقْهُ مُنْتَشِرٌ فِي كُلِّ مَعْمُورٍ  
جَاءَتْ مَرَا حِيلُهُمْ إِلَى «الْمُنْسْتِيرِ»  
مَا بَيْنَ مُمْتَلِيٍّ ضَخْمٍ وَمَسْمُورٍ <sup>(٣)</sup>  
فِي ضَبْطِ نَفْسٍ وَعِلْمٍ دُونَ تَقْصِيرِ  
أَوْ جَاءَ مَمْلَكَةٌ تُعْنَى بِتَغْمِيرِ  
لِلْعِلْمِ وَالِدِّينِ وَالْإِحْسَانِ لِلْغَيْرِ  
كَالطُّوقِ لِلْجِيدِ وَالْفَتِيلِ لِلنُّورِ  
أَوْ جُوهَدَتْ صُقِلَتْ كَالسَّيْفِ وَالْكَبِيرِ  
قُلْتُ لَدَائِدُهُمْ فِي غَيْرِ تَقْتِيرِ  
أَوْ كَانَ مَأْكُلُهُمْ إِلَّا لِتَصْبِيرِ  
بَلْ عَنْ عَفَافٍ وَعَنْ زُهْدٍ وَتَطْهِيرِ  
أَوْ كَانَ أَجْهَدُهُمْ بِأَيِّ تَأْثِيرِ  
أَصْوَاتُهُمْ قَدْ عَلَتْ بِكُلِّ مَأْثُورِ  
مَا كَانَ أَشْبَهَهُمْ بِسَاكِنِي الدَّيْرِ

(1) هو «موسى بن نصير» الوالي العربي على «إفريقية» وفتح أرض «الأندلس» مع «طارق بن زياد» (2) هذا إرهاب  
ببناء الرباط، إذ يبدو أن المراقبة قد بدأت بالمكان منذ مدة. (3) «المسمور» هو الرجل قليل اللحم.



لَكِنَّهُمْ أَسَدٌ فِي حَرْبِهِمْ وَلَقَدْ  
فَالْعَيْشُ مَعْرُومُهُمْ وَالْمَوْتُ مَعْنَمُهُمْ  
إِنْ كَانَ قَاصِدُهُمْ يَبْغِي حِمَايَتَهُمْ  
أَوْ كَانَ مَقْصَدُهُ حَرْبًا مُنَاجَزَةً  
أَوْ كَانَ مُنْقَطِعًا صَارُوا لَهُ خَوْلًا  
أَوْ جَاءَهُمْ مُعْسِرًا رَدُّوا مُدَايِنَةً  
أَوْ جَاءَهُمْ شَاكِيًا رَدُّوا ظِلَامَتَهُ  
بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْحَقِّ فَازْدَهَرَتْ  
مِنْ عِلْمِهِمْ نَفَعُوا فِي الدِّينِ وَانْتَفَعُوا

لَمْ يَخْسِرُوا أَبَدًا مِثْلَ «ابْنِ بَاعُور»<sup>(4)</sup>  
فِيهِمْ بَهَالِيلٌ لَمْ يَرْضُوا بِمَنْكُورٍ  
مَنْ بَاعَ فَايَةً مِنْ أَجْلِ تَكْفِيرِ  
مُسْتَعْفِرًا، خَافِضًا جَنَاحَ تَوْقِيرِ  
قَدْ نَالَ فِي قُرْبِهِمْ قَلْبًا لِمَعْسُورٍ  
لَوْ شَاءَ سَارَتْ بِهِ فِي كُلِّ دِيْجُورٍ  
يُرَابِطُ الْعُمُرَ فِي «تَغْرِ الْمُنْسْتِيرِ»

وَالنَّاسُ قَدْ وَتَقُوا مِنْ دِينِهِمْ وَرَأَوْا  
فَجَاءَ يَخْدُمُهُمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ  
أَذَلَّ عَاصِيَةً فِي الذُّبِّ قَدْ غَرِقَتْ  
أَلْفَى بِصُحْبَتِهِمْ نُورًا وَتَكْرِمَةً  
أَضْحَى وَقَدْ نَابَهُ مِنْ نُورِهِمْ شُعْلٌ  
يَزِيدُهُ الْعِشْقُ إِصْرَارًا وَمَوْجِدَةً

(4) «التاسور» عرق دم فاسد وقطعه فيه راحة للمريض (5) إشارة إلى «بلعام بن باعور» الذي أمده الله بالعلم فانسلخ منه، أشار إليه القرآن الكريم في سورة الأعراف: {وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175)} وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176)} (م. قصص القرآن).

«بُهْلُولُ»<sup>(6)</sup> إِذْ ذَلُّهُمْ عَنْ فَضْلِهَا فَلَقَدْ تَارَتْ بِأَضْلَعِهِ ذَكَرَى الْمَذَاكِيرِ  
فَالسَّرُّ فِي أَنَّهَا بَابُ لَجْنَةٍ<sup>(7)</sup> خُلِدَ بَاتَ يَشْتَاقُهَا أَهْلُ التَّبَاشِيرِ  
وَالنَّاسُ قَدْ نَقَلُوا أَنَّ الرِّبَاطَ بِهَا لَجْنَةُ الْخُلْدِ مِنْ بَعْضِ الْمَعَابِيرِ  
هَبُّوا إِلَيْهَا وَ«قَصْرُ الْمَاءِ»<sup>(8)</sup> مُتَّصِبٌ يَلْقَاهُمْ فَرِحًا بَلْ جِدَّ مَسْرُورِ  
يَهْدِيهِمْ لِطَلَابِ الْعِلْمِ مَفْخَرَةٌ بِكَسْرِ نَفْسٍ، وَتَعْمِيرٍ، وَتَطْهِيرِ  
فَيَرْتَقُونَ إِلَى أَعْلَى الْمَرَاتِبِ فِي عِشْقِ الَّذِي زَادَهُمْ نُورًا عَلَى نُورِ

(6) هو «البهلول بن راشد» كان من زهادها وربما مرابطيها وهو الذي أشار على «هرثمة» ببناء القصر الكبير. (م.3).  
(7) إشارة إلى مضمون بعض الأحاديث الواردة في فضل «المنستير». (م.1 و2 و3 و4 و6 و8). (8) إشارة إلى القصر البيزنطي المبنى على «جزيرة الغدامسي» وقد سُمِّي «قصر الماء» في ذلك العهد ولعل الاسم نفسه أطلق على كامل المدينة أو جعل إشارة لها. (م.8).

## بناء قصر الرباط الكبير

لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَجِيءَ الْعَوْنُ مِنْ أَمْرٍ (١) وَالْمُؤْمِنِينَ (٢) وَمِنْ إِعْلَاءِ ذَا السُّورِ  
وَتِلْكَ أُمْنِيَةُ «الْبَهْلُولِ» مِنْذُ رَأَى أَخْطَارَ غَارِيَةِ مِثْنِ دُونِ تَسْوِيرِ  
فـ «شَرْلَمَانَ» (٣) يُرَوِّدُ الْبَحْرَ مُتَّحِذًا

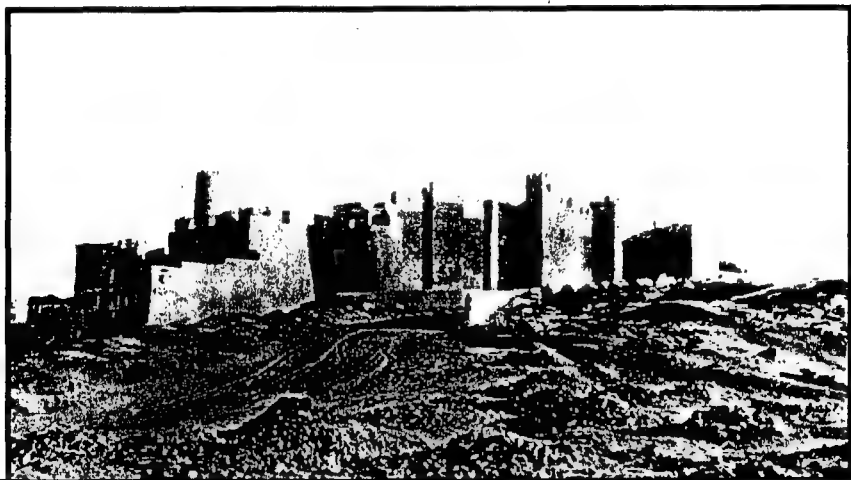
فِيهِ قَرَاصِنَ مِنْ «سَكْس» (٤) وَ«آفِير» (٥)  
وَأَمْتَدَّ سُلْطَانُهُ فِي أَرْضِ «رُومِيَّة» وَجَالَ أَسْطُولُهُ فَنِي لُجَّ «بَالِير» (٦)  
أَضْحَتْ مَرَآكِبُهُ حَوْلَ الْحِمَى خَطَرًا لَا بُدَّ مِنْ دَرْثِهِ فِي حُسْنِ تَذِيرِ  
هَذَا الْأَمِيرِ أَتَى وَالنُّصْحُ يَنْفَعُهُ وَالذَّهْرُ وَافَقَ لِلْإِنْجَازِ بِالْخَيْرِ  
مُرِيًّا «ابْنَ أَعَيْنَ» (٧) أَنْ يُبْنَى هُنَا أُطْمُ  
ضَعَّ هَا هُنَا لِسُيُولِ الْمَاءِ مُحْتَزَّنًا وَهَاهُنَا غُرْفًا لِلْقُوتِ وَالْمِيرِ  
وَهَاهُنَا شُرْفًا مِنْهَا يُرَاقَبُ مَنْ تَأْتِي بِهِ لُحَّةٌ فِي لَيْلٍ دِيْجُورِ  
وَالْإِتِّصَالَاتُ بِالْأَبْرَاجِ نَجْعَلُهَا فِي شَكْلِ أَدْخِيسَةِ شَتَى التَّعَابِيرِ  
أَوْ نُورٍ نَارٍ يُرَى لَيْلًا بِمَرْحَلَةٍ فَابْنِ الْأَسَاسَ، وَزِدْ جَهْزَ بِنَاطُورِ

(1) إشارة إلى اهتمام الأمراء والخلفاء ومنهم «هارون الرشيد» بأمر الرباط وهو الذي أذن لواليه «هرثمة بن الأعين» ببناء «رباط المنستير». (2) «شَرْلَمَانَ» Charlemagne ملك «فرنسا» في السنوات 150 هـ / 760 م. (3) «السكس» (هي مقاطعة جنوب ألمانيا) والمقصود السكسونيون (Les Saxons) وهم جرمانيون ويذهب البعض أنهم بقايا «بني إسرائيل» (وهو تفسير كنسي معاصر). (4) «الآفِير» Les Avars وهم شعب من «آسيا الوسطى» قد يكون أصل «الصقالبة» (Slaves) اكتسحوا أوروبا وأخضعهم «شارلمان» إلى سلطته. (5) «الريشيد»، وهو الذي أمر ببناء «القصر الكبير» سنة 180 هـ. (6) «شَرْلَمَانَ» «الأندلس». (7) «هرثمة ابن أعين» والي «إفريقية» من قبل «هارون الرشيد»، وهو الذي أمر ببناء «القصر الكبير» سنة 180 هـ. (كل المراجع) (7) هو «زكرياء بن قادم» الذي تولى بناء وهندسة القصر. (كل المراجع).

هَذِي الْمَنَارَةُ أُخْتُ الْبَرْجِ، زَاجِلُهَا  
يَسْعَى بِأَنْبَائِهِمْ فِي كُلِّ آوَةٍ  
وَاجْعَلْ لِنِسْوَتِهِمْ فِي قَصْرِهِمْ غُرَفًا<sup>(8)</sup>  
قَدْ يَنْزِلُ الْقَصْرَ بَعْضُ مِنْ حَرَائِرِهِمْ  
وَاجْعَلْ «زُرِّيَّةً»<sup>(11)</sup> لِلخَيْلِ وَابْنٍ بِهَا  
وَاجْعَلْ مَسَاجِدَهُمْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ  
لَمْ يَرْتَبِكْ جَمْعُهُمْ، بَلْ قَامَ قَائِمُهُمْ  
وَاجْعَلْ مَحَارِيبَ خَلَوَاتٍ يُقِيمُ بِهَا  
وَقَامَ جَامِعُهُمْ بَيْنَ الْقُصُورِ، يُرَى  
لِجَمْعٍ مَنْ سَكَنُوا قُرْبَ الرِّبَاطِ وَمَنْ  
وَالنَّاسُ إِنْ ظَلَمُوا لِلْقَصْرِ مَلَجَوْهُمْ  
فَلَا الْبُعَاةُ يَرَوْنَ الْحَرْبَ مَعْنَمَهُمْ  
كَانَ «الْأَغَالِبَةُ» الْأَحْرَارُ تَرُدُّعُهُمْ  
مَا أَنْفَكَ عَنْ سَيْرِهِ فِي غَيْبَةِ النُّورِ<sup>(8)</sup>  
مَا عَاقَهُ عَائِقٌ عَنْ وَصْلِ مَبْثُورٍ  
هُنَّ الشَّقِيقَاتُ فِي كُلِّ التَّقَادِيرِ  
أَوْ يَلْجَأُ الْبَعْضُ مِنْ شَرِّ الْمَحَازِيرِ<sup>(10)</sup>  
بُيُوتٌ مِنْ سَاسِهَا كَمَجْمَعِ الدُّورِ  
حَتَّى إِذَا مَا عَلَا صَوْتُ بَتَكْبِيرٍ  
صَلَّى بِهِمْ حَاضِرًا مِنْ دُونِ تَأْخِيرٍ  
أَشْيَاخُ نُسْكٍ وَأَحْوَالٍ وَتَخِيرٍ  
كَعَقْدِ غَانِيَةٍ حَوْلَ الْمَنَاحِيرِ  
لَمْ يَتَعُدُّوا قَبْدَرٌ مَا يُلْجِي لِتَقْصِيرِ<sup>(12)</sup>  
يَلْقَوْنَ فِيهِ حُمَاةً بِالْمَنَاسِيرِ  
وَلَا الطُّغَاةُ بِحُكْمِ الظُّلُمِ وَالْجُورِ  
مَهَابَةُ الْحَقِّ لَا وَمُضُّ الْبَوَاتِيرِ

(8) مقارنة بين برج الحمام الزاجل المستعمل في المخابرات وبين «منارة قصر الرباط» وهي للمخابرات أيضا. (9) إشارة إلى رباط النساء المقام بالجهة القبلية للقصر وله ساحة خاصة ومسجد في الطابق العلوي ومنه الباب الرئيسي الموجود الآن الذي يفتح على الجامع الكبير (10) من المستبعد أن يكون هناك نساء مرابطات في العصور الأولى ففي عهد الغدامسي كان أحد المرابطين بالمنستير بينما زوجته تقطن بسوسة فلماذا لم تأت عنده؟ (11) «الزُرِّيَّة» هي مجموعة مساكن لصقت بقصر الرباط غربا، وهي آخر ما هُدم من المدينة وكانت أول ما بني بجانب الرباط وكانت مريضا للخيل ومقرا لساكنها. وهي من أبدع أمثلة الأحياء السكنية العربية. بنيت في عهد مكرم المتعبد في القرن الثالث (الذاكرة الشعبية). (12) أي بعدت مساكنهم ولكن ليس بالقدر الكافي لتقصير الصلاة فوجبت عليهم الجمعة.

وَجَاءَهُمْ «أَسَدٌ»<sup>(13)</sup> مِنْ بَعْدِ مُعْتَكِفًا  
وَالنَّاسُ قَدْ هَرَعُوا نَحْوَ الرِّبَاطِ بِمَا  
وَكُلُّ آتٍ يُلَاقِي مَنَزِلًا وَقَرَى  
يَاسَعِدَ مَنْ حَازَ فِيهَا بَعْضَ تَكْرِمَةٍ  
كَذَلِكَ «سَحْنُونُ» مَعَ بَعْضِ الْمَشَاهِيرِ  
يَزِيدُ فِي أَجْرِهِمْ . يَا سَعْدَ مَا جُورِ!  
فَالدُّورُ شَائِعَةٌ مِنْ دُونِ تَحْجِيرِ  
أَوْ كَانَ مِنْ حَظِّهِ ضِمْنِ الْمَقَابِيرِ



(13) هو «أسد ابن الفرات» قاضي «القيروان». وفتح «صقلية». وقد اعتكف بـ«رباط المنستير». (كل المراجع).

## بناء قصر دؤيد

«دُؤَيْدُ»<sup>(١)</sup> ادْعَ عَنْكَ مُلْكًا لَسْتَ تَأْمَنُهُ      تُضْحِي بِهِ زَاهِقًا مِنَ الْمَخَاسِيرِ  
«دُؤَيْدُ» اهِلْ تُرْتَجِي فِي الْمَالِ مَنَفَعَةً      إِنْ لَمْ تَجِدْ أَجْرَهَا يَوْمَ الْمَعَادِيرِ؟  
فَاجْعَلْ بِهِ مَوْرِدًا يَسْقِيكَ مِنْ ظَمَا      فِي حِينٍ لَا يُرْتَجَى شُرْبٌ بِتَنْغِيرِ<sup>(٢)</sup>  
«دُؤَيْدُ» اِلَوْ هَاهُنَا قَصْرٌ يُشَادُّ لِمَنْ      يَرْجُو الْمُقَامَ عَلَى «نَعْرِ الْمُنْسْتِيرِ»  
دَعَمْ بِهِ الْقَصْرَ فِي وَجْهِ الْعُدَاةِ وَرَدَّ      قُطَانُهُ سَعَةً بِالْمَالِ وَالْمِيرِ  
ضَاقَ الْفَضَاءُ بِهِمْ فِي قَصْرِ «هَرْتَمَةِ»      فَاجْعَلْ لَهُمْ فُسْحَةً فِي مُتَنَدَى الْخَيْرِ

(1) هو «دؤيد بن إبراهيم بن الأغلب»، تبرّع ببناء قصر هو قصر «سيدي ذؤيب» الحالي (وذلك حوالي سنة 240 هـ) ورابط به جماعة منهم الشيخ «أبو جعفر أحمد الإطرابلسي» المتوفى سنة 347، و«أبو الفضل عباس الغدامسي» المتوفى سنة 349 وغيرهما من شيوخ القرن الرابع؛ والظاهر مما حكاه الشيخ «محمد مخلوف» أنه كان بين «الرباط الكبير» و«قصر سيدي ذؤيب» داموس يربط بينهما وذلك من استراتيجيات الدفاع في تلك العهود، وقد صادفني أن عاينت بعض تلك الآثار بعيني في «رواء الجامع الكبير». (م. 3). (2) «التنغير» الشرب الكثير على الظما.

وَاجْعَلْ بِهِ مَسْجِدًا يُغْنِي جَمَاعَتَهُمْ عَنْ تَرْكِ مَعْقِلِهِمْ فِي لَيْلِ دَيْحُورٍ  
وَاجْعَلْ دَوَامِيسَ تَحْتَ الْأَرْضِ وَأَصْلَةً

بَيْنَ الرُّبَاطَيْنِ مِنْ خَوْفِ الدَّوَاغِيرِ<sup>(3)</sup>  
فِي ذَاكَ مِنْ سِعَةِ التَّدْبِيرِ مَسْعَفَةُ السَّمَكُورِ، أَوْ كَرَّةُ الشَّمِّ النَّحَارِيرِ  
أَسْرِعْ بِبُنْيَانِهِ مِنْ غَيْرِ مَا مَهَلٍ وَاجْعَلْ تَمَامَ الْمُنَى فِي كَفِّ «مَسْرُورِ»<sup>(4)</sup>  
فَالْبُرِّ لَا يُرْتَجَى إِمَهَالُهُ، وَلَقَدْ يَأْتِي لِإِبْطَالِهِ وَسَوَاسُ تَغْيِيرِ  
وَالْبُرِّ فِي وَمُضَةِ كَالْبَرْقِ خَاطِفَةٍ وَالْعِزُّ أَنْ تَبْتَغِيَ التَّأْجِيلَ فِي الْخَيْرِ

(3) «الدواغير» الدواهي. (4) «مَسْرُورِ» هو مولى «دويد» الذي أشرف على بناء القصر سنة 240 هـ.

## بناء قصر سهل

وَذَاتَ عَصْرٍ عَلَى تَلِّ الرَّمَالِ أَتَى «مُحَمَّدٌ»<sup>(١)</sup> حَارِسًا فِي نَوْبَةِ الدَّوْرِ<sup>(٢)</sup>  
رَنَّا بِطَرْفٍ وَقَالَ : «لَوْ يُقَامُ هُنَا قَصْرٌ نَشُدُّ بِهِ أَزَرَ الْمُنْسْتِيرِ!»  
فَقَالَ «سَهْلٌ»<sup>(٣)</sup> وَكَانَ جَالِسًا مَعَهُ : «أَبْنِيهِ! يَا صَاحِبِ! مِنْ مَالِي وَتَوْفِيرِي  
فَالْمَالُ لِلَّهِ فِي كَفِّي كَعَارِيَةِ وَالْعُنْمُ فِي مَائِمِ بِالْعَفْوِ مَغْفُورِ  
فِي نَهْجِكَ انْطَلِقِي لَا تَرْهَبِي أَحَدًا يَا نَفْسُ! لَا تَخْجَلِي فِي الْخَيْرِ بَلْ سِيرِي  
فَالشَّهْدُ لَا يُجْتَنَى بِالْخَوْفِ مِنْ حُمَةٍ بِالْوَخْزِ تُرْهَبُ، بَلْ بِالصَّبْرِ لِلضَّرِيرِ»  
وَقَامَ مِنْ تَوَّهِ يَغْنِي إِقَامَتَهُ لَمْ يَرْضَ مِنْ أَحَدٍ عَوْنًا بِمَقْتُورِ  
حَتَّى عَلَا، مَلَأَتْ أَرْجَاءَهُ زُمَرُ الزُّ هَادٍ أَمْثَالَ «يُوسُفَ بْنِ مَسْرُورِ»<sup>(٤)</sup>

(1) هو «محمد بن القاضي سحنون» المتوفى سنة 256هـ/870م ؛ وتل الرمال هو شاطئ «سقانص» (3.م). (2) المقصودة نوبته أو دوره من الحراسة. (3) هو «أبو زيد سهل بن عبد الله» من أعيان «القيروان» ؛ اشتهر بفعل الخير والعلم والورع وكان مع ثرائه يرايط مع «محمد بن سحنون» وتوفي برباطه بـ«سقانص» في ذي القعدة 282هـ/895م (3.م). (4) هو المرابط بـ«قصر سهل» وهو «أبو الفضل يوسف بن مسرور اللخمي» توفي سنة 324هـ/935م ودفن بجانب القصر (3.م).



## قصر ابن الجعد بالجزيرة

يَا «مُكْرَم» الْخَيْرِ قَدْ ضَاقَ الرِّبَاطُ بِكُمْ  
هَذَا «ابْنُ جَعْدٍ» أَتَى يَبْنِي مُنَاصِحَةً  
وَبِالْجَزِيرَةِ «قَصْرُ الْمَاءِ» مُنْهَدِمٌ  
فَمَرُّهُ يَجْعَلُهُ كَالْجُونِيِّ (4) مُنْطَلِقًا  
فَقَامَ يَرْفَعُهُ حَتَّى غَدَا عَدِمًا  
لَمْ تُثْنِ بِهِ عَنْ تَمَامِ الشَّانِ بَاكِئًا  
حَتَّى اسْتَوَى وَبَدَا لِلنَّاسِ مُؤْتَلِقًا  
فَفِيهِ مَنْ نَذَرُوا أَعْمَارَهُمْ لِحِمِّي  
وَفِيهِ مَنْ أَوْقَفُوا لِلْعِلْمِ عِشَتَهُمْ  
وَفِيهِ مَنْ بَلَغُوا فِي الزُّهْدِ مَرْتَبَةً  
يَا سَعْدَهُمْ بِرِضَاءِ اللَّهِ قَدْ ظَفَرُوا  
فَشَمْسُهُمْ أَشْرَقَتْ فِي الْغَرْبِ سَاطِعَةً  
كَمْ بِدْعَةٍ حَارَبُوا فِي ظِلِّ سُنَّتِهِمْ

فَاجْعَلْ لِإِفْسَاحِهِ بَعْضَ التَّدَابِيرِ (1)  
وَأَنْتَ تَعْرِفُهُ مِنَ الْمَيَاسِيرِ (2)  
يَلُوحُ مُنْقَطِعًا مِثْلَ الطَّحَارِيرِ (3)  
تُخْشَى صَوَاعِقُوهُ بِالنَّارِ وَالْقِيرِ  
فِي غِبْطَةِ الْغَانِمِ الْمَوْعُودِ بِالْخَيْرِ  
مِنْ صَرْفِ صَاعَتِهَا فِي الصَّخْرِ وَالْجِيرِ  
جَاؤُوهُ فِي عَجَلٍ مِنْ كُلِّ مَعْمُورٍ  
يَحْمُونَ حَوَازَتَهُ مِنْ كُلِّ مَنْكُورٍ  
بِالْعِلْمِ قَدْ أَحْرَزُوا إِحْدَى التَّبَاشِيرِ  
جَلَّتْ عِمَارَتُهَا عَنْ كُلِّ تَقْدِيرٍ  
مِنْ دُونِ مَا غَرَرَ أَوْ فَعَلَ تَتَبِيرٍ  
بِالدِّينِ قَائِمَةً بَيْنَ الْحَوَاضِيرِ  
لَمَّا فَشَتْ بِدْعٍ فِي تِلْكَ الدُّورِ

(1) «مكرم» هو الزاهد «مكرم» أحد المتعبدين بـ«المنستير» في أواسط القرن الثالث للهجرة وهو الذي أشار على «ابن الجعد» ببناء رباطه بالجزيرة. (م.3) وهو الذي بنيت «الزربية» على يديه في قصة الروم العطاشى. (2) «ابن الجعد» هو أحد التجار المياسير بـ«القيروان» وكان يزور «المنستير» وتعلقت همته ببناء رباط، فبناه بـ«جزيرة الغدامسي». (م.3). (3) «الطحارير» هي السحاب المتقطع وواحدته «طحرورة». (4) «الجوني» هو جنس من القطا أسود اللون، وهو هنا استعارة للسحاب الأسود المجتمع وهو الممطر فشبه به القصر باتصاله ببقية القصور.

## الدولة العبيدية

مِنْ خَوْفِ طَاغِيَةٍ أَوْ بَدَأَ تَغْيِيرِ  
ضَاعَتْ بِهِمْ سُبُلٌ فِي الْخَيْرِ وَالضَّرِ  
مِنْ بَعْدِ وَحْدَتِهَا عَادَتْ إِلَى الْجُورِ  
عَادَاهُ لَيْسَ سِوَى تَضْلِيلِ شَرِّيرِ  
كَمْ زَعَزَعَتْ ثَقَّةً عِنْدَ الْجَمَاهِيرِ  
حَتَّى غَدَا شَأْنُهُمْ يُنْبِي بِتَفْجِيرِ  
فَانْحَازَ يَنْصُرُهُ جَمْعُ الْبَرَايِرِ  
وَالْأَمْرُ لِلَّهِ فِي عَزْلِ وَتَأْمِيرِ  
وَرَوْحُوا بِدَعَا مِنْ غَيْرِ مَأْثُورِ  
«مَهْدِيَّةٌ» سُمِّيَتْ لِلْيَمْنِ بِالْخَيْرِ  
فِي جَعْلِ أَسْوَاقِهِمْ مِنْ دَاخِلِ السُّورِ  
عَاثُوا بِهَا، وَأَتَوْا كُلَّ الْمَنَاقِيرِ  
فِي كُرْهِهِمْ نَسَبَ الْأَشْرَافِ مِنْ ضِيرِ  
وَالصَّاعَ بِالصَّاعِ، مِنْ كَيْلٍ وَتَقْدِيرِ

وَالنَّاسُ فِي عَيْشِهِمْ بَاتُوا عَلَى وَجَلٍ  
لَمَّا غَدَا دِينُهُمْ دُنْيَا تُرَامُ بِهِ  
هَبَّتْ عَلَى النَّاسِ رِيحُ الْخُلْفِ فَافْتَرَقَتْ  
كُلُّ يَرَى رَأْيَهُ حَقَّ الْيَقِينِ وَمَا  
رَاجَتْ مَذَاهِبُهُمْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ  
لَمْ يَنْتَبِهْ أَمْرَاءُ «الْقَيْرَوَانِ» لَهُمْ  
«مَهْدِيَّهُمْ» بَثَّ فِي الْأَرْجَاءِ دَاعِيَةً  
شَمْسُ «الْأَغَالِبِ» قَدْ مَالَتْ لِمَغْرِبِهَا  
«بَنُو عُيَيْدٍ» أَقَامُوا صَرْحَ دَوْلَتِهِمْ  
بَنَوْا مَدِينَتَهُمْ بِالسَّيْفِ<sup>(1)</sup> مِنْ فَرْقِ  
مِنْ سُوءِ تَدْبِيرِهِمْ سَبَّوْا بِهَا سَنًا  
وَأَخْرَجُوا سَاكِنَنَا إِلَى «زَوَيْلَةٍ»<sup>(2)</sup>  
تَذَمَّرَ النَّاسُ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ فَنَسُوا  
وَالشَّعْبُ بَادَلَهُمْ حَقْدًا بِحَقْدِهِمْ

(1) «السَّيْفُ» بكسر السين هو قطعة الأرض الضيقة الداخلة في البحر كأنها السَّيْفُ في غمده، وفعلا بنيت «المهدية» على سيف من البحر، ناهيك أنك إن وقفت بوسطها فالتفت عن يمينك أو شمالك واجهك البحر لضيق ما بين الضفتين. (2) «زويلة» هي الأحياء السكنية خارج أسوار «المهدية» ويخرج إليها من «باب زويلة» أو «السقيفة الكحلاء»، وقد بناها لعدم ثقته في الشعب.

«سَعْدُونُ»<sup>(3)</sup> صَانَعُهُمْ فِي حِنَكَةٍ وَلَكِي  
وَصَانَعُوهُ ثِقَاةً مِنْ قَلِيلِهِ  
كَمْ حَدَّثَ النَّاسُ عَنْ أَمْنٍ بِجَانِبِهِمْ  
حَتَّى بَنَى بَعْضُهُمْ قَصْرًا يُجَاوِرُهُمْ  
يَحْمِي الثُّقَاةَ وَأَصْحَابَ النَّوَاذِيرِ  
مِنْ حَرْبِ أَجْنَادِهِ الْغُرِّ الْمَعَاوِيرِ  
وَكَمْ حَمَوْا جَارَهُمْ مِنْ جَوْرِ مَغْرُورٍ  
فَيَحْتَمِي بِهِمْ مِنْ أَيِّ تَغْكِيرِ

(3) «سعدون الخولاني» المتوفي سنة 325 هـ، هو شيخ الرباط وكان يجتمع إليه نحو الأربعة آلاف من الحراس عاش مائة سنة فيكون مولده نحو سنة 225 هـ ، ونفر إلى جنازته كثير من أهل القيروان ودفن «بالمستير». أدرك «سحنونا» ولم يأخذ عنه، وعاصر «أبا الفضل الغدامسي» وهو الذي صانع الفاطميين وصانعه (م. 6 و 8).

## ثورة صاحب الحمار

رَأَى «ابْنُ كِيدَاد»<sup>(١)</sup> مَا يَدْمِي الْقُلُوبَ فَلَمْ

يَصْبِرَ وَثَارَ عَلَى أَهْلِ الْمَنَاكِيرِ  
مِنْ «تُوزَرٍ» خَرَجَتْ زَخْفًا مَسِيرَتُهُ وَكَانَتْ «زَنَاتَةٌ» مِنْ جَمْعِ «التَّوَازِيرِ»  
وَكَانَ قَدْ خَالَطَ «النُّكَارَ»<sup>(٢)</sup> فِي صِغَرٍ

فَصَارَ مَرْغُوبُهُ قَلْبَ الْمَعَايِيرِ  
وَكَانَ مَرْكُوبُهُ الْحِمَارُ مِنْ ضَلَعٍ أَوْ مِنْ تَوَاضُعِهِ فِي كَسْبِ جُمْهُورٍ؟  
وَقَادَ ثَوْرَتَهُ لَا يَرْتَضِي بَدَلًا مِنْ قَلْبِ «مَهْدِيَّهِمْ» فِي تِلْكَ الدُّورِ  
وَعَاثَ فِي النَّاسِ تَقْتِيلًا وَتَعْرِيةً كَأَنَّمَا قَدْ عُرُوا صَيْفًا بِبَاحُورٍ<sup>(٣)</sup>  
كَالرَّيْحِ تَجْرِي عَقِيمًا لَيْسَ يُوقِفُهَا شَيْءٌ وَلَوْ أَنَّهُ مِنْ أَعْتَدِ الْحُورِ<sup>(٤)</sup>  
مِنْ قَبْلِ «مَهْدِيَّهِمْ»<sup>(٥)</sup> قَدْ كَانَ يَعْلَمُهَا لَكِنَّهُ لَمْ يَحُلْ مِنْ دُونِ مَسْطُورٍ  
«مُخَلَّدٌ»<sup>(١)</sup> لَمْ يَطَأْ أَرْضَ الرِّبَاطِ وَلَمْ تَرَ «الْمُنْسْتِيرُ» مِنْهُ أَيَّ مَنُكُورٍ  
وَمَرَّ عَنْهَا كَمَرُّ الطَّيْفِ فِي وَسْنِ الْمُرْتَاعِ يُرْهِقُهُ صَوْتُ الصَّرَاصِيرِ

(1) أَبُو يَزِيدَ مُخَلَّدُ بْنُ كِيدَادَ هُوَ «صَاحِبُ الْحِمَارِ» وَقَدْ ثَارَ ضِدَ الْعَبِيدِينَ مِنْ بَدَايَةِ عَهْدِهِمْ (2.م). (2) «النُّكَارُ» هُمُ  
فِرْقَةٌ تُثَمِّلُ الْمَعَارِضَةَ، فَهَمُ خَوَارِجٌ، إِذِنْ، وَهَمُ جَمَاعَةٌ أَنْكَرُوا بَعْضَ أَعْمَالِ «الدَّوْلَةِ الرَّسْمِيَّةِ» فَثَارُوا ضِدَّهَا، وَبَقِيَتْ  
جُذُورُهُمْ بِالْجَنُوبِ التُّونِسِيِّ. (3) «الْبَاحُورُ» هُوَ اشْتِدَادُ الْحَرِّ فِي شَهْرِ تَمُوزَ (جُوْلِيَّةٍ) وَهُوَ «أَوْسَوُ». (4) «الْحُورُ»  
شَجَرٌ عَتِيدٌ كَبِيرٌ وَصَلْبٌ. (5) هُوَ «عَبِيدُ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ» وَكَانَ يَعْلَمُ بِهَذِهِ الثَّوْرَةِ وَبـ«صَاحِبِ الْحِمَارِ» وَهُوَ يَخْتَطُّ مَدِينَةَ  
«الْمَهْدِيَّةِ» مِنْهَا أَنَّهُ أَمْرٌ بِرَمِي سَهْمٍ فَلَمَّا وَقَعَ فِي مَكَانٍ مَحْدُودٍ قَالَ: «إِلَى هُنَا يَصِلُ صَاحِبُ الْحِمَارِ» وَهُوَ الْمَكَانُ  
الَّذِي دَحَرَ فِيهِ هَذَا الثَّائِرُ ثَمَانِيًا. (وَلَعَلَّهُ يَقْصِدُ بِصَاحِبِ الْحِمَارِ الرَّجُلَ الْعَامِّيَ الَّذِي لَيْسَ مِنَ الْأَعْيَانِ، لِأَنَّ الْأَعْيَانَ يَرْكَبُونَ  
الْخَيْلَ وَالْبَغَالَ وَلَيْسَ الْحَمِيرَ، وَكَانَتْ الْوَاقِعَةُ بِالْمَكَانِ صَدْفَةً، وَالتَّحْدِيدُ بِرَمِيَةِ السَّهْمِ حَرَزًا لِلْقَلْعَةِ، فَلَا يَتْرَكَ الْحِرَاسَ  
أَحَدًا مِنَ الْعَامَّةِ يَحْتَازُهُ (2.م).

وَسَارَ فِي جُنْدِهِ إِلَى «زُوَيْلَةَ» فَفَرَّ سُكَّانُهَا لِدَاخِلِ السُّورِ  
فَكَانَ مَا تَرَكُوا نَهْبًا لِمَنْ تَرَكُوا وَنَابَهُمْ بُدٌّ مِنْ «أُمِّ صَبُورٍ»<sup>(6)</sup>  
وَجَنَّدَ «الْقَائِمُ»<sup>(7)</sup> الْأَجْنَادَ فَانْهَزَمُوا مَا بَيْنَ مُنْقَطِعِ خَوْفًا وَمَذْخُورِ  
وَمَاتَ مِنْ غَمِّهِ مُسْتَخْلِفًا وَلَدًا قَدْ حَقَّ إِذْ لَقْبُوهُ بِاسْمِ «مَنْصُورٍ»<sup>(8)</sup>  
أَخْفَى وَفَاةَ أَبِيهِ فِي الْجِلَادِ، فَلَمَّا فَازَ، أَعْلَنَهَا وَسَطَ الْجَمَاهِيرِ  
وَقَامَ مُتَّبِعًا آثَارَ مَنْ هَرَبُوا إِلَى «كُتَامَةَ» تَقْتِيلًا لِنَظْمِهِ  
وَهَكَذَا اكْتَسَبُوا عَلَى «زَنَاتَةَ» حَقْدًا قَدْ تَوَارَتْهُ الْأَخْفَادُ بِالْدُّورِ<sup>(9)</sup>  
أَقَامَ «صَبْرَةَ» قُرْبَ «الْقَيْرَوَانِ» مُفَا خِرًا بَنَصْرٍ وَتَشْيِيدٍ وَتَعْمِيرِ  
أَطَاعَهُ رَجُلٌ، لَوْلَاهُ مَا وَصَلَتْ أَجْنَادُهُ لِحِمَى كَانَ اسْمُهُ «زِيرِي»<sup>(10)</sup>  
فَكَانَ إِخْلَاصُهُ أَبَا لِتَكْرِمَةِ مِنْ أَجْلِهَا صَارَ وَالِيًا بِـ«آشِيرٍ»<sup>(11)</sup>



(6) «أُمِّ صَبُورٍ» هي كنية تطلق على الداهية العظيمة. (7) «الْقَائِمُ بِاللَّهِ» هو ابن عبيد الله المُهْدِي «وقد تولى الإمارة بعد أبيه وقامت الثورة في زمانه. (م.2). (8) «الْمَنْصُورُ بِاللَّهِ» هو ابن «الْقَائِمُ بِاللَّهِ» وهو الذي خَضَعَ ثُورَةَ «صَاحِبِ الْحِمَارِ». (م.2). (9) «بِالدُّورِ» أي كُلِّ وَاحِدٍ يَرِثُهُ عَنْ أَبِيهِ (10) هو «زِيرِي بن مناد والد يوسف بلكين»، وكان سيد «صنهاجة» فَأَعَانَ «الْمَنْصُورُ» فِي حَرْبِ «صَاحِبِ الْحِمَارِ» وَخَلَّصَ «الْمُهْدِيَةَ» مِنَ الْحَصَارِ. (م.2). (11) «آشِيرٍ» مدينة عظيمة بـ«الجزائر» قلده إمارتها «المعز لدين الله الفاطمي» قبل استخلافه على كامل «إفريقية» عند انتقاله إلى «القاهرة». (م.2).

## بركة الغدامسي

«عَبَّاسُ»<sup>(١)</sup> جَاهِدْ وَكُنْ بِالْقَصْرِ مُعْتَكِفًا فَلَأَفُقُ طَلُقْ وَ لَوْ حِينَ الدِّيَاجِرِ  
وَانْصَحْ لِمَنْ سَأَلَ الْمَاعُونَ مُجْتَهِدًا فِي رَدِّ عَادِيَةٍ عَنْ كُلِّ مَقْهُورٍ  
فَالنَّاسُ قَدْ أَشْفَقُوا مِنْ أَخَذِ مَا اكْتَسَبُوا نَهَبًا لَطَاغِيَةٍ بِالْـدِّينِ مَسْتُورٍ  
ضَاقَتْ بِهِمْ سُبُلُ التَّأْمِينِ فَانْتَجَعُوا مِنْ دُورِهِمْ هِجْرَةً إِلَى «الْمُنْسْتِيرِ»<sup>(٢)</sup>  
يَسْتَنْصِحُونَكَ، قُلْ، لَا تَخْشَ لَأَيِّمَةً فَالْكُلُّ قَدْ وَثِقُوا فِي قَوْلِ مَبْرُورٍ:  
«إِنَّ «الْمُنْسْتِيرَ» تَعَرَّ فِي مُوَاجَهَةِ الْأَعْدَاءِ لَا مَرْتَعٌ لِلْغَيْدِ وَالْفُورِ  
وَالْقَيَرَوَانُ» بِهَا أَمْنُ الْمَدَائِنِ مِنْ غَارَاتِ غَازِيَةٍ بِالْجَيْشِ وَالسُّورِ  
وَجَّهْ لِحَيْرِ هَذَاكَ اللَّهُ وَجْهَتُهُ هَدَى خَوَاطِرَ حَيْرَانٍ وَ مَذْغُورِ  
هَذَا «الْمُعَزُّ»<sup>(٣)</sup> أَتَى يَرْجُو مُبَارَكَةً فَاشْفَعْ لَدَيْهِ، فَمَا أَتَتْ بِمَحْجُورِ  
لَعَلَّ إِصْلَاحَ دُنْيَاهُمْ يُرَافِقُهُ صَلَاحُ دِينِ، وَلَا دَفْعَ لِمَقْدُورِ  
فَإِنَّ دَوْلَتَهُمْ قَدْ شَرَّقَتْ وَمَضَتْ وَالسُّخْطُ فِي إِثْرِهَا مِنْ كُلِّ مَوْثُورِ

(1) هو «أبو الفضل عباس الغدامسي» ولد بـ«غدامس» سنة 253 هـ وتوفي عصر يوم الجمعة 12 ربيع الأول سنة 349 هـ فيكون قد عاش 96 سنة. من أكبر مرابطي «قصر ابن الجعد» وسُميت الجزيرة باسمه لوجود قبره بها وذلك في أواسط القرن الرابع للهجرة. (م. 3 و 6 و 8). (2) لما اشتد أمر الشيعة بـ«القيروان» وضاق الناس بهم بعث بعضهم إلى «أبي الفضل الغدامسي» يستشيريه في الهجرة إلى «المنستير» فأجابيه بأن «القيروان» بلد آمن وأهل «المنستير» بلد قد يقع من حين لآخر بيد الأعداء، وأشار عليه بملازمة القيروان، وهذا مبرر وجود الرباطات بالمنستير، ودليل على أنه ليس لها سور فهي مجمع رباطات وليست مدينة رغم قداسة الموقع (م. 1). (3) إشارة إلى زيارة «المعز لدين الله بن إسماعيل المنصور الفاطمي» «لأبي الفضل الغدامسي» للتبرك به ورؤيته وطلب الدعاء، قبل انتقاله إلى القاهرة. (م. 2 و 3).

## بداية الصنهاجين

سَمَّوْا «بُلْكَيْنَ» فِيهَا وَالْيَا ثَقَّةً  
فَثَبَّتَ الْمُلْكُ فِي أَطْرَافِ مَغْرِبِهَا  
لَكِنْ أَصَابَهُ «قُولَنْجُ»<sup>(1)</sup> فَمَاتَ بِهِ  
فَأَغْدَقَ الْمَالُ فِي الْأَجْنَادِ مُصْطَنَعًا  
فَجَاءَهُ النَّاسُ آلَافًا مُؤَلَّفَةً  
أَعْطَى وَأَهْدَى، وَصَارَ النَّاسُ فِي سِعَةٍ  
وَأَجْمَعُوا أَتَبَهُ مُلْكُ عَشِيرَتِهِ  
وَهَكَذَا لَمْ يَعُدْ عَبْدًا لِسَادَتِهِ  
وَحَطَّ عَنْ بَعْضِ أَرْيَافِ ضَرَائِبِهَا  
وَجَاءَ «رَقَادَةٌ»، فِي بَهْجَةٍ وَغْنَى  
قَضَى بِهَا رَمَضَانًا وَهُوَ سَيِّدُهَا  
وَعَادَ صُحْبَةَ «عَبْدِ اللَّهِ»<sup>(3)</sup> كَاتِبِهِ  
وَجَاءَ «بَادِيسُ»<sup>(4)</sup> تَتَوَيْجًا لِفَرَحَتِهِ  
فَكَانَ مَوْلِدُهُ بُشْرَى تُضَافُ إِلَى  
مِنْ خَيْرٍ «صَنْهَاجَةَ» خَيْرٍ «بَنِي زِيرِي»  
وَحَازَ «رَقَادَةً» مِنْ بَعْدِ «آشِيرِ»  
وَصَيَّرُوا حُكْمَهَا فِي الْإِبْنِ «مَنْصُورِ»<sup>(2)</sup>  
قُلُوبَهُمْ كَرَمًا؛ يَاحُسْنَ تَبْذِيرِ!  
وَالنَّاسُ أُلْفَتْهَا حَوْلَ الدَّنَائِرِ  
فَظَهَرُوا فَرَحًا مِنْ بَعْدِ تَكْدِيرِ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا غَيْرَ مَبْثُورِ  
بِـ«مِصْرَ» رَغَمَ الْهَدَايَا دُونَ تَغْيِيرِ  
وَأَظْهَرَ الْعُطْفَ فِي حُكْمِ الْبَرَائِرِ  
كَأَنَّهُ وَاحِدٌ مِنَ الْقِيَاصِيرِ  
وَأَسْتَحْكَمَ الْأَمْرَ تَوًّا دُونَ تَأْخِيرِ  
وَصَاحِبِ السَّرِّ، لِلْقَصْرِ بِـ«آشِيرِ»  
كَبَاسِقِ الطَّلَعِ فِي أَعْقَابِ تَشْجِيرِ  
أُمَجَادٍ وَالِدِهِ وَخَيْرَ تَبْشِيرِ

(1) «القولنج» مرض يصيب الأمعاء الغليظة في المعى الذي اسمه قولن (Côlon) ومنه الصاعدون النازل والعرضي. (2) هو «منصور بن يوسف بلكين بن زيري بن مناد» خلف أباه في ولاية «إفريقية» للفاطمين. (2.م). (3) هو «عبد الله الكاتب» والي «المنصور الزيري» على «إفريقية» و«القيروان» وابنه «يوسف» وقد قتلها عندما غدرا به لفائدة «العزير الفاطمي». (2.م). (4) هو «باديس بن المنصور والد «المعز». (2.م).

«زِيرِي زَنَاتَةَ»<sup>(5)</sup> أَبْدَى الْخُلْفَ مُعْتَصِبًا  
 أَغْرَى قَتَالُهُ «يَاطُوفَاتٍ»<sup>(6)</sup> فَارْتَكَسَتْ  
 فَعَادَ عَسْكَرُهُ إِلَيْهِ مِنْهُزِمًا.  
 مَاذَا جَرَى لِلْأَسُودِ الْحَرْبِ فَانْهَزَمَتْ؟  
 تَفْجِيرٍ وَضَعِ إِذَا لَمْ يَنْحَسِمِ، فَلَقَدْ  
 لَوْ تَتَرَكُوا الْحَرْبَ حَتَّى تَطْمِئَنَ بِكُمْ  
 هَذِي زَنَاتَةُ أُخْتُ الْبَرْبَرِ اتَّخَذَتْ  
 فِي حَرْبِهَا لَنْ تَرَى فَخْرًا يَزِينُكَ بَلْ  
 وَلَّى أَخَاهُ «أَشِيرَ» وَانْشَى قَدَمًا  
 بَنَى وَأَعْلَى بِـ «مَنْصُورِيَّةٍ» سَكَنَّا  
 لَمْ يُعْجِبِ «الْفَاطِمِيَّ»<sup>(7)</sup> مَا يَقُومُ بِهِ «الْمَنْصُورُ»، فِي مُلْكِهِ مِنَ التَّدَابِيرِ  
 وَخَافَ مِنْهُ عَلَى تَاجِ الْإِمَارَةِ أَنْ  
 فَكَانَ مِنْ رَأْيِهِ جَعَلَ الْعُيُونِ عَلَى «الْمَنْصُورِ» فِي رَصَدٍ مِنْ «ذِي الْمَحَابِيرِ»<sup>(8)</sup>  
 فَكَانَ تَغْيِينُهُ تَقْرِيبَ مَقْتَلِهِ  
 وَلَمْ يَكُنْ لـ «نَزَارٍ»<sup>(9)</sup> أَيْ تَسْطِيرِ  
 وَلَمْ يَعُدْ تَابِعًا لِحُنْدٍ «مَنْصُورٍ»  
 أَجْنَادُهُ خَوْرًا، كَسَيْفِ أَفْطُورٍ<sup>(7)</sup>  
 مَنْصُورًا! خَذْ عِبْرَةً مِنْ دُونِ تَغْرِيرِ  
 أَلَيْسَ ذَلِكَ إِنْذَارًا بِتَفْجِيرٍ؟  
 يَأْتِي عَلَى كُلِّ إِنْشَاءٍ وَتَعْمِيرِ  
 أَرْكَانَ مُلْكٍ بِأَقْيَالِ الْبَرَايِيرِ؟  
 ضِدَّ الْفَوَاطِمِ عَهْدًا غَيْرَ مَبْثُورِ  
 تَشْتِيَتُكُمْ شَيْعًا فِي خِدْمَةِ الْغَيْرِ  
 «لِلْقَيَّرَوَانِ» يَشُدُّ الْمُلُوكَ بِالسَّيْرِ<sup>(8)</sup>  
 وَاخْتَارَهَا رَاغِبًا عَنْ قَصْرِ «أَشِيرِ»  
 لَمْ يُعْجِبِ «الْفَاطِمِيَّ»<sup>(9)</sup> مَا يَقُومُ بِهِ «الْمَنْصُورُ»، فِي مُلْكِهِ مِنَ التَّدَابِيرِ  
 وَخَافَ مِنْهُ عَلَى تَاجِ الْإِمَارَةِ أَنْ  
 فَكَانَ مِنْ رَأْيِهِ جَعَلَ الْعُيُونِ عَلَى «الْمَنْصُورِ» فِي رَصَدٍ مِنْ «ذِي الْمَحَابِيرِ»<sup>(10)</sup>  
 فَكَانَ تَغْيِينُهُ تَقْرِيبَ مَقْتَلِهِ  
 وَلَمْ يَكُنْ لـ «نَزَارٍ»<sup>(9)</sup> أَيْ تَسْطِيرِ

(5) «زيري زناتة» هو «زيري بن عطية الزناتي» وقد استولى على «فاس» و«سجلماسة» وخرج على الصنهاجيين والفاطميين لئلا يفتقدوا «بني العباس» بـ «بغداد». (م. 12 و 2). (6) «يطوفات» أو «يطوفت» هو أخ «المنصور الصنهاجي» الذي بعثه لمحاربة «زيري الزناتي» لكنه هُزم إلى «أشير» فسمّاه واليا عليها. (م. 12 و 2). (7) «السيف الأفطور» هو السيف الذي فيه تشقق فلا يقطع شيئا. (8) «السير» و «يجمع على «سيور». هو القطعة الطويلة من الجلد كالجلجل و«الشد بالسير هو الشد بالقوة» فهو من باب الكناية. (9) هو «نزار العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي» صاحب «مصر» في زمن «المنصور الزيري». (م. 2). (10) «ذو المحابير» هي تكتية لـ «عبد الله الكاتب» وولده.



بَلْ عَضَّ أَعْمَامُهُ فِي كُظْمٍ مُحْتَقِنٍ  
يَطْوِي الضَّغِينَةَ فِي أَعْمَاقِهِ حَقًّا  
«بَادِيسُ» قَامَ بِهَا مِنْ بَعْدِ وَالِدِهِ  
قَدْ حَارَبُوهُ، وَكَانَ التَّصَرُّ ضِدَّهُمْ  
وَوَاصَلَتْ ثَوْرَةٌ ضِدَّ الْفَوَاطِمِ، لَمْ  
وَمَالَ عَنْ كَيْدِهِ بِوَصْلٍ مَبْرُورٍ  
فَلَا تَرَاهُ سِوَى طَلْقِ الْأَسَارِيرِ  
لَكِنَّ أَعْمَامَهُ، مِنْ سُوءِ تَذْيِيرِ  
لَكِنْ «زَنَاتَةُ»<sup>(11)</sup> لَمْ تَرْضَخْ لِمَأْمُورٍ  
تَقْنَعُ بِشَيْءٍ سِوَى هَدْمٍ وَتَدْمِيرِ

(11) ذلك أن أعمامه كان أكثر اعتمادهم على «زناتة» التي عظم شأنها في «المغرب» وفي «طرابلس». (م.2). والظاهر أنها حكمت جزءاً من إفريقية حيث تركز «الزناقي خليفة» أبو «عزيزة» وصاحب بني هلال. ولعل هذه بداية التدهور التي جنى ويلاتهما المعز بن باديس فيما بعد.

## ولاية المعز بن باديس وبناء قصر السيدة

«بَادِيسُ» مَاتَ فَصَارَ الْمُلْكُ فِي وَلَدِهِ لَمْ يَلْغِ الْعَقْدَ، فِي سِنِّ الْعَصَافِيرِ وَهُوَ «الْمُعِزُّ»، وَفِي عِزٍّ وَلَايَتُهُ، رَغَمَ الصَّبَا، فَلَهُ خَيْرُ الْعَوَازِيرِ<sup>(1)</sup> بِمَصْرِ «مَهْدِيَّةً»، رَبَّتُهُ عَمَّتُهُ<sup>(2)</sup> أَوْ قِيلَ جَدَّتُهُ مِنْ دُونِ تَقْصِيرٍ فَسَيَّرَتْ مُلْكَهُ حَتَّى غَدَا رَجُلًا يُدِيرُ أَعْمَالَهُ شَأْنَ التَّحَارِيرِ لَمَّا اسْتَوَى مَلِكًا، بِالْحَزْمِ مُتَزَرًّا كَانَتْ لَهُ لَفْتَةٌ إِلَى «الْمُنْسْتِيرِ» كُنْ يَا «مُعِزُّ» أَحَبِّبِ الشَّعْبَ مَنْ فَنِيَتْ

أَصْبَارُهُ فِي تَعَالِيلٍ وَتَصْبِيرٍ وَطَهَّرَ الْقَطْرَ مِنْ «صُفْرِيَّةٍ» وَ«إِبَا ضِيَّيْنِ» أَوْ «شَيْعَةٍ» أَوْ مِنْ «نَوَاكِيرِ»<sup>(3)</sup> وَارْفَعَ لَوَاءَ «بَنِي الْعَبَّاسِ» مُتَّصِرًا إِنْ كَانَ لَا بُدَّ، لَا تَحْفَلُ بِتَحْذِيرٍ فَالْتَّاسُ قَدْ ضَجِرُوا مِنْ «شَيْعَةٍ» جَهَرَتْ

بِخُبْتِ فِعْلٍ وَتَقْتِيلٍ وَتَدْمِيرٍ «حَمَادُ»<sup>(4)</sup> أَغْرَوَهُ بِالْعِصْيَانِ فَاعْفُ، فَإِ

نَّ الْعَفْوُ عَنْ قُدْرَةٍ مِنْ فِعْلٍ مَبْرُورٍ وَبِرَّ «سَيِّدَةٍ»<sup>(2)</sup> رَبَّتَكَ فِي صِغَرٍ وَأَنْحَرِبِمَا تَمَهَا شَتَّى الْمَنَاحِيرِ

(1) العوازير جمع عازرة وهي الرمية والمساعدة (2) هي «السيدة أم ملال» عمّة «المعز» ولها قصر بـ «المنستير» به مسجدها وقبرها (م. 2و6)، (3) «النواكير» هم «النكار» أصحاب مذهب انتشر في ذلك الزمن في مواجهة الدولة الرستمية إلى جانب الصفورية والمعتزلة والخوارج والشيعة (م. 2)، (4) «حماد» هو عمّ «المعز» ولاه «أشير» فخرج عليه فلما انتصر عليه «المعز» عفا عنه وأكرم ولده غاية الإكرام بـ «المنصورية». (م. 2و12).

وَاجْعَلْ لَنَا وَوَسْهًا ذِكْرًا تَنَاقَلُهُ الْأَجْيَالُ فِي ذِكْرِهِمْ لِلْمَآثِرِ  
وَأَبْنِ «الْخَوْرَنْقَ»<sup>(5)</sup> إِيوَانًا، وَتَذَكُّرَةً مَصَابِعًا، أَوْ قُصُورًا كَالْأَكَاسِيرِ  
إِنْ خَالَفْتَ «قَفْصَةً» أَوْ «بَاجَةً» فَلَقَدْ رَأَوْا بِـ «جَرَبَةً»<sup>(6)</sup> أَفْعَالَ الْعَنَاتِيرِ  
قَدْ خُضَّتْ لُجَّتَهَا، وَاحْتَزَتْ حَوَزَتَهَا خَلَّصَتْ رِبْقَتَهَا مِنْ خَطْمِ عُسْبُورٍ<sup>(7)</sup>  
وَإِنْ «صَفَاقُوسُ» خَالَفْتَ وَ «سُوسَةٌ» لَمْ تَكُنْ بِأَحْسَنَ فِي الْوَفَاءِ وَالسَّيْرِ  
فَبِـ «الْمُنْسْتِيرِ» تَلْقَى الدَّعْمَ مِنْ كَرَمِ الْأَخْبَابِ فِي سَعَةِ، بِالْجُهْدِ وَالْمِيرِ  
فِيهَا الرِّخَاءُ وَفِيهَا الْعَيْشُ مُؤْتَلَفٌ وَالنَّفْسُ تُلْهِمُهَا أَحْلَى التَّعَابِيرِ  
وَدِقَّةُ الشُّعْرِ وَالْأَلْحَانِ يَعْرِفُهَا فَيْكُمُ وَلَمْ يَنْسَهَا «شَعْبُ الْمُنْسْتِيرِ»

(5) «الخورنق» قصر بناه «المعز بن باديس» تشيهاً بخورنق «النعمان بن المنذر» ، ومعناه مجلس الملك ومكان راحته. (م. 2 و 12). (6) إشارة إلى فتح «المعز» لجزيرة «جربة» وضمها لحكمه. (7) العسبور هو ولد الكلب من الذئبة، أي محين.

## الزحفة الهلالية

«مُعِزُّ» إِنْ تَقْلِ الْأَشْعَارَ مِنْ حَرَجٍ فَالنَّاسُ لَنْ يَرْعَوْا عَنْ حَبْكِ تَزْوِيرِ  
 «وَفَيْكَ صَاحِبْتُ قَوْمًا لَا خَلَاقَ لَهُمْ»<sup>(1)</sup> جَوَارَهُمْ يُتَّقَى مِثْلَ الْمَعَاقِرِ<sup>(2)</sup>  
 «لَوْلَاكَ مَا كُنْتُ أَذْرِي أَنَّهُمْ خَلِقُوا» مَا أَلْطَفَ السَّبْكُ فِي تَعْرِيزِ<sup>(3)</sup> تَعْرِيرِ!  
 وَصَاحِبُ الْمُلْكِ لَا تَأْمَنُ بِوَائِقِهِ فَالْمُلْكُ يُحْسَبُ مِنْ ضَمَنِ الْعَوَاقِرِ  
 فَلَا تَشِقْ بِصَدِيقٍ كَانَ سَيِّدُهُ يِرَاكَ دَوْمًا كَعَبْدٍ فِي الْمَحَاقِرِ  
 يَقُولُ: "أَذْبَتُهُ"، إِنْ نَالَ مِنْكَ وَإِنْ أَتَى الَّذِي نَالَ لَا تَحْظِي بِتَوْفِيرِ  
 هَا قَدْ رَمَاكَ بِأَعْدَاءٍ يُؤَلِّبُهُمْ كَيَّ يُخْضِعُوكَ وَتَلْقَى كُلَّ مُحْذُورِ  
 فَ«زَغْبَةُ» وَ«رِيَّاحُ»<sup>(4)</sup> أَرْسِلُوا وَ«بَنُو» هِلَالٍ» فِي نَقْمَةٍ مِنْ دُونِ تَحْذِيرِ  
 لَمْ تَسْتَطِعْ صَدَّهُمْ، فَخَرَّبُوا وَغَزَوْا وَلَمْ يَكُنْ حَظُّكُمْ طَلْقَ الْأَسَارِيرِ  
 فَارْجِعْ لـ«مَهْدِيَّةٍ» وَاخْلَعْ وَشَاحَ إِمَا رَةٍ عَلَى وَلَدٍ بِالْعِزِّ مَخْفُورِ  
 لَا تَخْشَ مَنْقَصَةً مِنْ قُوَّتِكُمْ، فَلَكُمْ دَرَّتْ سَمَاحَتُكُمْ فِي الْأَعْصُرِ الْقُورِ  
 فَبِ«الْمُسْتَنْصِرِ» أَثْمَارٌ وَأَغْذِيَّةٌ لَمْ تَنْقَطِعْ أَبَدًا عَنْ شَدِّ مَازُورِ  
 فَاَنْظُرْ «مُعِزُّ» بِعَيْنِ الرَّأْيِ فِي بَلَدٍ دَقَّتْ مَجَاسِنُهُ عَنْ كُلِّ تَصْوِيرِ

(1) هذا الصدر وصدر البيت الذي يليه بيت من الشعر «للمعز بن باديس» يعرض فيه بيني عبيد لدى وزير

«المستنصر» الذي كان صديقه، لكن الوزير أبرّ سيده وغدر بصاحبه. (م. 2) والبيت:

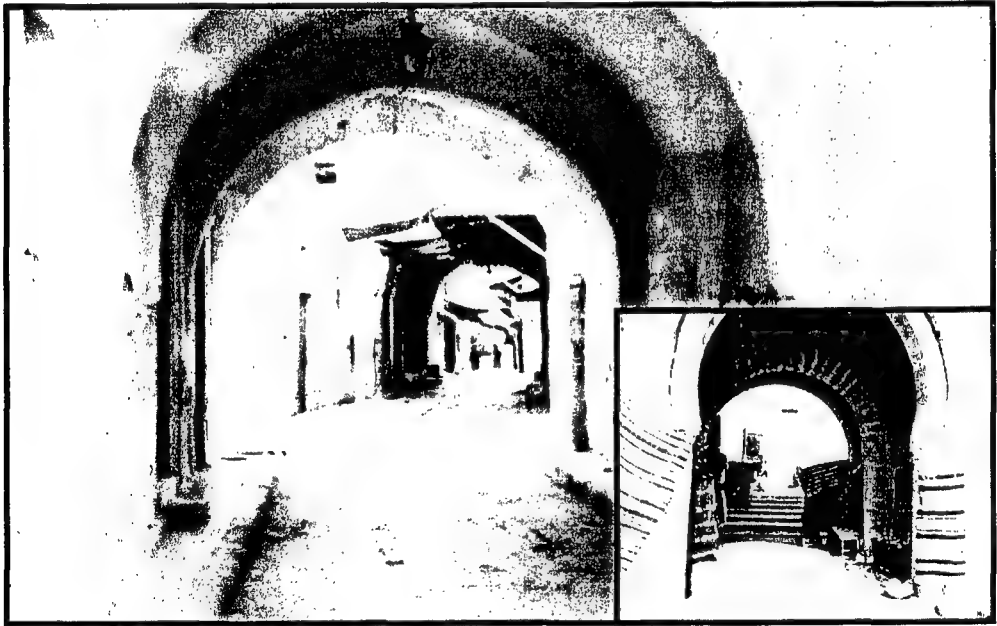
«وَفَيْكَ صَاحِبْتُ قَوْمًا لَا خَلَاقَ لَهُمْ لَوْلَاكَ مَا كُنْتُ أَذْرِي أَنَّهُمْ خَلِقُوا»

(2) المعاقير (جمع معقرة) وهي الأرض الكثيرة العقارب (3) «التعريض» هو كناية بعيدة وخفية ولا يظهر فيها الموصوف

وهي من أبعد الكنايات مقصدا. (4) «رياح» و«زغبة» و«عدي» بطون من «عامر بن صعصعة» أعراب من «نجد»

سكنوا «الصعيد» فأرسلهم «المستنصر العبيدي» على «المعز» لينتقم منه. (م. 2).

وَاخْتَرَهُ بِهِ مَرْقَدًا تَهْنَأُ بِهِ رِمَمٌ  
فِي الضِّيقِ جَاءَ أَبُو إِسْحَاقَ<sup>(5)</sup> فَانْفَرَجَتْ  
«بَنُو هَلَالٍ» أَنَاخُوا حَوْلَهُ وَكَفُّوا  
وَهُمْ قَسَاوِرَةٌ ، لَكِنْ شُيُوخُهُمْ  
فَهَادَتْهُمُ أَهْلُهُ نَاسِينَ مَا جَهِدُوا  
وَرَكَّزُوا الضَّادَ فِي الْأَجْيَالِ وَاجْتَهَدُوا  
بِالْخُلْدِ فِي دَعَاةٍ ، شَأْنُ الْمَبَارِيرِ  
عَنْهُ الْهُمُومُ وَكَانَتْ كَالْجَنَازِيرِ<sup>(6)</sup>  
بِنَعْبَةٍ مِنْ ظَمًا مِنْ غَيْرِ تَنْغِيرِ<sup>(7)</sup>  
كَأَنُوجَاهِابِذَةً مِنَ الْقَسَاطِيرِ<sup>(8)</sup>  
مِنْ حَذَبٍ نَجْدٍ وَأَعْوَامٍ قَوَاشِيرِ<sup>(9)</sup>  
حَتَّى غَدَتْ لُغَةً الْأَسْوَاقِ وَالْدُّورِ



(5) هو أبو إسحاق الميعافري الفقيه وقد التجأ إلى المنستير عند محنته أمام المعز بن باديس سنة 438هـ وتوفي 443هـ ودفن بالقيروان وحضر جنازته المعز بن باديس نفسه. (6) الجنازير جمع جَازِير وهو السلاسل (7) «النغبة» هي القطرة الكافية ليل شفاء الظمان، و«التنغير» الشرب الكثير على الظما. (8) «قساورة» جمع قَسَوْر وهو الشجاع الجري، و«الجهابذة» جمع جَهَبَذ وهو العارف المميز لدقائق الأمور ، و«القساتير» جمع «قِسْطَار» وهو المجهذ. (9) «قواشير» جمع قَاشُور وهو السنة المجعدة .

## المنستير الصنهاجية

«صَنْهَاجَةٌ» الْخَيْرِ رُدُّوا شِرْعَةً صَمَدَتْ رَغَمَ الْعُتَاةِ وَ صَوَلَاتِ الْجَبَابِرِ  
وَوَسَّعُوا جَامِعًا ضَاقَتْ جَوَانِبُهُ وَعَمَّرُوا حَوْلَهُ بِكُلِّ مَيْسُورٍ  
بِقَصْرِ «سَيِّدَةٍ»<sup>(١)</sup> الْأَمْجَادِ فَافْتَحَرُوا أَحْجَارُهُ نُقِشَتْ بِالذِّكْرِ وَالتَّوَرِ  
وَذَاكَ مَسْجِدُهَا كَالْوَشْيِ نَقِشَتْهُ دَقَّتْ مَحَاسِنُهَا فِي عَيْنِ نَاطُورٍ  
يَا «آلَ صَنْهَاجَةٍ» هَذِي مَدِينَتُكُمْ فِيهَا مَضَاجِعُكُمْ لِنَفْخَةِ الصُّورِ  
نَامَتْ عِظَامُ «بُلْكَيْنِ» بِهَا شَرْفًا يَا خَيْرَ مَنْزِلَةٍ ضَمَّتْ «بَنِي زَيْرِي»<sup>(٢)</sup>  
بَكَتْ «وَرِ كْلَانُ»<sup>(٣)</sup> فِي تَضْيِيعِهِمْ أَسْفًا أَنْ لَمْ تَرَ مِثْلَ أَمْجَادِ «الْمُنْسْتِيرِ»  
فَصَارَ فِي خَلْفِ الْأَعْقَابِ سُنَّتَهُمْ حَتَّى الْمِعْزُ وَمَنْ رَبَّتُهُ فِي الْخَيْرِ  
سَنُوا بِذَلِكَ فِي الْأَتْبَاعِ فَاتَّخَذُوا فِيهَا قُبُورَهُمْ مِنَ الْمَخَايِيرِ  
مِنْهُمْ «أُمِّيَّةٌ»<sup>(٤)</sup> وَ «الْمَازَرِي»<sup>(٥)</sup> حَكِيمَا الدَّهْرِ، وَالْفُضْلَا أَهْلُ الْمَفَاخِيرِ  
وَالدُّورُ قَدْ ثَرَتْ مِنْ حَوْلِ مُتَبَذِّ «خِلْوِيَّةٍ»<sup>(٦)</sup> بُنِيَتْ مِنْ جَانِبِ السُّورِ

(1) هو «قصر السيدة» الموجودة الآن خرابته في مدخل نزل «اسبيلناد» وهو قبلة «الجامع الكبير» وبه مسجد ما زال قائما إلى الآن بسقفه ومحرابه المنقوش بنقش لا يختلف عن نقش محراب «الجامع الكبير». (2) من الثابت أن «بلكين بن زيري» مؤسس الدولة الصنهاجية مدفون بـ «المنستير» وقد نقل إليها بعد وفاته بالقولنج في «واركلان» ، ومشهد قبره هو الآن سارية من سوارى «مسجد الرحمة» بـ «الباب الغربي». (3) «واركلان» المكان الذي مات فيه بلكين بن زيري (4) «أُمِّيَّة» هو أبو الصَّلْت أُمِّيَّة بن عبد العزيز بن أبي الصلت الفاضل الشاعر الفلكي الحكيم (5) «المازري» هو الإمام المازري الفقيه الحكيم (6) «الخُلْوِيَّة» مكان قريب من السور ويترى إليه بدركات ثلاث أو أربع وكان مزارا حتى وقع هدم أسوار «المنستير» في عهد الإستقلال، ويتوقع أنما من الآثار الصنهاجية وقد تكون خلوة من خلوات بعض العباد والزهاد قرب حِجَام (سيدي عامر) .

حَلَّتْ بِهَا الْبَرَكَاتُ الْغُرُ، يَقْصِدُهَا طُلَابُهَا زُمْرًا عَقْدًا بِتَوْقِيرِ  
يَلْقَوْنَ مِنْ ثَمْرِ الْأَلْبَابِ مَا طَفَحَتْ أَوْطَابُ أَشْيَاحِهِمْ مِنْ كُلِّ مَبْرُورِ  
يُرَوُّونَ غَلَّتْهُمْ مِنْ فَيْضِ مَا عَرَفُوا وَيَرْجِعُونَ بِأَوْقَارِ النَّحَارِيرِ  
مِنْ فَهْمِ مَالِكٍ أَوْ رِسَالَةِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ، وَمِنْ سُنَنِ وَأَنْوَاعِ التَّفَاسِيرِ  
وَحِكْمَةٍ وَعُلُومِ الثَّقَلِ مَا اجْتَهَدَتْ فِيهِ الْعُقُولُ وَمَا صَحَّحَ عَنْ الْغَيْرِ



## إمارة تميم

فِي جَلِيلِهَا<sup>(١)</sup> إِنْ أَنْتَ يَكْفِي السَّيِّبُ<sup>(٢)</sup> وَفِي الإِدْبَارِ قَدْ أَبْطَلْتَ كُلَّ الْأَكَاسِيرِ<sup>(٣)</sup>  
لَمَّا تَوَلَّى «تَمِيمٌ» بَعْدَ وَالِدِهِ مُسْتَقْبَلًا صَامِدًا أَعْتَى الْمَعَاسِيرِ  
شَقَّ الْوُلَاةُ الْعَصَا يَحْدُوهُمْ طَمَعٌ فِي الْمُلْكِ إِذْ كُلُّهُمْ يَسْعَى لِتَأْمِيرِ  
وَأَسْتَغْفُوهُ كُلِّثَ شُجٍّ سَاعَدُهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ صَفِّهِ غَيْرُ «الْمُنْسْتِيرِ»  
عَاثَ الْخَوَارِجُ فِي كُلِّ الْبِلَادِ فَهَذَا «ابْنُ خُرَّاسَانَ»<sup>(٤)</sup> فِي بَعْضِ الْمَغَارِيرِ  
مِنْ أَهْلِ «تُونِس» قَدْ عَصَى وَغَرَّ بِهِمْ فِي شَرِّ مُعْتَمَةٍ قَيْدَ الْمَقَاطِيرِ<sup>(٥)</sup>  
فَجَاءَهُ وَائِبًا كَاللَّيْثِ، حَاصِرُهُ حَتَّى غَدَا تَائِبًا يَسْعَى لِتَكْفِيرِ  
أَلْقَى السَّلَاحَ وَ أَعْطَى الْعَهْدَ مُلْتَزِمًا أَشْرَاطَ سَيِّدِهِ فِي كُلِّ تَدْبِيرِ  
وَتَلَكَ «سُوسَةُ» قَدْ قَامَتْ فَحَاصِرَهَا حَتَّى اسْتَقَامَتْ لَهُ كَالثَّوْرِ لِلنَّيْرِ  
أَلْقَتْ لَهُ بِمَقَالِيدِ الْإِمَارَةِ لَا تَبْغِي سِوَى عَفْوِهِ وَ طَوْعَ مَأْمُورِ  
«عَبْدُ الْحَمِيدِ»<sup>(٦)</sup> احْتَسِبَ لِلَّهِ صُنْعَ تَمِيمٍ وَأَنْشَرِخَ، وَأَقْبَلْنَ عُذْرًا لِمَعْذُورِ  
فَالشَّيْخُ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْأَمْرِ مُتَّهِمٌ قَبْلَ السَّفِيهِ، وَذَا مِنْ سُوءِ تَقْدِيرِ

(1) تذكر بالمثل الدارج (إذا جات ثحبها سببية وإذا مشت تقطع السلاسل). (2) «السيب» واحده «سبية» وهو شعر ذيل الفرس. (3) «أكاسير» جمع «إكسير» وهو الجواهر العجيب الذي يُحيل المعادن ذهباً في الكيمياء القديمة. (4) هو «ابن خراسان» كان والياً «لتميم» بـ «تونس» فقام بما نأثراً، فحاصره «تميم» حتى نزل على شروطه وصالحه. (م. 2). (5) «المقاطير» جمع مقطورة وهي خشبة فيها خروق يُدخل فيها أرجل المساجين. (6) هو المفتي الزكي عبد الحميد الصائغ دفين سوسة والمتوفى سنة 486هـ وهو شيخ الإمام المازري وقد ضربه تميم في جماعة من أهل سوسة فانقطع الشيخ عن الناس ولزم داره، ورغم اعتذار تميم له لم ينشرح ولم يرجع إلى الفتيا إلا بعد دخول الإفرنج وذهاب دولة بني زيري. (م. 1)



أَمَّا تَمِيمٌ فَإِنَّ الْمُلْكَ يَدْفَعُهُ إِلَى ارْتِكَابِ الْخَطَا مِنْ كُلِّ مَحْظُورٍ  
فَجَنَدَ الْجُنْدَ مِنْ جَمْعِ الْبَرَابِرِ، وَالْأَعْرَابُ يُنْفِرُهَا صَوْتُ الدَّنَائِيرِ  
وَسَارَ مِنْ تَوَّهِ إِلَى «صَفَاقُس» كَيْ  
أَرْدَاهُ مُنْهَزِمًا يَجْرِي بِلَا مَهْلٍ مِنْ خَوْفِ صَاعِقَةٍ أَوْ وَقَعَ شَاقُورٍ<sup>(7)</sup>  
وَالنَّاظِرُ بْنُ عَلَاءِ النَّاسِ<sup>(8)</sup> عَادَ إِلَى  
لَوْلَا «رِيَّاحُ» تَصَدَّتْ فِي «سَبِيَّة»<sup>(9)</sup> لَمْ  
صَارَ الْعَدَى خَوَلًا مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِهِمْ وَهُوَ الطَّرِيقُ إِلَى حُسْنِ التَّدَايِيرِ  
فَصَاهَرَ «ابْنَ عَلَاءِ النَّاسِ» بِابْنَتِهِ فَكَانَ تَزْوِجُهَا إِخْمَادَ عَثِيرٍ<sup>(10)</sup>  
«بِلَارَةَ»<sup>(11)</sup> الْخَيْرِ كُونِي خَيْرَ مَنْ وَصَلَتْ

بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مِنْ صَدْعٍ لَتَجْبِرِ  
فَالْأَصْلُ أَنَّهُمْ أَبْنَا عُمُومَتِكُمْ وَالْخَرْقُ فِي الْحَجْرِ لَيْسَ بِمَبْرُورٍ  
عَلَّ الْخِصَامَ يَحْدُ مِنْ فِظَاعَتِهِ تَجْمِيعُ جَيْشِهِمَا لَصْدٍّ «رُوحِير»<sup>(12)</sup>  
أَوْ خَضْدِ شَوْكَةٍ مَنْ رَامَ الْخُرُوجَ عَلَى صَفِّ الْوِثَامِ بِأَوْهَامِ الْمَغَارِيرِ

(7) هو «حَمُو ابن فلفل البرغواطى» ثار ضد «تميم» بـ «صفاقس» فخرج إليه بالبربر والعرب من «زغبة» و«رياح» فهزمه إلى «قابس» وأجاره «ابن جامع» هناك فحاصر «تميم» «صفاقس» و«قابس» في نفس الوقت. (م. 2)، (8) «الشافقور» الداهية. (9) «الناظر بن علاء الناس بن حماد» ابن عم «تميم» وقد هاجم «إفريقية»، وباعت «رياح» منه «القيروان» فزل بها «بتو قرّة» وأطردوا منها «بني زغبة». (م. 2)، (10) «سببية» هنا هي مدينة «سببية» بالغرب التونسي. (11) «العثير» هو العثير وهو غبار سنايك الخيل. (12) «بِلَارَةَ» هي ابنة «تميم» وقد زوجها «للتناظر بن علاء الناس» حاكم «بحاية» فتكون بذلك نوع من الوفاق بين الدولتين (13) «روحير» هو «روحار Roger II» ملك النورمان الذي أخذ يهاجم «صقلية» ويحتلها مستعمرا للمسلمين بها (وقد أفق المازري في ذلك بعض فتاويه). (م. 12 و 2).

مِنْ بَعْدَهَا خَرَجَ «الصَّخْرِيُّ»<sup>(14)</sup> فِي حَشْدٍ

يَرْجُو مُحَاصِرَةَ الْأَقْيَالِ فِي الدُّورِ

«تَمِيمٌ» لَمْ يَنْتَظِرْ، بَلْ قَامَ يُطْرِدُهُ فَقَرَّ مِنْهَزِمًا فِي ثَوْبٍ مَقْهُورٍ

بِالْقِيَرَوَانِ احْتَمَى، لَكِنْ هَزِمَتْهُ تَوَاصَلَتْ وَلَقِيَ لَقْوًا<sup>(15)</sup> الْمَهَازِيرِ

(14) هو «مالك بن علي الصخري» وقد جمع جموعاً وحاصر بها «المهدية» فخرج إليه «تميم» وهزمه إلى «القيروان» ثم أطرده منها. (م. 2). (15) لقي لقواً أصيب بالقوة وهو داء اعوجاج الشدق إلى أحد الجانبين وهو من أمراض الأعصاب، والمهازير المصاريح (مهزور مصروع). وهو كناية عن الخوف الشديد.

## أطماع النورمان

كَانَ قِتَالُ «تَمِيمٍ» لِلْبُعَاةِ حَكِيمًا كَيْ يَقْرِبَهُ دِسْتُ الْعَنَاتِيرِ  
 لَكِنَّ مَوْقِعَهُ مَا زَالَ مُضْطَرِبًا مَا بَيْنَ قَلْعَةِ «حَمَاد» <sup>(1)</sup> وَ«رُوحِير»  
 فَاسَارَ يَرْدُغُ «نُرْمَانًا» وَقَدْ زَحَفُوا فَأَوْقَفَ الزَّحْفَ لَكِنْ دُونَ تَعْزِيرِ  
 أَصْلَى «صِقْلِيَّةً» أَفْلَاذَهُ أَمَلًا فِي رَدِّ أَمْجَادِهَا أَوْ بَعْضِ مَأْثُورِ  
 فَحَازَ «أَيُوبُ» «بِالرُّمُو» وَمَا مَعَهَا وَ جَازَ «مَازَرَةَ الْوَادِي» بِتَقْدِيرِ  
 «جَرْجَنْتِيَا» لـ «عَلِيٍّ» لَمْ تَدُمْ سَكْنَا إِلَّا لِبِضْعَةِ أَعْوَامٍ <sup>(2)</sup> فَوَاشِيرِ  
 لَمْ يَسْتَطِيعْ أَنْ يَرَى فِيهَا مَسَرَّتَهُ أَوْ أَنْ يَقُومَ بِإِصْلَاحٍ وَتَعْمِيرِ  
 حَتَّى انْتَبَرَتْ مُدُنٌ فِي خَضَدِ شَوْكَتِهِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ تِلْكَ الدُّورِ  
 وَعَادَتْ الْحَرْبُ فِي أَرْضِ الْحُنُوبِ فَكَـ

رَ «ابْنُ الْمُعِزِّ» لِتَخْضِيدِ وَ تَخْدِيرِ  
 بـ «قَابِسٍ» قَامَ «مَكِّي» <sup>(3)</sup> بِجِجِرَتِهِ لِلـ «بُرْغَوَاطِيٍّ» مِنْعًا دُونَ تَبْرِيرِ  
 فَاغْتَاظَ مِنْهُ «تَمِيمٌ» وَاسْتَدَارَ لَهُ وَكَرَّرَ لِلْحَرْبِ فِي أَعْتَى الْمَغَافِيرِ  
 إِلَى «صَفَاقْسٍ» عَادَ لِلْحِصَارِ وَقَدْ رَمَى بـ «قَابِسٍ» أَطْنَابَ الْحَوَاصِيرِ  
 وَهَكَذَا أَطْمَعُوا الْأُرُومَ فِي بَلَدٍ لَمْ تَسْهَ أَعْيُنُهُمْ عَنْهُ بِتَفْتِيرِ

(1) «قلعة بني حماد» وهي مصدر قلق لـ «تميم» في ملكه وغلطة (بلكين) في تقريب بني العم وعصيان وصية الفاطمي وهي عدم تقريب أبناء القرابة لطمعهم وعدم احترامهم لولي نعمتهم القريب. (م. 122). (2) لَمْ يَتِمَّكَنَ «علي» من البقاء بـ «جرجنتيا» غير أربع سنوات ثم قام النورمان عليه. (3) هو «مكي بن كامل بن جامع» صاحب «قابس» وهو أمير دولة «بني جامع» بها. (م. 2).

وَكَانَ «جَنُوزِيزَ وَالْبِيسَانَ»<sup>(4)</sup> قَدْ جَمَعُوا  
فَأَطْرَدُوهُمْ إِلَى «مَهْدِيَّة» وَسَعَوْا  
مِنْ «جَنُوة»<sup>(5)</sup> جَاءَتِ الْأَعْلَاجُ تَنْهَبُهَا  
وَقَاوَمَ النَّاسُ، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ  
فَازَرَتْ وَحَمَتِ أَبْنَاءَ بَعْدَتِهَا  
وَاسَتْ، وَمَا شَأْنُ الْأَسَاةِ سِوَى  
لِلْعَزْوِ: أَوَّلُهُ طَرْدُ «بَنِي زِيرِي»  
لِعَزْوِ سَاحِلَهَا مِنْ دُونِ تَأْخِيرِ  
تُذِيقُ سُكَّانَهَا شَرَّ الْمَحَازِيرِ  
غَيْرِ الْفِرَارِ إِلَى حِصْنِ «الْمُنْسْتِيرِ»  
وَأَطْعَمَتْ وَسَقَتْ فِي غَيْرِ تَقْتِيرِ  
تُخْفِفُ نَائِبَةً عَنْ نَفْسِ مَقْهُورِ



(4) «جنوزيز والبيسان» Les Genoio et les Pisans وهم ملوك الطوائف الإيطالية التابعين للملك «روجار» وقد هاجموا «المهدية» في غياب «تميم» في حصار «صفاقس» و«قابس» معاً. (م.12). (5) «جنوفا» هي الاسم الأصلي لـ «جنوة» ومنها خرجت المراكب لغزو الساحل التونسي. (م.16).

## زروع السلف حصاد الخلف

قَضَى «تَمِيمٌ» أَسَى، وَقَلْبُهُ حَرَجٌ  
«فَالْقَصْرُ وَالْبَحْرُ الْبُسْتَانُ فِي نَسَقٍ»<sup>(1)</sup>  
ضَاعَتْ «صَقْلِيَّةٌ» مِنْ قَبْلِ «أَنْدَلُسٍ»  
«جَرَجِيسُ»<sup>(3)</sup> مَا كَانَ يَوْمًا لِلْوِزَارَةِ صَا  
وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَافًا فِي مُطَارَدَةٍ  
«يَحْيَى»<sup>(4)</sup> سَيِّعِبُهُ رَدُّ الْبُعَاةِ، وَقَدْ  
لَكِنَهَا لَمْ تَكُنْ بِالنَّصْرِ مُسْعِفَةً  
هَذِي السَّوَا حِلُّ قَدْ بَاتَتْ مُهْيَاةً  
فَمَالَ «جَرَجِيسُ» لَا يَسْعَى لِكَسْبِ يَدٍ  
يُهْدِيهِ نَصْرًا عَلَى أَعْدَائِهِ وَلَقَدْ  
فِي الْبَحْرِ «أَغْرِبَةُ»<sup>(5)</sup> فِي أَهْبَةِ جَهَزَتْ  
إِبْجَارُهُ هَيِّنٌ عِنْدَ الصَّلَاةِ<sup>(6)</sup> وَقَدْ

أَلْفَى مَحَاذِيرَهُ مِنْ سُوءِ تَذْبِيرٍ  
لَمْ تَسْتَطِعْ أَبَدًا رَدًّا لِلْمَقْدُورِ  
يَا حَيَّةٌ لَحِقَتْ نَجْلُ الْعَوَاتِيرِ<sup>(2)</sup>  
لِحَا، وَلَا وَرَعًا عَنْ غَدْرِ مَعْدُورٍ  
يَصْطَادُهُ سَافُهُ صَيْدِ الْعَصَافِيرِ  
أَلَقْتُ «قَلْبِيَّةٌ» مِنْدِيلَ مَقْهُورٍ  
وَلَتَحِمَ حَوْزَتَهَا فِي دَفْعِ مَحْذُورٍ  
مَا مِنْ حُمَاةٍ لَهَا فِي ذِي الْأَعَاصِيرِ  
بَيْضَاءَ تَنْفَعُهُ فِي مُلْكٍ «رُوحِيرٍ»  
كَأَتْ رَسَائِلُهُ فِي كَشْفِ مَسْثُورٍ  
تَرْجُو إِشَارَتَهُ لِلْبَدءِ فِي السَّيْرِ  
أَعَدَّ عُدَّتَهُ لِعُنْمِ تَهْجِيرٍ

- (1) صدر بيت من شعر تميم بن المعز بن باديس: وَالْقَصْرُ وَالْبَحْرُ وَالْبُسْتَانُ فِي نَسَقٍ وَنَحْنُ فِي مُشْرِفٍ مِنْ مَنْظَرٍ بِهِج  
(2) «العواتير» جمع عتار وعتور وهو الشجاع القوي. (3) هو «جرجيس الأنطاكي» (Georges d'Antioche) استوزره «تميم» فكان عينا عليه لفائدة «روحار الثاني»، يبيعه أسراؤه حتى خذله في أولاده من بعده. (م. 12و2).  
(4) هو «يحيى بن تميم بن المعز» خلف أباه على ملك بني زيري وفتح «قليبية» التي استعصت على أبيه، لكنه بقي يقاوم الثورات والهجمات النورمانية حتى الموت. (م. 12و2). (5) «أغربة» مفردة «غراب» وهو المركب الشرعي الضخم الذي كان يحوب البحر الأبيض المتوسط في القرون الوسطى وهو للقراصنة والتجار وهو مزود بالمدافع والبارود. (6) اغتم اجتماع الناس في صلاة الجمعة وخرج بحرا إلى «صقليّة». (م. 12و2).

سَارَتْ مَرَآكِبُهُ تَبْغِي «صِقْلِيَّةً»  
لَكِنَّ «يَحْيَى» حَرِيْزٌ فِي إِمَارَتِهِ  
قَادَ الْأَسَاطِيلَ لِلْأَرْوَامِ يُرْهِبُهَا  
أَصْلَى الْعَدُوِّ حُرُوبًا لَيْسَ يَعْرِفُهَا  
وَمَاتَ فِي عِزِّهِ لَكِنَّ وَلَايَتَهُ  
بِالْعَدْرِ قَدْ وَقُرَتْ، يَا شَرَّ تَوْفِيرٍ!  
بِحَجَرَةٍ قَدْ قَضَى الْقَامَ مَفْغُورٍ  
فِي كُلِّ عَامٍ، فَتَأْتِي بِالتَّبَاشِيرِ  
لَكِنَّهُ لَمْ يُعِدْ مَجْدَ السَّوَابِرِ<sup>(6)</sup>  
لَمْ تَبْلُغْ أَبَدًا بِوَمُضَةِ النُّورِ.



(6) «السوابير» جمع سبور وسابور وهو نوع من السباع الإفريقية، كناية عن أجداده .

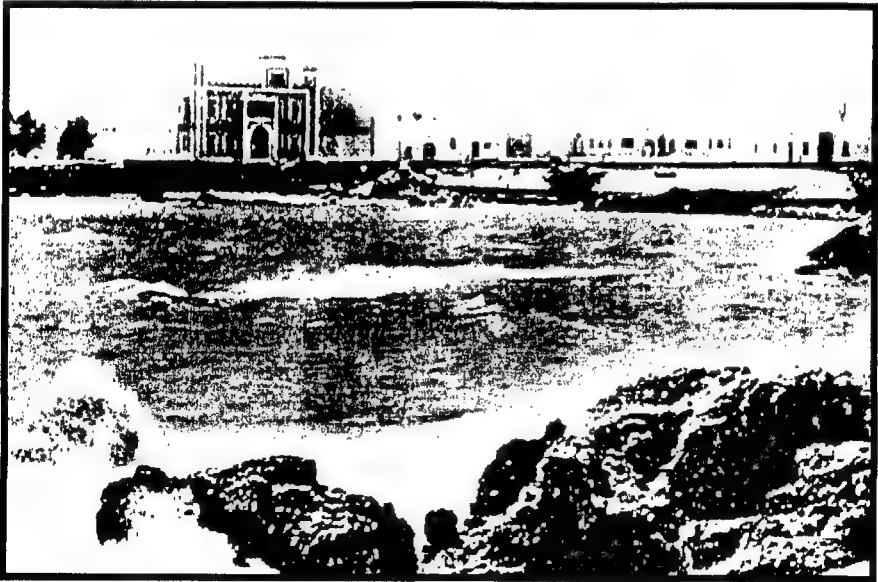
## ولاية علي بن يحيى الصنهاجي

سَعَى «عَلِيٌّ»<sup>(١)</sup> إِلَى تَخْفِيفِ وَطْأَتِهَا  
تَخْلِصُ «جَرَبَةَ» مَشْرُوعٌ يَنَالُ بِهِ  
هَيَّا لِحَرْبِهِ أَسْطُولاَ مَرَآكِبُهُ  
سَارَ إِلَى «جَرَبَةَ» مُسْتَفْتَحًا فَهَوَتْ  
قَامَتْ تُنَاكِدُهُ فِي الْمُلْكِ «حَاضِرَةٌ»<sup>(٢)</sup>  
فَانْصَاعَ صَاحِبُهَا<sup>(٣)</sup> مُسْتَسْمِعًا وَجَلًّا  
«وَسَلَاتٌ»<sup>(٤)</sup> لَمْ يَنْتَظِرْ أَنْ جَاءَهُ مَدَدٌ  
وَرَافِعُ الْجَامِعِيِّ<sup>(٥)</sup> لَمْ يَكُنْ وَرِعًا  
سَارَتْ مَرَآكِبُهُ فِي الْيَمِّ سَابِحَةً  
فَاغْتَاظَ مِنْهُ «عَلِيٌّ» ثُمَّ أَبَتْهُ  
فَخَفَّ مُسْتَنْجِدًا بِالرُّومِ فِي خَوَرٍ  
فَقَامَ يُنَجِّدُهُ بِالْجَيْشِ عَنْ عَجَلٍ  
وَقَادَهُمْ رَافِعٌ لِعَزْوِ «مَهْدِيَّةٍ»

لَكِنَّ حِمْلَهُ أَمْسَى جِدَّ مَوْقُورٍ  
إِرْعَادَ أَعْدَائِهِ حَتَّى الْمَفَاهِيرِ<sup>(٦)</sup>  
لَمْ تَخْشَ فِي سَيْرِهَا أَعْتَى الْأَعَاصِيرِ  
وَحَارَ صَامِدُهَا قُدَّامَ عُتُورٍ<sup>(٧)</sup>  
فَعَاجَ يَخْنُقُهَا تَوًّا بِأُظْفُورٍ  
يَرْجُو بِمِيشَاقِهِ رَدَّ الْفَوَاقِيرِ  
حَتَّى غَدَا خَرِبًا جَهَّمَ الْأَسَارِيرِ  
فِي غَدْرِ مَوْلَاهُ بِالْعِصْيَانِ وَالْجُورِ  
تَنَسَّابُ فِي دِعَاةٍ رَغَمَ التَّحَاذِيرِ  
مُهَدِّدًا بِاعْتِرَاضٍ لِلْمَوَاحِيرِ<sup>(٨)</sup>  
وَارْتَدَّ مُنْطَرِحًا فِي حِجْرِ «رُوحِيرٍ»  
وَجَمَعَ الْعُرْبَ تَجْمِيعَ الصَّعَارِيرِ<sup>(٩)</sup>  
فِي ضَمِّهَا طَامِعًا بِالْمَجْدِ وَالْخِيرِ

(1) هو «علي بن يحيى بن تميم» ولي بعد أبيه في سنة 509 هـ وتوفي سنة 515 هـ. (م.2). (2) «المفاهير» جمع مفاهير وهي لحم الصدر . وارتعاشها كناية عن الرهبة والخوف. (3) «عتور» و عتار وهو الشجاع القوي. (4) هي «تونس الحاضرة» . (5) هو أميرها «أحمد بن خراسان» . (6) «وسلات» هو «جبل وسلات» وقد ثار العربان به وأفسدوا فبعث إليهم «علي بن يحيى» جيشا فشردهم. (7) هو «رافع بن مكى» أمير «قابس» وهو عامل «علي بن يحيى» عليها. (م.2). (8) «المواخير» جمع ماخرة وهي السفينة تُمخِرُ عِبابَ البحر. (9) «الصغارير» مفردة «الصعور» وهو البسيط المتكبر سيء الخلق .

لَكِنَّهُ خَابَ، إِذْ أَغْرَى الْجِيُوشَ «عَلِيٌّ» بِالْعَطَايَا وَإِسْبَالِ السَّوَاتِيرِ  
وَضَاعَ مَأْمُولُهُ فِي مُلْكٍ «مَهْدِيَّةٍ» وَعَادَ مُكْتَفِيًا مِنْهَا بِقِطْمِيرِ  
«رُوحَارٍ» لَمْ يُرْضِهِ دَحْرٌ لِصَاحِبِهِ فَأَرْكَبَ الْجَيْشَ أَصْنَافَ الْعَمَائِرِ<sup>(10)</sup>  
رَأَى «عَلِيٌّ» جُيُوشًا مَا لَهَا عَدَدٌ فَخَافَ مِنْ شَرِّهَا خَوْفَ النَّحَارِيرِ  
فَعَزَّزَ الْبُرْجَ<sup>(11)</sup> بِالْأَجْنَادِ تَحْرُسُهُ وَأَغْدَقَ الْمَالَ سَمْحًا بِالْقَنَاطِيرِ  
وَسَارَ بَيْنَهُمَا السُّفَارُ فِي غَضَبٍ كُلُّ يُلُوحٍ فِي غَيْظٍ بِتَذْمِيرِ  
نَادَى «عَلِيٌّ» سَمِيًّا لَيْسَ يَخْذُلُهُ هُوَ «ابْنُ يُوسُفَ»<sup>(12)</sup> لَكِنْ بَعْدَ تَأْخِيرِ  
فَإِنَّ صَلَاحًا جَرَى، لَمْ يُبَيِّنْ عَنْ تِقَّةٍ أَجَلَى الْجِيُوشَ وَلَكِنْ دُونَ تَغْيِيرِ



(10) «العمائر» جمع «عمائر» وهذه هي جمع «عمارة» وهي قطعة (المركب) البحرية . (11) هو برج «المهدية»  
القائم إلى الآن. (12) هو «علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي» أمير المسلمين بـ «مراكش»، تولى الإمارة سنة  
500هـ/1107م إلى 537هـ/1143م. (2.م).



## الإمام المازري وفتاويه

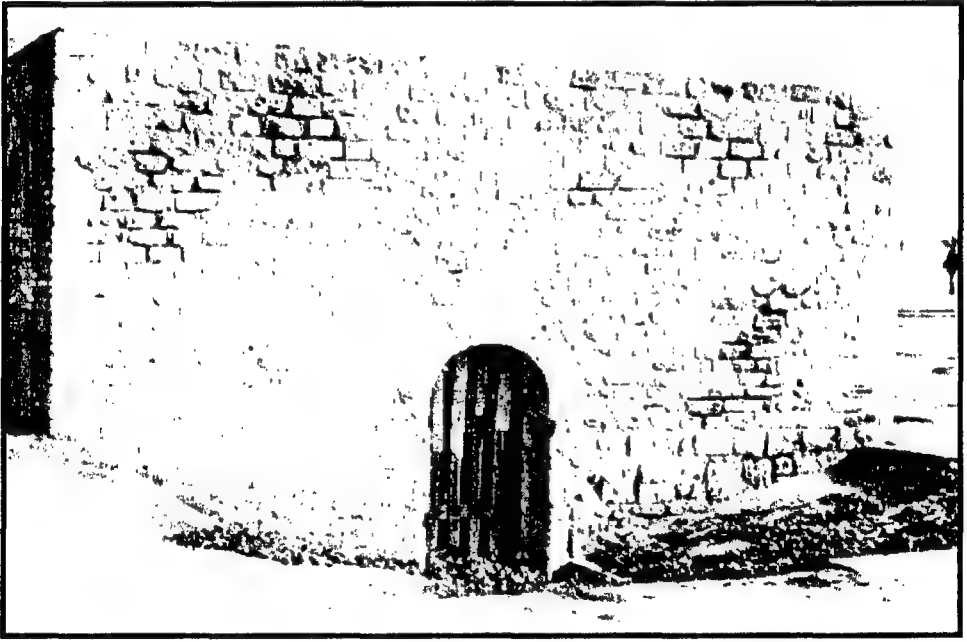
يَا «مَازِرِيُّ» <sup>(١)</sup> أَمَا أَشَجَّتْكَ بَاكِئَةٌ  
«مَهْدِيَّةٌ» أَصَبَتْ نَهْبًا لِمُعْتَصِبٍ  
وَالنَّاسُ قَدْ ضَعُفَتْ فِيهِمْ عَزَائِمُهُمْ  
عَلَى شَجَاعَتِهِمْ طُولُ الْخِلَافِ أَتَى  
هَذِي «الْمُنْسْتِيرُ» مَا زَالَتْ مُرَابِطَةٌ  
تَحْمِي بِأَبْطَالِهَا فِي الْحَرْبِ حَوَزَتَهَا  
فَالْخَرْقُ مُتَّسِعٌ ، وَالرَّثَقُ مُمْتَنِعٌ  
رُوحُ الْفِدَا ضَعُفَتْ فِي النَّاسِ فَالْتَمَسُوا  
يَا «مَازِرِيُّ» أَقِمْ فَقْهَا لِمَذْهَبِ مَا  
سَارَتْ فِتَاوِيكَ فِي الْأَصْقَاعِ مُنْجِدَةً  
حَطَّتْ عَنِ الْعَاتِقِ الْمَكْدُودِ مَوْجِدَةً  
«أَيَهْجُرُونَ بِلَادًا هِيَ مَوْطِنُهُمْ  
أَمْ يَمْكُثُونَ جِهَادًا عَلَّ أَنْ يَجِدُوا  
قَالَ الْإِمَامُ وَقَدْ لَاحَتْ لِنَظَرِهِ الْفِتْوَى مُرَجَّحَةً مِنْ غَيْرِ تَغْرِيرِ  
«إِنْ يَمْكُثُوا فَلَهُمْ أَجْرُ الْجِهَادِ إِذَا

تَبَكَّى زَمَانًا مَضَى بِالْعِزِّ وَالْخَيْرِ  
قَدْ ضَلَّ أَصْحَابُهَا فِي لَيْلِ دَيْجُورِ  
ضَاعَتْ مَوَاقِعُهُمْ فِي خَطِّ عُجْرُورِ <sup>(٢)</sup>  
وَالضُّعْفُ أَوْرَثَهُمْ خَوْفَ الصَّرَاصِيرِ  
تُحَارِبُ الزَّيْفَ مِنْ نَشْرِ «النَّوَاكِيرِ»  
وَعَيْرُ حَوَزَتِهَا لَيْسَ بِمَقْدُورِ  
وَالظُّهْرُ مُنْقَطِعٌ ، وَالْقَلْبُ فِي ضَيْرِ  
لِلْحَقِّ حَامِيَةٌ مِثْلَ «الْمُنْسْتِيرِ»  
لَكَ فَقَدْ فُقِتَ فِي فَهْمٍ وَتَفْسِيرِ  
أَهْلُ الْحِجَى مِنْ ذَوِي الْأَحْلَامِ وَالنُّورِ  
مِنْ خَرْقِ عَادَاتِهِ أَوْ فِعْلِ مَحْظُورِ  
قَدْ حَاذَهَا بِاطِلًا جَيْشٌ لـ «رُوحِيرِ»  
لِلَّيْلِ مُنْبَلَجًا مِنْ بَعْدِ دَيْجُورِ؟ «  
لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَهُمْ مِنْ شِدَّةِ الضَّيْرِ»

(1) هو «أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المهدوي» ولد سنة 453 هـ / 1058 م وعاش 83 سنة. وتوفي سنة 536 هـ ودفن بـ«المنستير» مدفن أهل المهدية آنذاك (م.6). (2) «عجورور» واحد العجاجير وهي خطوط الرمل ترسمها الرياح .

يَا «مَازَرِي» اجْتَهِدْ فِي الدِّينِ عَنْ وَرَعٍ  
وَأَتْرُكْ لَهُمْ أَدَبًا فِي «مُعَلِّمٍ»<sup>(3)</sup> زَحَرَتْ  
لَعَلَّ فِي ظُلْمَةِ الْأَحْدَاثِ نَذْرُهَا  
هَذَا «ابْنُ تُوْمَرْتٍ»<sup>(4)</sup> آتٍ مِنْ مَشَارِقِهَا  
أَوْعِزْ لَهُ عَمَلًا فِي بِلْدَةٍ تَعِبَتْ  
أَوْعِزْ لَهُ جَاهِدًا تَغْيِيرَ مُنْكَرِهَا

قَدْ قَادَ أَكْثَرَهُمْ سَوَاطِ الدَّنَائِرِ  
أَوْرَاقُهُ يَبْوَاقِيَتْ التَّذَاكِيرِ  
فَنَسْتَنِيرُ بِهَا وَقْتَ الدِّيَاجِرِ  
مُحَمَّلًا بِعُلُومِ الدِّينِ وَالْخَيْرِ  
مِنْ فِسْقِ أَصْحَابِهَا مِنْ دُونِ تَوْقِيرِ  
فَالْحَالُ قَدْ عَفَنْتَ مِنْ طُولِ تَأْخِيرِ



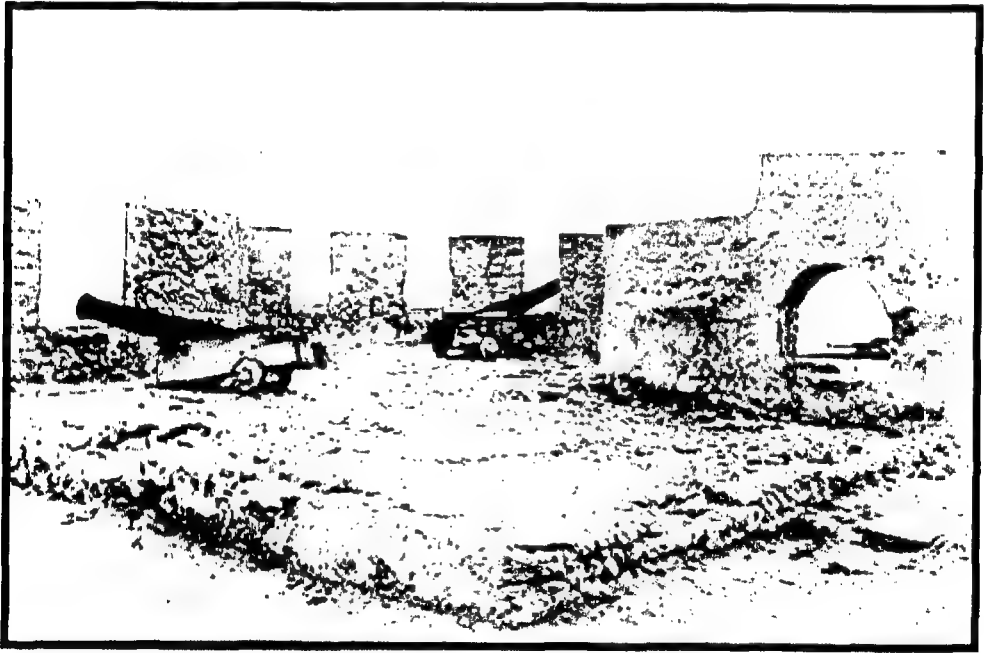
(3) الكتاب هو «المعلم بفوائد مسلم» ألفه الإمام «المازري» في تفسير صحيح مسلم. (م)، 18 الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الإمام المازري وكتابه المعلم. (4) هو «محمد المهدي بن تومرت» درس في المشرق عن الإمام «أبي حامد الغزالي» فأخذ عنه الفلسفة وروحه الإصلاحية، ونزل «المهدية» فأتصل بالإمام «المازري» الذي فتح له أبواب الاجتهاد في مذهب «مالك بن أنس» مع التمسك بالسنة والأصول. (م.6).

## نَهَايَةُ الصَّنَهَاجِيِّينَ

(الْأَمْرُ لِلَّهِ مِنْ قَبْلِ وَ بَعْدُ) إِذَا  
هَذَا «عَلِيٌّ» تَخَلَّى لِابْنِهِ «حَسَنٌ» (١)  
مَوْلَاهُ «صَنْدَلُ» (٢) قَدْ يَكْفِيهِ مُؤْتَتَاهَا  
صَارَتْ سَفِينَتُهُمْ فِي الْبَحْرِ ضَائِعَةً  
«رُوحَارُ» أَطْمَعَهُ سِنَّ الْغُلَامِ وَقَدْ  
أَضْرَى بِهِ السُّقْمُ وَارْتَجَّتْ جَوَانِحُهُ  
فَاسْتَجْمَعَ «الْحَسَنُ» الْأَجْنَادَ فِي عَدَدِ  
بِرَأْسِ دِيْمَاسٍ قَامَ الْقَصْرُ فِي شَرَفِ  
بِهِ احْتَمَتْ فِرْقَةٌ مِنَ الْعُزَاةِ (٣) تَظُنُّ  
فَاصْطَادَهَا عَسْكَرُ التَّوْفِيقِ دُونَ عَنَا  
وَكَانَ فِي ذَاكَ لِلْأَعْدَاءِ مَوْعِظَةٌ  
«أُمِيَّةٌ» (٤) الشُّعْرَا خَلَّدَ فِي الْوَرَى أَثْرًا  
أَجْنَادُ «رُوحَارُ» فِي الْأَعْمَاقِ قَدْ غَرِقَتْ  
أَجْرَى الْأُمُورَ عَلَى وَفْقِ الْمَقَادِيرِ  
وَلَمْ يَزَلْ يَافِعًا غَضًّا الْأَظَافِيرِ  
لَكِنَّ دَوْلَتَهُمْ أَلَتْ لَتَثْبِيرِ  
ضَيَاعَ قَارُورَةٍ فِي كَفِّ سَكِيرِ  
بَاتَتْ عَمَائِرُهُ كَصَدْرِ مَصْدُورِ  
لَا شَيْءَ يُمَسِّكُهُ مِنْ شِدَّةِ الضَّرِيرِ  
لَمْ يَجْتَمِعْ قَبْلَهُ لِلْجَدِّ «مَنْصُورُ»  
يُغْرِي الْمَرَائِبَ بِالْأَزْوَادِ وَالْمِيرِ  
نُ الْأَمْنِ فِي رَحْبِهِ مِنْ وَرَا السُّورِ  
أَخَذَ مُقْتَنَصٍ غَرَّ الْعَصَافِيرِ  
وَكَانَ فِي ذَاكَ تَثْبِيْتُ لِمَازُورِ  
وَارْقُمَ مَآثِرَهُ ضَمْنَ الْمَآثِيرِ  
بَرِيحَ نَحْسٍ عَلَتْ حُمَى الْأَعَاصِيرِ

(1) هو «الحسن بن علي بن يحيى بن نعيم» آخر ملوك الصنهاجيين ، تولى الحكم بحياة والده وبويع بعد وفاته في نفس سنة 515 هـ وعمره 12 سنة . (م. 12 و 2) . (2) «صندل» قائد جيوش «علي» وقد قام بتدبير الدولة أيام «الحسن» وكان أميناً لسيده . (م. 12 و 2) . (3) «القصر» هو قصر «ديماس» احتفى به طائفة من النصارى فأخذهم المسلمون . (م. 12 و 2) . (4) هو الشاعر الفاضل أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت ولد بدانية سنة 460 هـ وتوفي بالمهدية سنة 529 هـ ودُفِنَ بالمنستير وهو أديب شاعر وطبيب حكيم وفلكي عاش في قصر علي بن يحيى بن نعيم الصنهاجي وكتب كتباً عديدة.

لَمْ يَنْجُ مِنْ خَيْلِهَا إِلَّا فَوَارِسُ قَدْ أَلْقَتْ بِهِمْ غَرَقًا فِي عُمُقٍ مَوْهُورٍ<sup>(5)</sup>  
 لَكِنَّ «رُوحَارَ» لَمْ يَأْسُ وَبَاتَ يُفَا رِصُ السَّوَانِحِ مِنْ شُغْلٍ وَتَقْصِيرِ  
 لَمْ يَنْسَ مَأْرَبَهُ رَغَمَ الْفَوَاجِعِ وَالْآلَامِ يَجْرُعُهَا جَرَعُ الْمَحَارِيرِ<sup>(6)</sup>  
 حَتَّى أَتَى «ابْنُ الْعَزِيزِ»<sup>(7)</sup> غَازِيًا «حَسَنًا» فَأَنْقَضَ يُنْجِدُهُ فِي قَفْزِ سَابُورٍ<sup>(8)</sup>  
 مِنْ دُونِمَا طَلَبَ أُرْسَتْ مَرَاجِبُهُ فِي بَحْرِ «مَهْدِيَّةٍ» مِنْ غَيْرِ تَأْخِيرِ  
 تَرَجَعَ «يَحْيَى» عُزُوفًا عَنْ مَوَاقِعِهِ وَصَارَ سَاحِلُنَا فِي كَفِّ «رُوحِيرٍ»



(5) المكان الموهور هو الذي لا مخرج منه. (6) «المحارير» جمع محرور أي المهموم؛ مرتفع الحرارة. (7) هو «يحيى بن العزيز الحمادي» صاحب «بحاية» أطعمه أهل «المهدية» بتسليمها إليه إثر الغدال «الحسن» أمام «روحار» وهدنته معه على مضض وكان ذلك سنة 529هـ. (م.2). (8) «السابور» والستور جمعه «السوابير» وهو نوع من السباع الإفريقية.

## الموجة المألحة

وَحَانَ «رُوحَارُ» عَهْدًا كَانَ مَعَ «حَسَنِ»  
 فَعَاتَ فِيهَا مُنْكَالًا وَمُنْتَقِمًا  
 وَالنَّاسُ أَوْدَى بِهِمْ عُرْيٌ وَمَسْعَبَةٌ  
 لَمْ تَنْجُ مِنْ شَرِّهِ إِلَّا «قَلِيلِيَّةٌ»  
 وَقَاوَمَ النَّاسُ عَنْ حِصْنٍ «سَقَانِصِهِمْ»  
 حَمَرَاءَ قَانِيَةٍ تَسْعَى بِهَا رَحْمٌ  
 فَهَذِهِ مَوْجَةٌ كَالدَّمْعِ مَالِحَةٌ<sup>(١)</sup>  
 وَ«الْمَازِرِيُّ» سَرَتْ أَنْفَاسُهُ لِحِنَا  
 فِي حَنَّةٍ زُخْرَفَتْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ  
 يَا «مَازِرِيُّ!» اسْتَرَحَ فِي تُرْبِهَا فَلَقَدْ  
 مَا زَالَ حَيْهُهُمْ لَا يَنْثَنِي أَبَدًا  
 لَنْ يَهْنَأَ الرُّومُ فِي أَرْجَائِهَا أَبَدًا  
 وَحَلَّ «رُوحَارُ» فِي «مَهْدِيَّةٍ» وَمَضَى  
 أَقَامَ دَوْلَتَهُ مُتَّخِذًا لَقَبَ «الْمُعْتَزِّ بِاللَّهِ»<sup>(٢)</sup> فِي ضَرْبِ الدَّنَانِيرِ  
 وَلَمْ يُرَاعِ حُقُوقَ الْعَقْدِ فِي جُورِ  
 وَجَاءَ جَدْبٌ فَأَوْدَى بِالْمَذَاحِيرِ  
 وَالْمَوْتُ أَبَدَى لَهُمْ أَثْيَابَ تَكْشِيرِ  
 وَإِثْرَهَا «تُونِسُ» أُمُّ الْحَوَاضِيرِ  
 حَتَّى غَدَتْ أَرْضُهُمْ مِنْ بَعْدِ تَخْضِيرِ  
 تَقَاتَتْ مِنْ جَيْفِ الْأَرْوَامِ وَالْمُورِ  
 أَوْدَتْ بِأَبْطَالِهَا الْعُرَّ الْمَعَاوِيرِ  
 نِ الْخُلْدِ وَادِعَةً مِنْ فِعْلِ مَبْرُورِ  
 ذَابَتْ مَتَاعِبُهُمْ فِي صُحْبَةِ الْحُورِ  
 خَلَدَتْ ذِكْرَاكَ فِي ذِكْرِ «الْمُنْسْتِيرِ»  
 عَنْ كَيْدِ أَعْدَائِهِمْ أَوْ حَفَرِ أَحْفُورِ  
 مَا دَامَ فِي كَفِّهِ نَصْلٌ لِأَفْطُورِ<sup>(٣)</sup>  
 مُسْتَفْتَحًا عَهْدَهُ بِالْعَدْلِ لَا الْجُورِ  
 أَقَامَ دَوْلَتَهُ مُتَّخِذًا لَقَبَ «الْمُعْتَزِّ بِاللَّهِ»<sup>(٣)</sup> فِي ضَرْبِ الدَّنَانِيرِ

(1) إشارة إلى أسطورة «المنستير» (الموجة المألحة التي تعقبها الموجة الحلوة). (2) «النصل الأفطور» الذي به تشقق فهو لا يقطع. (3) لقب «روحار» نفسه بلقب «المعتز بالله» على هيئة خلفاء وأمراء المسلمين للتغريب بالجماهير، لأنه إن تظاهر بالإسلام فهو يكسب عطف الناس جميعا ويدخلون في طاعته غير ملتفتين لجنسيته، وضرب الدنانير بهذا الاسم باللغة العربية من أحد الوجهين، ومن الوجه الآخر «الملك روحار الثاني» (م، 19).

شَعَائِرُ الدِّينِ فِي أَوْقَاتِهَا حُفِظَتْ  
 يُقْضَى بِأَفْضَىةِ الْإِسْلَامِ بَيْنَهُمْ  
 فَاعْتَرَى نَاسٌ، وَقَامَ الْبَعْضُ يَخْدُمُهُ  
 وَالنَّاسُ يُعْرِيهُمْ صَوْتُ الْقَوِيِّ إِذَا  
 وَيَقْمَعُونَ الَّذِي يَنْغِي تَصِيحَتَهُمْ  
 وَهَذِهِ سُنَّةٌ فِي النَّاسِ مَا وَجَدُوا  
 وَعَادَةُ النَّاسِ لَمْ تُنَلِّ بِتَغْيِيرِ  
 لَكِنْ زَكَائِهِمْ لِصَالِحِ الْغَيْرِ  
 وَالنُّصْحَ يَمَحُضُ فِي جِدِّ وَتَشْمِيرِ  
 نَادَى بِمَا رَغِبُوا مِنْ دُونِ تَفْكِيرِ  
 فِي غَيْرِ مَا سَطَوَةَ أَوْجَاهِ تَحْذِيرِ  
 فَدَيْنُهُمْ دِينَ مَنْ يَحْطَى بِتَأْمِيرِ



## الموجة الحلوة

مَنْ يَفْضَحِ الْبَاطِلَ الْمَكْذُوبَ فِي بَلَدٍ قَامَتْ بِهِ دَوْلَةٌ بِالْعَدْرِ وَالزُّورِ؟  
 يَا «ابْنَ عَلِيٍّ!»<sup>(١)</sup> أَلَمْ تَسْتَنْبِ «ابْنَ عَلِيٍّ» مَا الَّذِي قَدْ جَرَى مِنَ الْمَقَادِيرِ  
 يَا «ابْنَ عَلِيٍّ!» أَلَا اللَّهُ مِنْ رَجُلٍ يَجْلُو الْهُمُومَ وَيَشْفِي صَدْرَ مَقْهُورٍ  
 «رُوحِي» قَدْ مَلَكَ الْأَصْقَاعَ مُدْعِيًا حُكْمَ الْبِلَادِ بِشَرْعِ اللَّهِ وَالتُّورِ  
 قَفَّتْ شَعِيرَةُ «عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ» مِنْ فَظَاعَةِ مَا يُصْنَعِي مِنَ الضَّرِّ  
 غَلَتْ دِمَاؤُهُ مِنْ إِفْرَاطٍ غَيْرَتِهِ وَاسْتَجْمَعَ الْجَيْشَ مِنْ كُلِّ الْمَعَاوِيرِ  
 وَقَادَهُ لَجْبًا فِي نَخْوَةٍ وَإِبَا مُمْتَطِيًا سُرْعَةً ، وَجَدَّ فِي السَّيْرِ  
 حَازَ الْقُلُوبَ كَمَا حَازَ الْبِلَادَ وَقَدْ أَرَسَى الْقَوَاعِدَ مِنْ جَاهٍ وَ مَزْبُورٍ<sup>(٢)</sup>  
 مُوَحِّدًا مَغْرِبًا طَالَتْ مَصَائِبُهُ يَهْتَزُّ كَالرِّيشِ فِي نَقْعِ الْعُثَيْثِيرِ<sup>(٣)</sup>  
 وَمَرَّ مُفْتِحًا كُلَّ الْبِلَادِ إِلَى «مَهْدِيَّة» خَائِضًا أَقْوَى الْمَعَاكِيرِ<sup>(٤)</sup>  
 وَنَحَوَ مَعْقِلَهَا<sup>(٥)</sup> أَدَارَ دُفَّتَهُ وَطَافَ بِالْبُرْجِ<sup>(٦)</sup> وَالْأَسْوَارِ وَالْعُورِ  
 تَخْصِينُ أَسْوَارِهَا أَثَارَ دَهْشَتِهِ فَقَالَ «كَيْفَ خَرَجْتَ دُونَ تَصْمِيرٍ؟»<sup>(٧)</sup>  
 أَجَابَ فِي حَسْرَةٍ، وَالْدَّمْعُ يَخْتَنِقُهُ: «لِفَقْدِ مُعْتَمَدٍ، وَقَلْبَةِ الْمِيرِ!»

(1) هو «عبد المؤمن بن علي الكومي» أمير الموحدين ؛ و«ابن علي» الذي بعده هو «الحسن بن علي الصنهاجي» .  
 (2م. و6 و12). «مزبور» مبنى بالحجارة العتيقة. (3) «العثير» تصغير «عثير» وهو الغبار الصاعد من وقع سنايك  
 الخيل. (4) «المعاكير» جمع «معكر» وهو الكرة القوية في الحرب. (5) «المعقل» هنا هو «المهدية» وقد  
 كانت معقلا عظيما لا يمكن دحرجه. (6) «البرج» هو البرج الفاطمي على حافة البحر وما زال قائما إلى الآن وهو  
 قصر شبيه بالرباط. (7) «التصميم» الإلتان ، وهو كناية عن بلوغ العذر في الأمر.

فَقَالَ مُبْتَسِمًا: «لَا تَجْزَعَنَّ فَإِلَّا  
فَادُعُ بِنَصْرِ لَعَلَّ اللَّهَ يُمَكِّنُنَا  
وَحَاصِرَ الرُّومِ فِيهَا أَشْهُرًا عَدَدًا  
فَسَلَّمُوا هَرَبًا وَانْزَاحَ عَنْ «حَسَن»  
أَمَّا «الْمَوْحِدُ»<sup>(١)</sup> عِنْدَمَا اسْتَقَرَّ لَهُ  
وَلَّى عَلَيْهَا رَجَالًا كَانَ هَمُّهُمْ  
فَسَارِ سِيرَتُهُ بِالْحَزْمِ مُنْتَهَجًا  
وَهَذِهِ مَوْجَةُ الْإِسْعَادِ<sup>(٩)</sup> مُقْبِلَةٌ  
وَعِنْدَهَا عَاجُ «عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ» مُسْتَجِمًّا إِلَى قَصْرِ «الْمُنَسْتِيرِ»  
قَضَى بِهِ رَمَضَانًا وَهُوَ فِي دَعَا  
وَعَادَ مِنْ بَعْدِهَا لِقَصْرِ عِزَّتِهِ  
وَجَاءَهُ بِـ«سَلَا»<sup>(١٢)</sup> دَاعِي الْمُنُونِ فَصَا  
رَ الْأَمْرِ فِي «يُوسُفَ»<sup>(١٣)</sup> الْمَوْصُوفِ بِالْخَيْرِ

(8) «العواذير» جمع «عاذور» وهو داء يصيب الحلق، وهو هنا كناية عن شدة الضيق وبلوغ الهلاك. (9) وهذه هي الموجة الحلوة (أسطورة المنستير) وكانت في شهر أوت 1160م/رمضان سنة 555 هجرية (وسميت تلك السنة سنة الأخماس). (م.و.6). (10) «باحور» هو اشتداد حر الصيف في أواخر تموز وأوائل آب «أوسو» (11) «أم الحواضر» المقصود بها «تونس الحاضرة»، وهي أجل مدن «إفريقية» بلامنازع. (12) «سلا» هي مدينة بـ«المغرب الأقصى» قرية من «مدينة الرباط». (13) هو «يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي» تولى سنة 558هـ/1163م وتوفي في 581هـ/1185م. (م.و.12).



فِي «قَفْصَةٍ» حَاصِرَ «الرَّنْدِيِّ»<sup>(14)</sup> أَخْضَعَهُ

وَعَادَفِي عَجَلٍ مِنْ دُونِ تَأْخِيرٍ

لَكِنْ «قَرَاقُوشَ»<sup>(15)</sup> فِي أَرْضِ الْجَنُوبِ طَعَى

مُسْتَجْمَعًا عَرَبًا عَانُوا مِنَ الْجُورِ<sup>(16)</sup>

وَالْمُلْكُ أَوَّلُهُ تَقْوَى ، وَآخِرُهُ هَدْمٌ وَمَفْسَدَةٌ مِنْ بَعْدِ تَعْمِيرٍ

(14) «الرندي» هو أحد بني الرند استقلوا بالحكم في «قفصة» (الجريد) منذ الصنهاجيين وثاروا على الموحدين في زمن «يوسف». (2.م). (15) «قراقوش» هو «قراقوش بن عبد الله الأسدي» فتى أرمني من ممالك «صلاح الدين الأيوبي» احتل الجنوب التونسي مع «طرابلس» في أيام الموحدين وتوفي سنة 597هـ/ 1201م بـ«القاهرة». (2.م). (16) ثاروا من كثرة الضرائب لفائدة الموحدين.

## بداية الحفصيين

وَمَاتَ «يُوسُفُفٌ» فَاسْتَوَلَى خَلِيفَتُهُ

«يَعْقُوبُ»<sup>(1)</sup> وَهُوَ ابْنُهُ يُكْنَى بِـ «مَنْصُورٍ»

رَأَى فَعَيَّنَ «عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي  
إِذْ كَانَ وَالِدُهُ»<sup>(3)</sup> مِنْ بَعْضِ مَنْ عَضَدُوا  
قَامَ «ابْنُ غَانِيَةٍ»<sup>(5)</sup> وَ كَانَ مُعْتَقَلًا  
وَأَنْضَمَ مَنْ نَقَمُوا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ  
«يَعْقُوبُ» طَارَدَهُمْ حَتَّى نَاجَلُوا هَرَبًا  
لَمْ يَقِفْ إِثْرَهُمْ مُسْتَأْصِلًا أَثَرًا  
«يَحْيَى بْنُ غَانِيَةٍ»<sup>(8)</sup> أَعَدَّ كَرَّتَهُ  
فَاحْتَلَّ «مَهْدِيَّةً» وَ «الْقَيْرَوَانَ» كَذَا

حَفْصٌ<sup>(2)</sup> وَزِيرًا لِتَكْرِيمٍ وَتَقْدِيرٍ  
مُلْكًا لِأَبَائِهِ<sup>(4)</sup> مِنْ حُسْنِ تَدْبِيرٍ  
مِنْ قَبْلِ ثَوْرَتِهِ فِي أَرْضِ «بَلِيلِرٍ»  
وَاشْتَدَّ وَقَعُهُمْ فِي حِصْنِ «آشِيرٍ»<sup>(6)</sup>  
إِلَى «الْحَرِيدِ» بِجَيْشٍ كَالصَّرَاصِيرِ  
فَاغْتَرَّ أَكْثَرُهُمْ فِي لُؤْمِ طَنْجِيرٍ<sup>(7)</sup>  
وَخَلَفَهُ مَدَدٌ مِنْ كُلِّ مَعْرُورٍ  
كَ«تُونِسَا» وَطَعَى فِي تِلْكَ الدُّورِ<sup>(9)</sup>

- (1) هو «يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن» تولى بعد أبيه سنة 581 هـ / 1185 م. (2.م). (2) هو «عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي» تولى إمارة «تونس الحاضرة» ومنها كامل «إفريقية» في 10 شوال 603 هـ / 10 ماي 1207 م. (م. 72). (3) هو «أبو حفص يحيى بن عمر الهنتاتي»؛ كان قائما بالدعوة للموحدين بـ «الأندلس» و«المغرب» وتوفي سنة 571 هـ / 1175 م. (م. 72). (4) هم «عبد المؤمن بن علي» المتوفى سنة 558 هـ / 1163 م؛ وابنه «يوسف» المذكور آنفا. (م. 7). (5) هو «علي بن إسحاق بن غانية المرابطي» وقد اعتقله الموحدون بـ «ميورقة» من «جزر البليار» (ميورقة ومينورقة واليابسة) فثار من هناك بعد أن حشد أنصارا سنة 581 هـ / 1184 م. (م. 7). (6) احتلوا «الجزائر» و«المغرب الأوسط» مهّدين «مراكش» عاصمة الموحدين. (م. 7). (7) الطنجير هو الجبان اللثيم (8) هو «يحيى أخ علي بن إسحاق بن غانية المرابطي» خلف أخاه واحتل «تونس الحاضرة» سنة 600 هـ / 1203 م. (م. 7). (9) وذلك بأن قبض على جماعة من أعيان الموحدين ورمى بهم في السجون. (م. 7).

بِحَيْشِهِ عَنُوءَةً مِنْ دُونِ تَحْذِيرٍ  
وَ«الشَّيْخُ»<sup>(12)</sup> فِي إِثْرِهِ جَادًّا بِتَشْمِيرٍ  
مُلْكًا لِأَنْجَالِهِ فِي الْأَعْصُرِ الْقُورِ  
حَتَّى اسْتَبَّتْ بِتَأْيِيدٍ وَتَظْفِيرٍ  
عِزُّ الْحُمَاةِ ، فَأَلْفَى كُلَّ تَقْدِيرٍ  
وَكَانَ مَدْفَنُهُ «أُمُّ الْحَوَاضِرِ»  
نَزَرَ ؛ وَبَاءَ بَعَزْلٍ بَعْدَ تَأْمِيرٍ  
وَقَامَ يَخْلُفُهُ الْمَخْلُوعُ لِلْفُورِ  
وَالْحُكْمُ لِلَّهِ فِي إِنْفَادِ تَحْوِيرِ.

فَاغْتَالَ أَعْقَابَهُ<sup>(10)</sup> «مُحَمَّدٌ»<sup>(11)</sup> وَ سَطَا  
وَارْتَدَّ «يَحْيَى» إِلَى الصَّحَرَاءِ مُنْهَزِمًا  
فَحَازَ دَوْلَتَهُمْ فِي «تُونِس» وَبَنَى  
بِالسَّيْفِ أَحْمَدَ أَصْوَاتِ الْبُعَاةِ بِهَا  
فَقَامَ يَرْفَعُ أَرْكَانَ الْإِمَارَةِ فِي  
مَا زَالَ تَعْظِيمُهُ حَتَّى نَهَايَتِهِ  
«عَبْدُ الرَّحْمَانِ»<sup>(13)</sup> لَمْ يَخْلُفْ أَبَاهُ سِوَى  
لَكِنْ «إِدْرِيس»<sup>(14)</sup> لَمْ تَطُلْ وَلَايَتُهُ  
وَهَكَذَا الْمُلْكُ لَا يَصْفُو بِلَا كَدَرٍ



(10) احتاز عليه «جزر البليار» فقطع عنه المدد وأوعز إلى وزيره «عبد الواحد» باتباعه في «تونس». (م.7). (11) «محمد» هو «محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن» تولى بعد أبيه سنة 595هـ / 1199م. (م.2و7). (12) «الشيخ» هو «عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي» وكان ذلك سنة 603 هـ / 1207م وتوفي سنة 618 هـ / 1221م ودفن بالقصبة بـ«تونس الحاضرة» ، وهذه بداية الدولة الحفصية. (م.2و7). (13) هو «عبد الرحمان بن الشيخ عبد الواحد» تولى بعد أبيه سنة 618 هـ / 1221م ؛ وعزله «المستنصر بن الناصر الموحدي» بعد ثلاثة أشهر من ولايته وعين عمه «إدريس». (م.2و7). (14) هو «إدريس بن أبي حفص يحيى بن عمر الهنتاتي» أخ «عبد الواحد» وعم «عبد الرحمان» تقدم على ابن أخيه في الولاية ولم تطل مدته فتوفي ورجع المخلوع إلى إمارته التي لم تطل بدورها. وعاد «عبد الرحمان» لإمارته التي انتهت في 620 هـ / 1223م. (م.2و7).

## تأسيس الدولة الحفصية

وَبَعْدَهُ قَامَ «عَبْدُ اللَّهِ»<sup>(١)</sup> مُعْتَمِدًا أَخَاهُ «يَحْيَى»<sup>(٢)</sup> عَلَى الْجَنُوبِ مِنْ هُوَرٍ<sup>(٣)</sup>  
لَكِنْ رَأَى بَعْدَهَا مَا هَزَّ شَاكِنَهُ فَرَامَ تَأْدِيَهُ مِنْ غَيْرِ تَحْذِيرِ  
فَثَارَ أَجْنَادُهُ وَانْحَازَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى أَخِيهِ ، فَلَمْ يَظْلَفَرْ بِقَطْمِيرِ  
وَكَانَ أَمْرُ «الْمُوحِدِينَ» فِي حَذَرٍ مِنْ بَعْدِ فَتْكَ وَصَوَلَاتِ الْحَيَادِيرِ<sup>(٤)</sup>  
فَانْقَضَ «يَحْيَى» عَلَى الْمَخْلُوعِ مُعْتَقِلًا مُخَلِّصًا نَفْسَهُ مِنْ ذَلِكَ النَّيْرِ  
لَمْ يُلَفِ مَنْ عَارَضَ اسْتِقْلَالَهُ ، فَدَعَا قَامَ «ابْنُ غَانِيَةٍ»<sup>(٥)</sup> فَانْقَضَ يَقْتُلُهُ  
خَافَتْهُ أَعْرَابُهَا ، إِلَّا «هُوَارَةُ» لَمْ فَاسْتَسَلِمَتْ وَآتَتْ تَرْجُو مُصَالَحَةً ،  
جَاءَتْ تُهَنِّئُهُ أَقْيَالُ مُعَرِّبِهَا<sup>(٦)</sup> جَزَائِرُ الْبَحْرِ مِنْ «بَيْسَانَ» أَوْ «جَنَوَى»  
فَكَثَّلَهُمْ جَاءَهُ مُسْتَمْطِرًا كَرَمًا وَصَارَ فِي مُلْكِهِ مِثْلَ امْبِرَاطُورِ ،

- (1) هو «عبد الله عيو بن عبد الواحد بن أبي حفص» تولى سنة 620هـ/1223م. (م.7). (2) هو «أبو زكرياء يحيى ابن عبد الواحد» مؤسس الدولة الحفصية أصبح ملكا لنفسه سنة 626هـ/1229 م وتوفي سنة 647 هـ /1249م عن سن 49 سنة. (م.7). (3) «الهُوَرُ» هو الإتهام وسوء الظن. (4) «الحيادير» جمع حيدر وهو الأسد. (5) هو «علي بن إسحاق بن غانية المرابطي» وقد اعتقله الموحدون بـ «ميورقة» من «جزر البليار» (ميورقة ومينورقة واليابسة) فنار من هناك بعد أن حشد أنصارا سنة 581هـ/1184م. (م.7). (6) التهوير هو الهلاك. (7) بعد «هواره» استولى على «الجزائر» فبايعته «تلمسان» و«سبتة» و«طنجة» و«سجلماسة» و«مكناسة» من «المغرب» كما بايعه «بنو مرين» (الذين غلبوا على الموحدين) بـ «مراكش»، وحاول مساعدة «الأندلس الشرقية» بأسطول كبير لكنه لم يصل عند الحاجة ولله الأمر. (م.2و7). (8) هم «بنو مرين» الذين غلبوا على ملك الموحدين.

أَعْطَى الْأَمَانَ وَسَاسَ الْقَطْرِ فِي زَكَنِ  
فِي «تُونِس» الْأُنْسِ قَدْ قَامَتْ إِمَارَتُهُ  
صَوْمَعَةً سَمَقَتْ فَقَامَ صَاحِبُهَا  
شَادَ الْمَسَاجِدَ تَقْرِيًّا لِقَاصِدِهَا  
بِالْقَصْرِ أَنْشَأَ دَارًا لِلْكِتَابِ بِهَا  
وَالْعِلْمُ يَرْفَعُ أَغْنَاكَ الرِّجَالَ فَهُمْ  
لَمَّا وَشَى ابْنُ بَرَاءٍ<sup>(١٢)</sup> بِالْإِمَامِ<sup>(١٣)</sup> دَعَا  
لَمْ يَأْخُذِ الشَّيْخُ عَنْ طُغْيَانِ مَمْلَكَةٍ  
لَأَشْيَاءَ أَعْمَرَ مِنْ عَدْلِ الْمُلُوكِ إِذَا  
أَسْوَاقُ تُونِسَ فِي أَدْوَارِهَا انْتَضَمَتْ  
لِلْمَالِ صَوْلَتُهُ، لَكِنْ بِحِكْمَتِنَا  
فِي الْبَحْرِ أَجْرَى لِمَنْ لَمْ يَرْتَدِعْ سُفْنًا

تَنْفِي السَّمَادِيرِ مِنْ أَفْكَارِ سِكِّيرٍ  
خَافَتْ مُعَادَاتُهُ الْأَفْطَارُ فَأَبْتَدَرَتْ  
وَمَاتَ فِي دَوْلَةٍ مَرْهُوبَةٍ بَلَعَتْ  
أَوْجَ الرُّقِيِّ بِتَصْنِيعٍ وَتَغْصِيرٍ

(9) هو «جامع القصة» بـ«تونس الحاضرة» الموجود إلى الآن وما زال رمزا للمدينة والصومعة صومعته (7.م).  
(10) بعد إتمام بنائها أقام «أبوزكرياء» بنفسه الأذان للشاء ليلة غرة رمضان 630 هـ / 11 جوان 1233 م. (7.م). (11) هي مكتبته بقصر «القصة» وضم بها ستة وثلاثين ألف مجلد من أنفس العلوم. (7.م). (12)  
ابن البراء كان قاضيا في عهد أبي زكرياء وقد حقد على أبي الحسن الشاذلي وأخذ يكيد له. (13) الإمام هو الصوفي الكبير أبو الحسن الشاذلي .

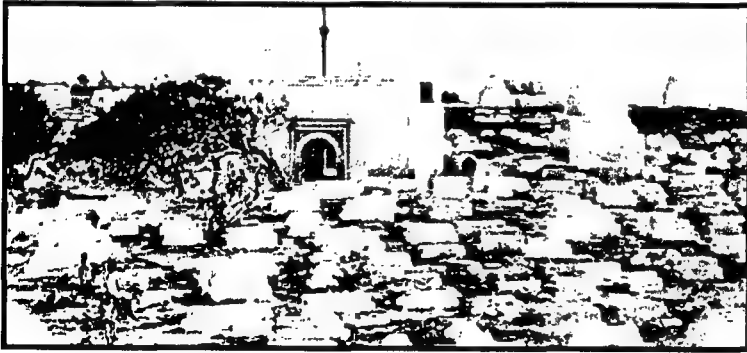
وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ «الْمُسْتَنْصِرُ» ابْنُهُ<sup>(14)</sup> فِي رِيْعَانِ عُمُرٍ، وَ أَحْلَامِ الْعُضَاوِيْرِ  
فَجَاءَ يَخْذُلُهُ ابْنُ عَمِّهِ<sup>(15)</sup> طَمَعًا مُسْتَصْغَرًا أَمْرُهُ، مِنْ غَيْرِ تَشْبِيرٍ<sup>(16)</sup>  
فَصَالَ صَوْلَتَهُ، وَاجْتَثَ مَنْبَتَهُ فَهَابَهُ النَّاسُ مِنْ رُومٍ وَ مِنْ مُورٍ



(14) هو «محمد المستنصر بالله بن أبي زكرياء» ولي بعد وفاة أبيه في جُمادى الثانية 647 هـ / سبتمبر 1249م في سنّ العشرين؛ وتوفي سنة 675 هـ / 1276م، وخلفه ابنه «يحيى الوائلي» . (م. 2 و 7). (15) «أبو عبد الله محمد اللحياني» صديق أبي الحسن الشاذلي وكان من أتباع أبيه، وقد قام في وجهه مستصغرا سنّه يسعى إلى الإستيلاء على الملك والثروة . فجمع «المستنصر» له العساكر وقتله وقتل كلّ أتباعه . (م. 7). (16) التشبير هو التقدير والتعظيم؛ من شبر الرجل قدره وعظمه.

## إمارة المؤمنين

وَذَا عَصِيَّتُهُ فِي الْآفَاقِ مُتَشِيرًا بِالْحَزَمِ فِي الْأَرْضِ مِنْ سَهْلٍ وَمِنْ غُورٍ  
 وَضَاعَ مُلْكُ «بَنِي الْعَبَّاسِ» إِذْ زَحَفَ «التَّاتَارُ» كَالسَّيْلِ لَمْ يُسْبِقْ بِتَحْذِيرٍ  
 وَالشَّرْقُ مُنْصَدِعٌ وَالْأَمْنُ مُضْطَرِبٌ وَالْخَوْفُ وَالْحَرْبُ فِي خَيْزِ الْجَمَاهِيرِ  
 فِي مِصْرَ لَمْ تَنْفَرِجْ بَعْدُ الْأُمُورُ وَقَدْ أَلَتْ خُصُومَاتُهُمْ لِشَرِّ مُحْذُورٍ  
 مَا زَالَ «مُسْتَنْصِرٌ» فِي أَوْجِ قُوَّتِهِ بِالْعَرَبِ مُنْتَصِبًا فِي عِزِّ سَابُورٍ  
 أَمِيرُ «مَكَّةَ» مَعَ أَهْلِ الْحِجَازِ رَأَوْا فِيهِ الْخَلِيفَةَ، مَنْ أُخْرِى بِتَأْمِيرٍ؟  
 فَبَيَّعُوهُ بِهَا <sup>(١)</sup> وَبَاتَ مُغْتَبِطًا عَزَمُ الشَّيْبَةِ فِي أَنْوَابِ بَخْتِيرٍ <sup>(٢)</sup>  
 مِنْ أَهْلِ «بُرْتُو» <sup>(٣)</sup> الْهَدَايَا أَقْبَلَتْ تَبَعًا وَجَاءَ مِنْ «فَاسَ» تَأْيِيدٌ بِتَأْصِيرٍ  
 فَقَامَ بِالْأَمْرِ فِي حَزَمٍ وَفِي أَنْفٍ وَشَادَ مَجْدًا بِعِزَمَاتِ الْمَغَاوِيرِ  
 لَمْ تَلَقْ تُونِسُ عِزًّا مِثْلَمَا بَلَغَتْ فِي عَهْدِهِ وَغَدَتْ أَعْلَى الْحَوَاضِيرِ.



(1) بويغ بالخلافة وتلقب بأمير المؤمنين سنة 657هـ/1259 م وعمره ثلاثون سنة. (م. 2 و 7). (2) «البختير» هو الحسن الحشم أو الذي يَخْتَالُ في مشيته. (3) «بُرْتُو» سلطنة كانت غربي «التشاد» سكانها من زنوج وعرب وبربر مسلمون وقلة من الوثنيين كانت مزدهرة في ذلك الوقت وعاصمتها «كوكه». (م. 7).

## الحملة الصليبية

رَأَى الصَّلِيبُ هَلَالَ الْعَرَبِ فِي أَلْقٍ  
«مَا زَالَ رَغَمَ شَقَاءِ الشَّرْقِ دِيْنُهُمْ  
بَلْ قَامَ قَائِمُهُمْ فِي الْعَرَبِ مُؤْتَلَقًا  
تَخْلِصُ «قِرطاج» قَدِشْنِي النُّفُوسِ إِذَا  
وَأَعْدَى عَدُوٍّ فِي الْبَرِّيَّةِ مَنْ  
قَامَتْ «فرنسا» بِزَحْفٍ قَادَهُ طَمَعٌ  
أَغْرَى الْمَلِيكَ (3) أَخُوهُ (4) قَصْدَ تَوْسِعَةٍ  
أَرْدَاهُ طَاعُونُهُمَا مِنْ بَعْدِ مَخْذَلِهِ  
وَبَاءَ «دَانْجُو» بِالْهَزِيمَةِ بَعْدَمَا  
إِنْ هَدَّ «مُسْتَنْصِرُ» «قِرطاجَةَ» فَلِكِي

فَاغْتَاظَ، مِنْ حَقْدِهِ فِي شِبْهِ مَسْعُورٍ:  
لَمْ يَنْدَحِرْ بِحُرُوبِ النَّارِ وَالْقِيرِ  
وَالرَّأْيُ: إِعْجَالُهُ بِحَرْبِ تَدْمِيرِ  
مَا ضَاعَ بِالشَّرْقِ مَجْهُودُ الْأَبَاطِيرِ (1)  
عَادَاكَ فِي الدِّينِ، لَا فِي حَوَازَةِ الدُّورِ  
أَعْمَى الْبَصِيرَةَ مِنْ أَحْلَامِ مَغْرُورِ  
فَذَاقَ فِي زَحْفِهِ ضِيقَ الْمَقَابِيرِ  
فِي وَقْعَةٍ لَيْتَهَا إِحْدَى السَّمَادِيرِ  
ذَاقَ الْمَخَاذِلَ فِي حَرْبِ السَّوَابِيرِ  
يَجْتَثُّ أَطْمَاعَهُمْ بِقَطْعِ نَاسُورِ

(1) هي مجموعة الإمبراطوريات الأوروبية ومنها الإمبراطورية الجرمانية المقدسة . (2) هي الحملة الصليبية الثامنة أو حملة «سان لوي». (م.7). (3) هو ملك «فرنسا» «لويس التاسع» الذي مات بالطاعون في هزيمته «بتونس» أمام جيوش «المستنصر بالله الحفصي». (4) هو «شارل دانجو» واليه على «صقلية». (م.7).



## المنستير الحفصية

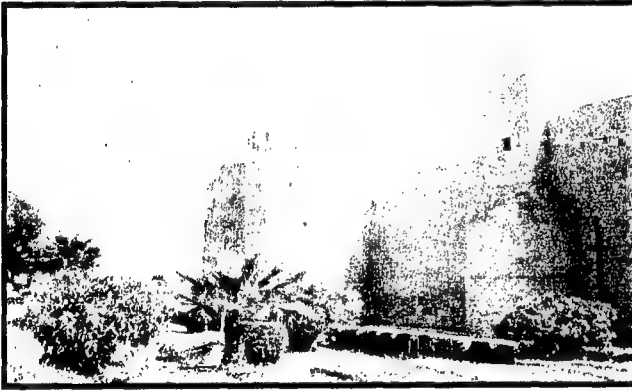
وَدَارَ يَرْفَعُهَا فِي الْكَوْنِ شَامِخَةً حَضَارَةً سَطَعَتْ بِالْعِلْمِ وَالتُّورِ  
 نَالَ «الْمُنَسْتِير» مِنْهَا حَصَّةٌ جَعَلَتْ دُولَابَ تَارِيخِهَا يَحْطِي بِتَغْيِيرِ  
 فَشَادَ لِلْحَقِّ مَسْجِدًا وَصَوْمَعَةً (١) وَصَارَ حَيٌّ بِبَابِ الدَّرْبِ وَالسُّورِ (٢)  
 وَهَكَذَا اتَّخَذَتْ شَكْلَ الْمَدِينَةِ مِنْ بَعْدِ الرِّبَاطِ لِإِرْصَادِ وَتَأْقُورِ (٣)  
 فَأَخْضَلَ شَاخِبُهَا، وَاشْتَاقَ سَاكِنُهَا فِي الْعَيْشِ تَوْسِعَةً مِثْلَ الْمَغَاضِيرِ (٤)  
 فَكَدَّ مُجْتَهِدًا فِي كَسْبِ مَأْرِبِهِ جَلْبًا وَيَبَعًا وَخَزْنًا بِالْمَطَامِيرِ  
 فِي مَنْزِلٍ مُفْرَدٍ بِالْحَيِّ كَمْ نَضَرَ الْعَيْشُ الرِّغِيدُ، وَسَادَ الْأَمْنُ بِالْدُّورِ  
 فَصَارَ مُسْتَلَزِمًا تَحْصِينُهَا بِسِوَا رِ السُّورِ كَيْ تَحْتَمِيَ مِثْلَ الْحَوَاضِرِ  
 «يَحْيَى» (٥) تَوَلَّى فَفَاضَتْ بِالْعَطَا يَدُهُ كَأَنَّمَا نَابَهَا إِغْدَاقُ نَاهُورِ (٦)  
 لَكِنَّ عَمَّهُ (٧) لَمْ يَرْضَ وَقَاتَلَهُ وَافْتَكَّ مُلْكُهُ فِي عُنْفٍ وَتَشْبِيرِ  
 فَأَنْحَلَّ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِعُصْبَتِهِمْ وَضَاعَ مُلْكُهُمْ بَيْنَ الْجَنَادِيرِ (٨)

(1) «مسجد كريشة» و«صومعة الحق» بـ«حي باب الدرب». (م. 84 و 8). (2) «باب الدرب» (الغربي) وراء  
 عمارة (ستار) المبني وراء مقر الولاية) وعوضه فيما بعد «باب الفرج» أو «الباب الغربي» ؛ و«باب السور» (القبلي)  
 أمام قصر البلدية الآن) بابان من أبواب المدينة وهما السور الأول للبلد (وهي ما سُمِّي فيما بعد «حومة البلد»).  
 (84 و 8). (3) «التأقور» هو بوق ينفخ فيه وهو كناية عن الإعلام وإطلاق النفير. (4) «مغاضير» جمع مغضور من  
 الغضارة وهم المرفهون. (5) هو «يحيى الوائق بن المستنصر» وثب عليه عمه. (6) «الناهور» هو السحاب  
 الممطر. (7) هذا العم الذي وثب على «يحيى الوائق بن المستنصر» هو «أبو إسحاق إبراهيم بن أبي زكرياء» سنة  
 678 هـ / 1279م وانقسمت الدولة إلى شرقية وعاصمتها «تونس» وغربية وعاصمتها «بجاية» وتشنت  
 شملها. (م. 7). (8) «الجنادير» والجنادة جمع جنّار وهو حرس الأمير .

حَتَّى تَوَلَّى «أَبُو الْعَبَّاسِ» (9) أَمْرَهُمْ  
تَأَلَّقَتْ عِنْدَمَا أَنْمَى مَوَارِدَهَا  
وَهَبَّ أَعْلَاجُ «فِينِيسِيَا» وَ«جِنَوَّةَ»، رَا  
عَنْ قَصْدِهِمْ صَدَّهُمْ أَسَدُ ضَرَاغِمَةٍ  
فَأَوْقَفُوا زَحْفَهُمْ، وَفَرَّ أَكْثَرُهُمْ  
حَتَّى أَتَى «أَحْمَدُ الْمَنْصُورُ» (9) يَنْصُرُهُمْ  
أَلْفَى «الْمُنْسْتِيرِ» حِصْنًا لَا مَثِيلَ لَهُ  
أَوْصَى الْأَمِيرُ بِأَنْ تَنْمُو عِمَارَتُهَا  
وَشَادَ صَوْمَعَةً (13) عَلَتْ لِجَامِعِهَا  
لَمَّا اسْتَوَتْ كَمَلَتْ أَشْرَاطُهَا وَأَتَى  
سَمَّى بِهَا قَاضِيًا، وَقَائِدًا لِبَقَا  
رَدَّ الْمَدَائِنَ فِي حَزْمٍ وَتَشْمِيرٍ  
وَسَادَهَا الْعَدْلُ فَازْدَانَتْ بِتَغْمِيرٍ  
مُوا غَزَوَ «مَهْدِيَّةَ» فِي شَرِّ تَقْدِيرٍ  
أَبْطَالَ نَجْدَتَهَا مِنْ «الْمُنْسْتِيرِ» (10)  
وَقَيَّدُوا سَيَرَهُمْ قَيْدَ الزَّنَاجِيرِ (11)  
فَأُطْرِدُوا خُسْرًا مِنْ دُونِ تَعْكِيرِ (12)  
وَمَحْرَسًا كَافِيًا شَرَّ الْمَحَازِيرِ  
فَزَادَ أَرْبَابُضَهَا حِصْنًا بِتَسْوِيرِ  
دَوَى الْأَذَانُ بِهَا لِخَارِجِ السُّورِ  
«عَبْدُ الْعَزِيزِ» (14) بِأَصْنَافِ التَّبَاشِيرِ  
وَمَلَّكَ النَّاسَ فِي الْأَرْيَاعِ وَالدُّورِ

(9) هو «أبو العباس أحمد الأول» السلطان التاسع عشر للحفصيين كان سلطاناً بـ«قسنطينة» ثم استولى على «تونس» وخلع سلطانها لصغير سنّه وفساد أمره سنة 772هـ/1370م. وكانت وفاته سنة 796هـ/1394م. (م.7).  
(10) كان ذلك سنة 793هـ/1390م وكان لذلك وقع في نفس الأمير «أبي فارس ابن السلطان أحمد أبي العباس». (م.4 و8). (11) زناجير (جمع زنجير) وهي السلسلة المقيدة (12) «تعكير» من عكّر يعني كَرّ في الحرب. (13) هي «صومعة الجامع الكبير» بـ«المنستير» والرواق الجوفي كما ذكر بعض المؤرخين. ولعل المقصود صومعة باب الدرب إذ ذكر بعضهم أن صومعة الجامع الكبير صنهاجية (م.4 و8 و19). (14) هو «أبو فارس عبد العزيز (عزّوز)» تولى سنة 796هـ/1314م بعد أبيه «أبي العباس أحمد الأول»، وتوفي بـ«جبال أوراس» في يوم عيد الأضحى 10 ذي الحجة سنة 837هـ / 28 ماي 1433 م وأوصى لحفيده «محمد المنتصر» فبقي عاما وبعض أشهر وقامت عليه حروب الأعراب لكنه تمكن من إنشاء «المدرسة المنتصرية» وبناء زاوية الشيخ «أحمد بن عروس». وتوفي سنة 839هـ/1435م. (م.7 و8).

فَزَادَ فِي رُبْعَهَا فِي الْعَيْشِ رَغْبَتَهُمْ وَأَشْرَقَتْ شَمْسُهَا مِنْ بَعْدِ دَيْجُورٍ  
جَرَتْ مَرَآكِبُهَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ بِالْمِلْحِ وَالزَّيْتِ وَالْخَيْرَاتِ وَالْمِيرِ  
وَنَافَسَتْ غَيْرَهَا فِي كُلِّ مَفْخَرَةٍ حَتَّى غَدَا شَأْنَهَا أَسْمَارَ سَامُورٍ<sup>(15)</sup>  
وَزَادَ بِهَجَّتِهَا عِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ وَأَصْبَحَتْ مَقْصَدَ الطُّلَّابِ لِلنُّورِ  
تِيهِي «مُنْسْتِير»! بِالْأَعْلَامِ فِي أَلْقٍ يَا خَيْرَ مُعْتَرَفٍ مِنَ الْمَعَارِيزِ  
فِي الْفَقْهِ وَالشَّعْرِ وَالْآدَابِ قَدْ بَرَزُوا بِالْعِلْمِ قَدْ شُهِرُوا مِثْلَ «ابْنِ كَثِيرٍ»<sup>(16)</sup>  
أَوْ «الْحَدِيدِيِّ»<sup>(17)</sup> فِي عِلْمِ التَّصَوُّفِ أَوْ «مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي زَيْدِ الْمُنْسْتِيرِيِّ»<sup>(18)</sup>  
فَالْعَزُزُّ يَنْبِي بِعِزِّمَاتِ الرِّجَالِ وَقَدْ أَنْجَبَتْ سَادَاتِهِمْ مِنَ الْأَمَازِيرِ<sup>(19)</sup>



(15) «السامور» هو المبالغ في السمر (16) هو «أبو عبد الله بن عبد السلام بن كثير المنستيري الهواري» (676 — 749 هـ) وقد اشتهر بالتدريس بـ«جامع الزيتونة» بـ«تونس» وانتصب قاضيا بها سنة 734 هـ وبقي بمنصبه 15 سنة وتخرج على يديه العلامة «ابن خلدون» والفقير «ابن عرفة». (4.م). (17) هو المتصوف الميرز «محمد بن عبد الله السبائي الحديدي» توفي بـ«مكة» سنة 786 هـ وله زاويتان بـ«القيروان» و«المهدية» وهو مؤسس الطريقة الغريانية. (4.م). (18) هو أنسريط «محمد بن أبي زيد المنستيري» تتلمذ عن «الحديدي» وأخذ عنه الطريقة الغريانية، وتولى مشيخة الرباط على عهد «أبي فارس عزوز» الذي أسند إليه الأوقاف ليصرفها على أهل العلم فأخرج أملاك الرباط للأوقاف العامة ووسع «الجامع الكبير». (4.م). (19) أمازير الناس أي أفاضل الناس.

## نهاية الحفصيين

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ مَنْقَصَةٌ وَالْحُكْمُ لِلَّهِ فِي إِنْفَادِ مَقْدُورٍ  
مَا مَاتَ «عَزُوزٌ»<sup>(١)</sup> حَتَّى دَبَّ فِي خَلْفٍ

مَا مَزَقَ الشَّمْلَ مِنْ حَقْدٍ وَتَكْدِيرٍ

مَا كَادَ «مُنْتَصِرٌ»<sup>(٢)</sup> بَيْنِي مَاتِرُهُ حَتَّى ارْتَمَى مُكْرَهًا فِي حَرْبٍ تَخْوِيرٍ

ثَارَ الْأَعَارِبُ فِي أَقْصَى الْبِلَادِ وَجَاؤُوا فِي مَرَابِعِهَا شَرَّ الْمَنَاكِيرِ

فَقَامَ يَرْدُعُهُمْ لَكِنَّهُمْ غَلَبُوا هُ فَاثْنَى خَائِبًا فِي ثَوْبٍ مَقْهُورٍ

وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهِ «عُثْمَانُ»<sup>(٣)</sup> يُنْقِذُهَا وَأَسْكَنَ الْحَرْبَ لَكِنْ بَعْدَ تَذْمِيرٍ<sup>(٤)</sup>

فَشَا وَبَاءَ فَكَانَ النَّاسُ فِي هَرَجٍ وَالْمَوْتُ يَذْرُسُهُمْ دَرَسَ الْبَيَادِيرِ

وَمَاتَ «عُثْمَانُ» فَاسْتَوْلَى خَلِيفَتُهُ<sup>(٥)</sup> لَكِنَّهُ مَا نَجَامِنُ فَتَكَ كُولِيرٍ

«مُحَمَّدٌ»<sup>(٦)</sup> بَعْدَهُ قَدْ جَاءَ يَجْبُرُهَا لَكِنَّ مَكْسُورَهَا لَيْسَ لِتَجْبِيرِ

وَالْأَمْرُ لِلَّهِ فِي تَصْرِيفِ مَوَائِلِهَا وَالْعَبْدُ فِي سَيْرِهِ رَهْنُ الْمَقَادِيرِ

- (1) هو «أبو فارس عبد العزيز (عزوز)» تولى سنة 796هـ/1314م بعد أبيه «أبي العباس أحمد الأول»، وتوفي بـ «جبال أوراس» في يوم عيد الأضحى 10 ذي الحجة سنة 837هـ / 28 ماي 1433 م وأوصى لحفيده (2) «محمد المنتصر» حفيد «عبد العزيز المذكور» بقي في الحكم عاما وبعض أشهر وقامت عليه حروب الأعراب لكنه تمكن من إنشاء «المدرسة المنتصرية» وبناء زاوية الشيخ «أحمد بن عروس». وتوفي سنة 839هـ/ 1435م. (م.7و8). (3) «أبو عمرو عثمان» هو أخ «محمد المنتصر» وأمه رومية تولى بعد أخيه وتوفي عن سن عالية سنة 893هـ/ 1488م. (4) المقصود تدمير أسوار «تلمسان» سنة 880هـ/ 1475م. (م.2و7). (5) هو «أبو زكرياء الثالث» تولى بعد جده «أبي عمرو عثمان» وتوفي سنة 899هـ/ 1494 م بالطاعون. (م.2و7). (6) هو «أبو عبد الله محمد» ابن أخ «أبي زكرياء الثالث» تولى الملك سنة 899هـ/ 1494 م بعد وفاة عمه «أبي زكرياء الثالث» ومات سنة 932هـ/ 1528م وتولى بعده ابنه «الحسن» الذي استنجد بالإسبان ضد «خير الدين». (م.2و7).

فِي حِينٍ يَأْفُلُ نَجْمُ الْعَرَبِ فِي غَسَقٍ تَشِعُّ فِي شَرْقِهَا شَمْسُ امْبِرَاطُورِ<sup>(7)</sup>  
 «عَرُوجُ» يَأْتِي وَ«خَيْرُ الدِّينِ»<sup>(8)</sup> يَعْضُدُهُ فِي الْبَحْرِ قَرَصَنَةً فِي شَكْلِ مَأْمُورٍ  
 لَوْ يَأْخُذُ الْعَهْدَ مِنْ «مُحَمَّدٍ»<sup>(9)</sup> فَيَصِيرُ الْأَمْرُ مُؤْتَلِفًا مِنْ غَيْرِ تَعْكِيرِ  
 «مُحَمَّدٍ»<sup>(10)</sup> لَمْ يَجِدْ فِي الْعَهْدِ مِنْ حَرَجٍ مَا ضَرَّ مَا دَامَتِ الْأَنْفَالُ وَارِدَةً  
 فِيهِمَا نَاصِرٌ إِنْ عَزَّ مَطْلَبُهُ وَفِيهِمَا مَلَجَأٌ يَوْمَ الْأَعَاصِيرِ  
 إِنْ أَحْسَنَّا فَهُمَا مِنْ بَعْضِ تَابِعِهِ أَوْ أَخْطَأَ، لَمْ يُلَمْ مِنْ سُوءِ تَدْبِيرِ



(7) هي بداية «الخلافة العثمانية» على يد «محمد الفاتح» فاتح «القسطنطينية» سنة 857هـ / 1453م. والوقت الآن  
 زمن «سليم الأول» وغزواته في أوروبا الشرقية. (م.7). (8) «عروج وخير الدين» أخوان من أصل يوناني (مدللي) من  
 جزر «بحر إيجه» (الأرخبيل) قدما على «محمد الحفصي» وأعطياه خمس غنائم قرصنتهما فأطلق أيديهما في  
 البحر. (م.7)

## استقلال المنستير عن الحفصيين

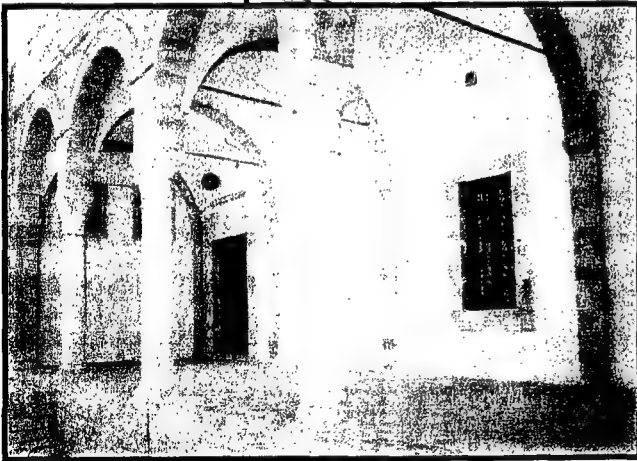
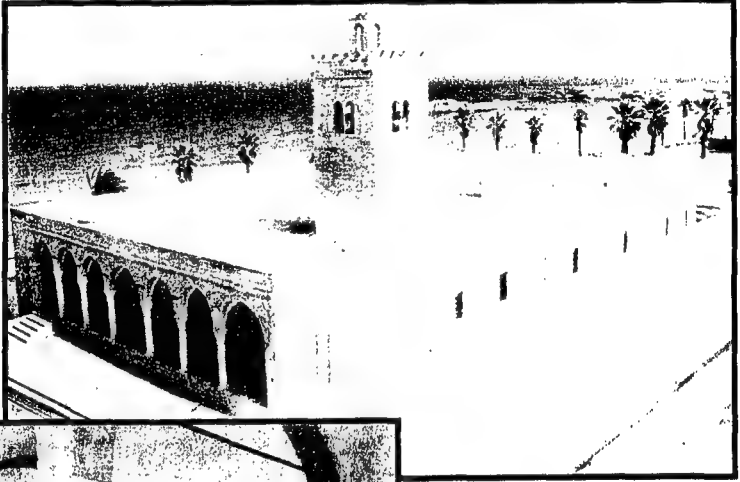
ضَاعَ الْأَمَانُ بِبَحْرِ الْأَمْنِ . كَيْفَ تُرَى  
لَوْ كَانَ يَصْلُحُ كَانَ الْأَمْرُ فِي يَدِهِ  
أَمَّا «الْمُنْسْتِيرُ» فَأَنْشَقَّتْ عَلَيْهِ وَقَدْ  
مَادَامَ سُلْطَانُ «حَفْصٍ» لَيْسَ مُقْتَدِرًا  
هَذِي مَرَكَبُهَا فِي الْبَحْرِ جَارِيَةً  
فَلْتَحْمِ حَوَزَتَهَا فِي ظِلِّ حَامِيَةٍ  
بـ «الْأَسْتَانَةِ» تَمْثِيلًا وَ مَرْتَبَةً  
وَالْحُكْمُ فِي عَشْرَةٍ مِنْ خَيْرِ سَاكِنِهَا  
يُغْنِي الْوَلَاءَ لِسُلْطَانِ الصَّرَاصِيرِ  
لَا فِي يَدِ الْعِلْجِ مِنْ آفَاقٍ «إِيجِيرِ»<sup>(1)</sup>  
كَانَ الَّذِي عَزَمَتْ مِنْ دُونِ تَأْخِيرٍ  
عَلَى حِمَايَتِهَا مِنْ جَوْرِ «كُورْسِيرِ»<sup>(2)</sup>  
وَالْأَمْنُ فِي لُجَّةٍ لَيْسَ بِمَوْفُورٍ  
خُصَّتْ بِحَضْرَتِهَا بِكُلِّ تَقْدِيرٍ  
لَمْ تُلَفْ أَمْثَالُهَا «أُمُّ الْحَوَاضِرِ»<sup>(3)</sup>  
وَالرَّأْيُ مَشُورَةٌ فِي عُمُقِ تَدْبِيرٍ

\*\*\*\*\*

«مُحَمَّدٌ»<sup>(4)</sup> مَاتَ فَاسْتَوَلَى بِهَا «حَسَنٌ»<sup>(5)</sup>  
وَلَمْ يَعُدْ قَادِرًا عَنْ دَفْعِ مَظْلَمَةٍ  
مَا لَمْ يَزَلْ «حَسَنٌ» فِي سُوءِ سِيرَتِهِ  
أَسَاءَ مِنْ بَعْدِ إِحْسَانٍ وَتَغْمِيرٍ  
أَوْ ضَبْطِ نَفْسِهِ فِي اجْتِنَابِ عَاقِبِ  
مُسْتَهْتَرًا خَائِرًا فِي غَيْرِ تَفْكِيرٍ

(1) «إيجير» المقصود به بحر «إيجة» أو «الأرخبيل» وهو اسم هذا البحر في القديم وهو بحر «اليونان» . (2) «كُورْسِير» Corsaire أي قرصان (3) وكان ذلك منذ 1517 م إذ كان «للمنستير» سفيرها الخاص بـ «إسطنبول» (الآستانة) ولم يكن ذلك «لأم الحواضر» أي «تونس العاصمة» . (م. 4 و 8) . (4) هو «أبو عبد الله محمد» المذكور آنفاً تولى الملك سنة 899هـ / 1494 م ومات سنة 932 هـ / 1528م وتولى بعده ابنه «الحسن» (7 و 2) . (5) هو «الحسن بن أبي عبد الله محمد» تولى سنة 932هـ وأضاع ملكه منهزماً من «تونس» أمام «خير الدين» سنة 935هـ / 1529 م . (7 و 6) .

لَمْ تُلَفْ قُدَّامَهَا إِلَّا تَنْصُلَهَا  
تَعْوِيلُهَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا عَلَى ثِقَةٍ  
تَعَاوَنْتَ مَعَ «دَرْغُوْث»<sup>(٦)</sup> عَلَى حَسَنِ  
فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ مَنَعَتِهَا  
خَلَعًا لَطَاعَتِهِ<sup>(٦)</sup> مِنْ كُلِّ تَقْرِيرٍ  
فِي نَفْسِهَا زَمَنَ الإِظْلَامِ وَالتَّوْرِ  
وَرَدَّ عُدُوَانَهُ بِالْحِصْنِ وَالْمِيرِ  
فِي سَاعَةِ الْعُسْرِ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ نِيرِ



(٦) وكان هذا الإستقلال سنة 1534 م. (م. 4 و 8). (7) «درغوْث باشا» أو «الرايس درغوْث» كان غازيا بحريًا فتعاونت معه «المنستير» على حمايتها وهو الَّذي افتكَّ «القروان» من أيدي الإسبان سنة 958 هـ / 1551 م وسمَّى بها «حيدر باشا» نائباً عنه. (م. 7).

## تنازع الإسبان والأتراك

«عَرُوجُ» لَمَّا أَتَى هَذَا الشَّمَالَ سَعَى وَأَفْتَكْتُ مُحْتَصِنًا مِنْ «السَّبِينُور»<sup>(١)</sup>  
 رَأَى «سُلَيْمَانُ»<sup>(٢)</sup> فِيهِ تَابِعًا لَبِقًا تُرْجَى مُوَالَاتُهُ فِي دَفْعِ مَحْذُورِ  
 أَقْرَهُ، وَدَعَا أَخَاهُ أَنْ يَطَأَ «الْحَفْصِيَّ»<sup>(٣)</sup> فِي دَارِهِ «أُمُّ الْحَوَاضِرِ»  
 فَاجْتَنَزَ يَطْلُبُهَا<sup>(٤)</sup>؛ وَفَرَّ صَاحِبُهَا فَجَازَهَا مُعَلِنًا تَأْمِينَ يَنْفُورِ<sup>(٥)</sup>  
 وَاسْتَنْفَرَ «الْحَسَنُ» الْأَعْرَابَ فَاجْتَمَعُوا يَبْعُونَ نُصْرَتَهُ رَغَمَ الْمَخَاطِرِ  
 لَكِنَّهُمْ فُوجِئُوا بِالنَّارِ تَحْصِدُهُمْ مِنْ مِدْفَعِ كَاسِحِ صِلْدِ السَّنَاوِيرِ<sup>(٦)</sup>  
 فَلَوَّحُوا بِأَمَانٍ؛ مُسْرِعِينَ كَمَنْ قَدْ فَازَ بِالنَّفْسِ مِنْ أَثْيَابِ سَبُورِ  
 فَاسْتَقْدَمَ «الْحَسَنُ» الْإِسْبَانَ فَانْطَلَقُوا فِي حَمْلَةٍ زَعَزَعَتْ قَلْبَ الْعَنَاتِيرِ  
 قَدْ قَادَهَا «شَرْلُكَانُ»<sup>(٧)</sup> نَفْسُهُ أَمَلًا أَنْ يَمْلِكَ الْقَطْرَ حَوْزًا مِثْلَ «بَالْيِيرِ»  
 فَاحْتَلَّهَا<sup>(٨)</sup> مُرْجِعًا حُكْمَ الشَّقِيِّ بِهَا لَكِنْ بِأَشْرَاطِهِ فِي ذِلٍّ مَقْهُورِ

(1) هي مدينة «الجزائر» وقد أصبحت مركزا له ولأخيه «خير الدين»؛ وكلمة «سبينور» هي الإسبان باللهجة التونسية.  
 (2م). (7). هو «سليمان القانوني» عاشر «آل عثمان» تولى سنة 1520 إلى 1566 وهو أعظم ملوك «آل عثمان» له  
 13 حملة في «أوروبا» وهو الذي أصدر القوانين ودونها وأعطى لـ «فرانسوا الأول ملك فرنسا» امتيازات خاصة  
 خاف منها «شركان» وأحجم عن مهاجمة «فرنسا». (3م). (15). (3) «الحفصي» هو «الحسن الحفصي» ملك  
 «تونس» و «أم الحواضر» هي «الحاضرة تونس». (4) وكان ذلك سنة 935 هـ / 1529 م. (4م). (8). (5)  
 «الينفور» هو شديد النفور وهو كناية عن الهارب والخائف. (6) السناوير جمع سنور وهو مجمع الدروع الصلدة  
 (7) «شارلكان» أو «كارلوس» أو «شارل الخامس» إمبراطور «إسبانيا» في القرون الوسطى وكان قد افتك «جزر  
 البليار» وأنجد «الحسن الحفصي» ضد «خير الدين» أملا في ضم «تونس» إلى مملكته فقاد الحملة بنفسه، (8)  
 واحتل تونس وأرجع «الحسن الحفصي» (الشقي) للحكم، وكان ذلك سنة 942 هـ / 1535 م. (7م).



ثَارَ ابْنُهُ <sup>(9)</sup> فَأَتَى مُسْتَنْقِذَاً بَلَدًا  
فَاسْتَرْجَعَ الْمُلْكَ، لَكِنْ فَرَّ وَالِدُهُ  
وَهَانَ قَدْرُهُ فِي كُلِّ الْبِلَادِ إِلَى  
بِالْقِيَرَوَانِ رَأَى ذُلَّ الْمَهَانَةِ مِنْ  
«كُنَّا أُسُودًا تَهَابُ النَّاسُ صَوْلَتَنَا  
بَكَى عِنْدَمَا، وَرُوحُهُ انْزَعَجَتْ  
وَمَاتَ مِنْ كَمَدٍ فِي غُرْبَةٍ وَأَسَى

مُسْتَبْسِلًا صَامِدًا لِلْعَسْفِ وَالْجُورِ  
فِي سَمَلٍ عَيْنِيهِ لَمْ يَحْظَ بِتَقْدِيرِ  
أَنْ صَارَ أُضْحُوكَةً بَيْنَ الصَّعَارِيرِ <sup>(10)</sup>  
أَطْفَالِ عَرَفَةَ <sup>(11)</sup> فِي عَزْفِ الْمَزَاهِيرِ  
وَجَاءَنَا زَمَنٌ نَخْشَى مِنَ الْعِيرِ <sup>(12)</sup>  
مِنْ جِسْمِهِ أَسَفًا مِنْ سُوءِ مَقْدُورِ  
مِنْ دُونَ مَا أَمَلِ فِي الْعَفْوِ وَالْخَيْرِ.

(9) هو «حميدو أبو العباس أحمد» ولي سنة 942هـ/1535 م بعد أبيه «الحسن» ومات بـ«صقلية» سنة 980 هـ/1572 م. (م.7). (10) من ذلك أن بعض مضيّفيه أمره بأن يعزف له على المزهر بعض الألحان التي يُحِبُّهَا فصار مغنياً يستجدي قوته، وهذا نهاية في النكاية بملك مخلوع. (11) هو عرفة الشاذلي جدّ الشاذليين وصاحب الطريقة الصوفية الشاذلية، وكان الإسبان يسمّونه ملك القيروان. (12) «العير» هو الحمار، والبيت كما قاله الحسن صاحبه من البحر الطويل:

وَكُنَّا أُسُودًا وَالرَّجَالُ تَهَابُنَا  
أَتَانَا زَمَانٌ فِيهِ نَخْشَى الْأَرَابَا

## الإحتلال الإسباني

لَكِنَّ «أَحْمَدَ»<sup>(١)</sup> لَمْ يَسْطِيعْ حِمَايَتَهَا رَغَمَ الْبَلَاءِ وَرَغَمَ الصَّبْرِ فِي الضَّرِّ  
فَلَمْ يَكَدْ يَنْتَهِي مِنْ خَضْدِ شَوْكَتِهَا

وَجَيْشُ «كَارْلُوس» حَلَّ بِـ «الْمُنْسْتِير»<sup>(٢)</sup>

فَحَدَّ مِنْ زَحْفِهِمْ<sup>(٣)</sup> أَبْطَالَ نَجْدَتِهَا  
مِنْ بَعْدِهَا أَخْرَجُوهُمْ مِنْ مَدِينَتِهِمْ  
وَجَاءَ مِنْ بَعْدِ «دُرِّيَا»<sup>(٤)</sup> يُنَاوِئُهُمْ  
وَبَعْدَ أَنْ جَالَدُوا حَقَّ الْجَلَادِ أَتَى  
أَرْسَى بِمِيتَاتِهِمْ وَشَدَّ أَرْهَمُ  
وَأَزْرَقَ فِي الرَّأْيَةِ الْهَلَالَ مُؤْتَلِقًا  
كَانُوا بِهَا سَادَةً يَهَابُ جَانِبُهُمْ  
مِنْ بَعْدِهَا عَادَ «دُرِّيَا» يُكَاثِرُهُمْ<sup>(٥)</sup>  
فَجَالَدُوهُ وَأَغْرَقُوا سَفَائِنَهُ  
وَمَاتَ قَائِدُهُمْ «جَلُول»<sup>(٦)</sup> فَاضْطَرُّوا

بـ «مَنْزِلِ الْحَرْبِ» فِي صَبْرِ الْكَوَاسِيرِ  
هَرَشَ الْكِلَابُ بِأَعْقَابِ السَّنَانِيرِ<sup>(٧)</sup>  
يَرُومُ إِخْضَاعَهُمْ لِحُكْمِ صَارُورِ<sup>(٨)</sup>  
«دَرْغُوثُ» يُنَجِّدُهُمْ عَوْنَ النَّحَارِيرِ  
وَنَالَ أَعْدَاءَهُمْ دَاءُ الْعَوَازِيرِ<sup>(٩)</sup>  
فِي أَبِيضٍ نَاصِعٍ بِالنَّصْفِ يَحْمُورِ  
وَكَانَ مَا ادَّخَرُوا حُسْنَ الْمَفَاحِيرِ  
مِنْ بَعْدِ كَسْرَتِهِ، بِالْجُنْدِ وَالْمِيرِ  
وَجَاءَهُ مَدَدٌ مِنْ أَرْضِ «إِيبِير»  
وَقَامَ خَائِنُهُمْ بِفِعْلِ «شَغِير»<sup>(١٠)</sup>

(1) «أحمد» هو «أحمد بن الحسن الحفصي» الذي خلع أباه وتولى الملك بعده « (2) أي أن أحمد لم يستطع حماية المنستير وكان ذلك سنة 1540 م. (م. 4 و 8). (3) وكانت هذه الواقعة سنة 1541 م. (م. 4 و 8). (4) أي تبعوا آثارهم بالأذى طردا (5) «دريا» هو «أندريه دريا» القائد الإسباني الذي هاجم «المنستير» سنة 956 هـ/ 1549 م في محاولة لإخضاعها لحكم الحفصيين. (م. 4 و 5 و 8). (6) «الصارور» هو الذي لم ينجح أو لم يتزوج فهو كناية عن من لم يقيم بفعل بر قط. (7) «العواذير» جمع «عاذور» وهو داء يصيب الحلق، وهو هنا كناية عن شدة الضيق وبلوغ الهلاك (8) كان ذلك في شهر سبتمبر 1550 م. (م. 4 و 8). (9) هو «أحمد جلّول» شيخ الرباط وقائد جنده توفي =

بَفَتْحِ بَابِ أَمَامِ الزَّاحِفِينَ، وَقَدْ  
أَمْسَكْنَ أَسْلِحَةً لَا خَابَ مُمْسِكُهَا  
لَكِنَّهُمْ غَلِبُواوَأَفْتَكَّ حِصْنُهُمْ  
وَعَاثَ قَاهِرُهُمْ فِي النَّاسِ وَالْحُرُمَا  
وَجَرَدُوا أَهْلَهَا مِنْ كُلِّ أَسْلِحَةٍ  
وَدَوَّلَةُ الْعُدْرِ مَا كَانَتْ مُعَمَّرَةً  
قَامَ النَّسَاءُ بِأَفْعَالِ الْمَعَاوِرِ  
وَحُضُنْ مَعْمَعَةَ الْغُرِّ الْعَنَاتِيرِ  
وَكُبْكِبُوا أَسْفًا بِالْعُدْرِ وَالزُّورِ  
تِ الْغُرِّ فَانْعَفَرَتْ تَحْتَ الْمَحَافِيرِ  
كَمْدِيَةِ الْمَطْبَخِ الْفُطْرَى لَتَقْشِيرِ<sup>(11)</sup>  
لَكِنْ لَا مَهْرَبًا مِنْ خَطِّ مَقْدُورِ

\*\*\*

قَامَ السَّفِيرُ لَدَى السُّلْطَانِ مُلْتَمِسًا  
أَجَابَهُ مُرْسِلًا يَدْعُو مُعَادِيَهُ  
لَكِنَّ «كَارْتُوس» لَمْ يُنْصِتْ لِمَطْلَبِهِ  
فَاخْتَارَهُ عَاصِفٌ مِنْ رِيحِ عَسْكَرِهَا  
فَارْتَدَّ مِنْهَزِمًا يَجْرِي بِلَا مَهْلٍ  
وَقِيلَ لَمْ يُفْلِتِ الْمَافُونَ مِنْ غَرَقٍ  
رَدَّ الْعُدَاةَ عَلَى ثَغْرِ «الْمُنْسْتِيرِ»  
لَكَفَّ عُذْوَانِهِ مِنْ دُونِ تَأْخِيرِ  
وَاخْتَارَ فِي صَلْفٍ شَرَّ التَّدَابِيرِ  
وَجَاءَهُ قَاصِفٌ فِي غَمْرَةِ الْغُورِ  
قُوَاتُهُ أَنْدَحَرَتْ فِي قَعْرِ مَوْهُورِ<sup>(12)</sup>  
بَلْ صَارَ جِسْمُهُ مِنْ قُوْتِ الدَّنَافِيرِ<sup>(13)</sup>

= فجأة. (م. 4 و 8). (10) «الشَّعِيرُ» هو علم الأخلاق؛ وقد فتح أحد الخونة باب البحر (باب غدر) فتمكن الإسبان من دخول الرباط. (م. 4 و 8). (11) تروي الحكايات الشعبية أنه انتزع سلاح الأهالي حتى مدية المطبخ فقد علقوا لهم مدية في رأس النهج ويتداول الناس عليها لقضاء شؤونهم بحضور الجندي الإسباني، وتقول القصة أيضا أن الأهالي تمكنوا من التسليح بالطب وإخفاء السلاح في أحماله وهكذا تمكنوا من الانقلاب عليه، وهذا وإن بدا كالأسطورة إلا أنه ليس غريبا على الشعب التونسي. (الفطرى) مؤنث (أفطور) وهي السكين المتشقة التي لا تصلح لتقشير الخضر. (م. الذكرة الشعبية). (12) «الموهور» الذي لا قاع له. (13) «الدنافير» جمع «دنفير» بلهجة «المنستير» وهو حيوان الدلفين البحري.

## حكم الدايات

مِنْ بَعْدِ مَا سَقَطَتْ أَسْوَارُ «مَهْدِيَّة»<sup>(١)</sup> أَلْقُوا بِأَحْمَالِهَا عَلَى «الْمُنْسْتِيرِ»  
 قَالَ الْخَلِيفَةُ<sup>(٢)</sup>: «يَا «فَرَحَاتُ» أَنْتَ لَهَا وَاعْمَلْ عَلَى صَوْنِهَا مِنْ كُلِّ نَائِبَةٍ  
 وَاجْعَلْ بِهَا مَنْصِبًا تَزْهُو سَنَاجِقُهُ وَاجْعَلْ لَهَا وَطَنٌ  
 وَاجْعَلْ إِلَى «سُوسَةِ» يَرْقَى لَهَا وَطَنٌ وَاصِلٌ تَوْسَعُهُ حَتَّى «صَفَاقُسَ» وَاجْعَلْ فِي خَفَارَتِهِ جُنْدَ «الْيَنَاشِيرِ»<sup>(٤)</sup>  
 وَجَدَّ «فَرَحَاتُ» فِي تَحْقِيقِ نَهْضَتِهَا بِجَدِّ بَايٍ يَرَى الْبَذَرِيسَ أَهْوَرَ<sup>(٣)</sup>  
 حَتَّى اسْتَوَتْ دُرَّةً فِي تَاجٍ مَنْ صَنَعُوا مِنْ مَجْدِهَا عِبْرَةً عَبَرَ الْأَعَاصِيرِ  
 لَكِنْ بِـ «تُونِسٍ» بَاشَا لَمْ يَكُنْ رَجُلًا مَحْمُودَ عَاقِبَةٍ مِنْ كَثَرَةِ الْجُورِ  
 فَتَارَ أَجْنَادُهُ يَتَّعُونَ مَقْتَلَهُ وَهَاجَ هَائِجُهُمْ حَتَّى الْمَفَاهِيرِ<sup>(٦)</sup>  
 فَأَجْمَعُوا قَتْلَهُ ، لَكِنْ جَمَاعَتُهُ<sup>(٧)</sup> قَامُوا بِتَغْوِيضِهِ بِالْدَّايِ فِي الدُّورِ<sup>(٨)</sup>

(1) وكان ذلك على أيدي الإسبان سنة 1554 م. (8.م). (2) «الخليفة» المقصود به خليفة المسلمين السلطان العثماني. (3) «فرحات» كان باي المنستير سنة 1579 م وقد عمل على تحصينها حتى ترث الدور التي كانت تقوم به «المهدية» (4) «اليناشير» Janissaires وهم «الينيشيرية» أو «الأنكشارية» وهم الجنود الحدد من غير الجنود النظاميين كانوا من حملة الجيش العثماني، ولما فسد أمرهم أبادهم السلطان «محمود الثاني» سنة 1826 م. (5) «الساهور» الكثرة (6) «المفاهير» لحم الصدر وهو كناية عن بلوغ الأمر نهايته (7) جماعته هم «الدويان» هو مجلس الحكم ومقره بـ «القصبية بتونس». وهو شبه الحكومة اليوم، و«الدور» هنا أي النوبة أو المهمة وهو مخالف لمعنى «الدور» (8) في «مجامع الدور» أي المباني، لذلك لا يكون تكرارا في القافية بل يكون جناسا تاما على بعد المسافة بين اللفظتين. (م.2).

فَنَصَّبُوا بَعْدَهُ «عُثْمَانَ»<sup>(9)</sup> دَايَهُمْ إِذْ كَانَ أَبْصَرَ رَهُمْ بِحُسْنِ تَدْبِيرِ  
فَسَنَّ «مِيزَانَهُ»<sup>(10)</sup> لِلْعَدْلِ مُحْتَكَمًا وَعَمَّرَ الْقُطْرَ بِالْعُمَرَانِ وَالْخَيْرِ

(9) «عثمان» هو «عثمان داي» أوّل داي استقلّ بالحكم عن البلوكباشية سنة 1007هـ / 1598م فسّن القوانين لتنظيم الحياة وخلفه صهره «يوسف داي». (م. 2 و 7). (10) «الميزان» هو مجموعة القوانين التي سنّها «عثمان داي» لبسط العدل في إيلاته وسماها الميزان. (م. 7).

## المنستير في حكم الدايات

نَالَ «الْمُنَسْتِيرَ» مِنْهَا حِرْزُهَا بِسِلَا  
 حَيَّ «الْهَلَالِيَّ»<sup>(1)</sup> زَادَ فِي رَحَابَتِهَا  
 «لِلشَّرْع» دَارٌ عَلَى الْيَمِينِ ، قِبَلَتَهَا  
 حَيَّ «مُرَاد»<sup>(3)</sup> زَهَا قُدَّامَهَا أَلْقَا  
 حَيَّ «طَرَابُلُس» نَالَ حَظْوَةً وَسَنًا  
 وَزَادَ أَسْوَاقَهَا نَوْعًا وَتَوْسِيعَةً  
 أَحْيَاوُهَا اَزْدَهَرَتْ بِنَقْشِ أُنْدُلُسٍ  
 «بُولَاق»<sup>(5)</sup> أَعْلَى بِهَا ثُرْسَانَةٌ وَبَنَى  
 حِجَ الْمِدْفَعِيَّةَ تَحْصِينًا لِمَحْذُورٍ  
 وَبِ«السَّبَاطِ»<sup>(2)</sup> عَلَتْ مَجَامِعُ الدُّورِ  
 لِلِ«سَبَاي» دَارٌ عَلَى الْيَسَارِ بِالْجِيرِ  
 بِ«جَامِع» عَامِرٍ بِالْعِلْمِ وَالثَّوْرِ  
 وَسَوَّرُوهُ وَ«بَابُ الْغَرْبِ» بِالسُّورِ  
 مَا كَانَ «دَانِقُهَا»<sup>(4)</sup> قَبْلًا بِمَوْفُورٍ  
 حَتَّى غَدَتْ سِمَةً عِنْدَ الْمَغَاضِيرِ  
 أَبْرَاجَهَا جَاهِدَابِجِدٌ تَعْمِيرِ

(1) «حي الهلالي» هو جزء من أجزاء «حومة الشراقة» ولعلها أقدمها، كان بجانب «السور الأول» يفصله عن المدينة «زقاق صالح» الذي يبدأ من ساحة «باب الدرب» و«سوق اللقة» ويَمرّ ملاصقا للسور القديم من الداخل وينتهي إلى «سوق البلد» بـ«جامع البلد» أو جامع لاز، وفي منعرجه قبل المسجد مقام ولي باسم «سيدي الدهماني» وفتحة صغيرة في سور قديم يُدخل منها إلى «حي الهلالي» تسمى «سيدي الهلالي». (2) «حي السباط» وهو الجزء الثاني من «حومة الشراقة» وكان له مدخل خارج السور من فتحة فتحت وليس بابا رسميا، ويظهر أنها فتحت في إحدى الحريين العالميتين تسهيلا للهروب، ثم وقع تهديها وسُميت بـ«باب البنات»؛ و مدخل من المدينة من سباط سُمي «سباط الحكم» وسُمي «دار الباي»، وبه «دارالشرع» التي ما زالت إلى الآن وهي مقر «جمعية صيانة المدينة»؛ و«دار الباي» ولعلها الدار التي كان يزل بها باي الأمحال عند زيارة الحجة، ولعلها ما كان يسمى «دار العمل» أي مقر العامل أو القايد قبل أن يقع هدمها بعد الإستقلال (3) «حي مراد» هو ما يسمى الآن بـ«حومة الحُجَانة»، و«الجامع» هو «الجامع المرادي الحنفي» الذي أقيم على أنقاضه «جامع بورقية» الحالي. (4) «الدانق» هو بعض العملات المتداولة في ذلك العهد، كما كان وحدة وزن تساوي سُدُسَ درهم أي 0,520 غراما. (5) «بولاق» هو البلوكباشي أي الأمير الأكبر بـ«تونس» الذي يُمثل السلطة العثمانية وهذا البلوكباشي هو «حسن» الذي تولى بناء الترسانة بـ«المنستير» بـرج «سيدي مسعود» سنة 1612م. (م. 4 و8).

وَالْدَّايُّ «يُوسُفُ»<sup>(6)</sup> لَمْ يَتَّخِلْ بِتَحْصِينِهَا أَحَاطَ أَرْبَاضَهَا الْكُلَّ بِتَسْوِيرِ  
وَزَادَ بِهَجَّتِهَا بَابُ «بُرَيْقِشَةَ»<sup>(7)</sup> فِي نَقْشِهِ قَدْ بَدَتْ بَعْضُ التَّصَاوِيرِ  
تُنْبِئُ دَارِسَهَا عَنْ وَقْتِ نَقْشَتِهَا إِنَّ لَمْ يَجِدْ مَآرِبًا مِنْ قَوْلِ نَحْرِيرِ  
وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهِ «الْأُسْطَا مُرَادُ»<sup>(8)</sup> بِمَا زَادَ الْهِنَاءُ بِهِ غَلَقَ الْمَخَامِيرِ  
عَمَّ الرَّخَاءُ فَكَانَ الْخُبْزُ مِنْ سِعَةِ الْأَرْزَاقِ يَأْكُلُهُ كُلُّ الْجَمَاهِيرِ<sup>(9)</sup>  
وَاللَّحْمُ فِي شِدَّةِ الْإِمْحَالِ مُتَشَرُّ تَكْفِي لِتَحْصِيلِهِ بَعْضُ النَّوَاصِرِ<sup>(10)</sup>  
أَوَّلَى «الْمُنْسْتِيرِ» شَيْئًا مِنْ عِنَايَتِهِ فَرَادَ أُسْطُولَهَا بَعْضَ الْعَمَائِرِ<sup>(11)</sup>  
وَضَاقَ مِينَأُهَا بَعْدَ الرَّحَابَةِ بِالْأَمْتَاعِ وَالتَّجَرِّ شَانَ الْبِنَادِيرِ<sup>(12)</sup>  
سَمَّى عَلَيْهَا أَمِيرًا خَيْرَ فِتْيَتِهِ وَهُوَ «أَبُو الْقَاسِمِ الْبَايُ الْمُنْسْتِيرِي»<sup>(13)</sup>

(6) «يوسف داي» هو صهر «عثمان داي» تولى من بعده سنة 1019هـ/1610م وسعى في ترقّي البلاد وأحدث  
عديد الأسواق وقوّى الأساطيل التونسية. وفي عهده نصبت قناصل الدول الأوروبية خوفا من صولاته ومات سنة  
1047هـ/1637م. (م. 8 و7). (7) «باب بريقشة» هو ما سُمّي بـ «الباب الحديد ومنه «سوق الباب الجديد»  
وسُمّي فيما بعد وإلى الآن «باب بريقشة» و«بريقشة» تصغير لـ «برقاشة» وهو نوع من السمك المملون بتي اللون  
وقد نجد به خطوطا زرقاء ، امتازت «المنستير» بطهيه وأكله إلى جانب «الشركاو»، وكان يباع في هذا  
المكان. (م. 8). (8) هو «الأسطا مراد راي» بن عبد الله» قام بخطة الداي بعد وفاة «الداي يوسف» وكانت بيده  
رئاسة البحر وتوفي سنة 1050هـ 1640م وبعده أخذ أمر الدايات في التراجع وأصبح النفوذ للبايات. (م. 7 و8). (9)  
بلغ ثمن رغيف الخبز بزنة 36 وية أي كيلو غرام واحد ناصريواوحدا، واللحم في قلب الشتاء رطله بناصري. وهذا  
رخاء كبير. (م. 2). (10) «النواصير» جمع «نواصر» جمع «ناصر» وهي عملة ذلك الوقت وهي ذات قيمة  
زهيدة. (م. 2). (11) «العمائر» جمع «عمائر» وهذه هي جمع «عمارة» وهي قطعة (المركب) البحرية أو  
الغراب. (12) البنادير جمع بندر وهو المدينة الساحلية ومقر التجار. (13) هو «بلقاسم المنستيري» كان بايا  
بـ «المنستير» وقبطان بحرهما ، تولى من قبل «الأسطي مراد داي» وعظم أمره في مدة الداي «محمد لاز» بمعاونة  
«كشك مراد» مملوك الداي «محمد لاز» ونكب «بلقاسم» في ولاية «مصطفى لاز» على يد الباشا «عبد الرحمن»  
في حدود سنة 1070هـ. (م. 2).





## تدهور الدايات

وَهَانَ مِنْ بَعْدِهِ الدَّايَاتُ وَانْقَلَبُوا جِسْمًا بِلَا نَفْسٍ أَوْ وَهْمَ تَصْوِيرٍ  
صَارَتْ مَصَالِحُهُمْ نَهْبًا لِمَنْ غَلَبُوا عَنْ أَمْرِهِمْ بِحِجَى أَوْ حُسْنِ تَدْبِيرٍ  
قَامَ «أَبُو الْقَاسِمِ» الْقُبْطَانُ يَطْلُبُهَا لِنَفْسِهِ رَاكِبًا مَرْكُوبَ مَعْرُورٍ  
فَ«كُشْكُ»<sup>(١)</sup> لَمْ يَكُنِ الْأَقْوَى بِقُرْبِهِ مِنْ

دَايَاتِهِمْ أَوْ عَدِيمِ الْغَدْرِ وَالزُّورِ  
وَكَادَ يَأْخُذُهَا، لَكِنْ تَدَارَكَهُ الْبَاشَا بِضَرْبَتِهِ فِي الْعُمُقِ وَالْعُورِ  
«طَابَاقُ»<sup>(٢)</sup> مَا وَطِئَتْ رِجْلَاهُ قَصْبَتُهُ حَتَّى غَدَا غَاضِبًا جَيْشُ «الْمُنْسْتِيرِ»  
لَكِنْ أَعْقَابُهُ لَمْ يَهْدُوُوا وَبَقَوْا يَرْجُونَ سَاحَةَ لُثَارٍ مَوْثُورٍ  
فَنَارِي وَجْهِهِ خَلْعًا لَطَاعَتِهِ وَرَامِيًا بَعَثَهُ بِكُلِّ تَقْعِيرٍ<sup>(٣)</sup>  
فَأَرْسَلَ الْجَيْشَ يَنْغِي رَدَّهُمْ أَمْلًا فِي طَاعَةٍ لَمْ تَعُدْ مِنْ حُسْنِ تَدْبِيرٍ  
«أَبُو خُرَّاسَانَ»<sup>(٤)</sup> قَادَ الْجَيْشَ عَنْ ثِقَةٍ فِي كَسْرِ عِزَّتِهَا فِي كُلِّ تَهْوِيرٍ  
لَكِنَّهَا لَمْ تَلِنْ بَلْ زَادَ قَسْوَتَهَا رَمَتْهُ عَنْ قَوْسِهَا فِي غَيْظٍ مَقْهُورٍ  
فَانْهَارَ فِي ذِلَّةٍ يَرْجُو تَعَطُّفَهَا وَصَارَ فِي جَيْشِهِ ضِمْنِ الْمَحَاقِيرِ

(١) «كشك» هو «كشك مراد» مملوك الداى «محمد لاز» الذي عاون «أبي القاسم المنستيرى» حتى طمع في الوثوب على الملك (٢) «طاباق» هو «محمد داى» الذي ثار عليه «حمودة باي المرادى»، ووقفت في وجهه «المنستير» مناصرة «حمودة باي». (٢.م). (٣) «التقعر» في الكلام هو البحث عن الكلمات الأكثر دلالة وهنا كناية عن السباب والإستهزاء. (٤) «أبو خراسان» هو قائد جيش الداى الذي حاصر «المنستير» وانكسر أمام أسوارها سنة ١٦٤٧م. (٢.م و ٨).

وَعَادَ مُنْكَسِرًا يَجْتَزُّ حَيَّيْتَهُ      يَهْدِي بِفَاقِرَةٍ حَلَّتْ وَشَاقُورِ  
وَأَنْهَارًا عَدَاؤَهَا فِي حَرْبِهَا وَذَوُوا      وَنَالَهُمْ ثُوبٌ مِنَ الْعَضَافِيرِ  
وَسَاقَ «حَمُودَةٌ»<sup>(5)</sup> الْأَجْنَادَ يَحْفِزُهَا      مُيَمَّمًا طَالِبًا «أُمَّ الْحَوَاصِيرِ»  
فَحَاصِرَ الدَّائِي حَتَّى ذَلَّ شَامِخُهُ      وَبَاتَ مُنْهَزِمًا يَهْدِي كَمَقْرُورِ  
لَمْ تُغْنِهِ رَشْوَةُ الْأَجْنَادِ فِي مَلَقٍ      بَنَفْلٍ رَاتِبِهِمْ بَعْضَ النَّوَاصِيرِ

(5) «حَمُودَةٌ» هو «حَمُودَة (أو مُحَمَّد) باي المرادي بن مراد باي الأول مؤسس الأسرة المرادية»، تولى منصب الباي عن أبيه الباشا سنة 1041 هـ/1631م مباشرة بعد وفاة «الأسطا مراد داي» بسنة، وتَحَصَّل على الباشاوية سنة 1068 هـ/1658م وعقد لأولاده على النواحي وتوفي سنة 1076 هـ/1665م ، وخلفه ابنه «مراد الثاني». (م.2.7).

## الدولة المرادية

وَعِنْدَمَا ذَهَبَ «الْأَسْطَا» وَأَعْقَبَهُ الدَّاءُ  
سَعَى «مُرَادٌ»<sup>(1)</sup> لَدَى السُّلْطَانِ يَطْلُبُهُ  
فَحَازَهُ، وَغَدَا يَرْثُو إِلَى أَفْقٍ  
مُؤَسَّسًا دَوْلَةً فِي نَسْلِهِ تَبَعًا  
وَقَلَدَ الْإِبْنَ بَايَا فِي جَبَايَتِهَا  
وَخَاضَ مِنْ أَجْلِهَا بَعْضَ الْحُرُوبِ عَلَى

يَاتُ فِي ضَعْفِهِمْ مِنْ سُوءِ تَدْبِيرِ  
تَقْلِيدِهِ لَقَبَ الْبَاشَا بِتَقْرِيرِ  
لَمْ يَرْقَهُ أَحَدٌ قَبْلًا بِتَفْكِيرِ  
مِنْ دُونِ أَنْ يَخْضَعُوا فِي الْأَمْرِ لِلْغَيْرِ  
فَقَامَ «حَمُودَةٌ»<sup>(2)</sup> جَادًّا بِتَشْمِيرِ

مَنْ احْتَمَى عَاصِيًا بِالْقَفْرِ وَالْغُورِ  
أَعْيَاهُ فِي حَرْبِهِ ضِدَّ الصَّعَارِيرِ  
مِنْ وَقَعٍ وَاقِعَةٍ أَوْ نَقَرٍ نَاقُورِ  
مِنْ نَصْرِهَا غَالِبًا يَسْطُو بِأُظْفُورِ  
فَزَادَ أَرْبَاضَهَا حِصْنًا بِتَسْوِيرِ  
حَتَّى غَدَتْ دُرَّةً فِي عَيْنِ نَاطُورِ

أَتَى «الْمُنَسْتِير» كَيْ يَرْتَاحَ مِنْ تَعَبِ  
أَلْفَى بِهَا نَاصِرًا لَا يَشْتَكِي أَبَدًا  
فَنَاصَرَتْ وَحَمَتْ أَجْنَادَهُ فَعَدَا  
لَمَّا اعْتَلَى دِسْتَهُ لَمْ يَنْسَ مُكْرَمَةً  
مِنْ غَرْبِهَا زَادَهَا رُبْضًا وَتَوْسِعةً

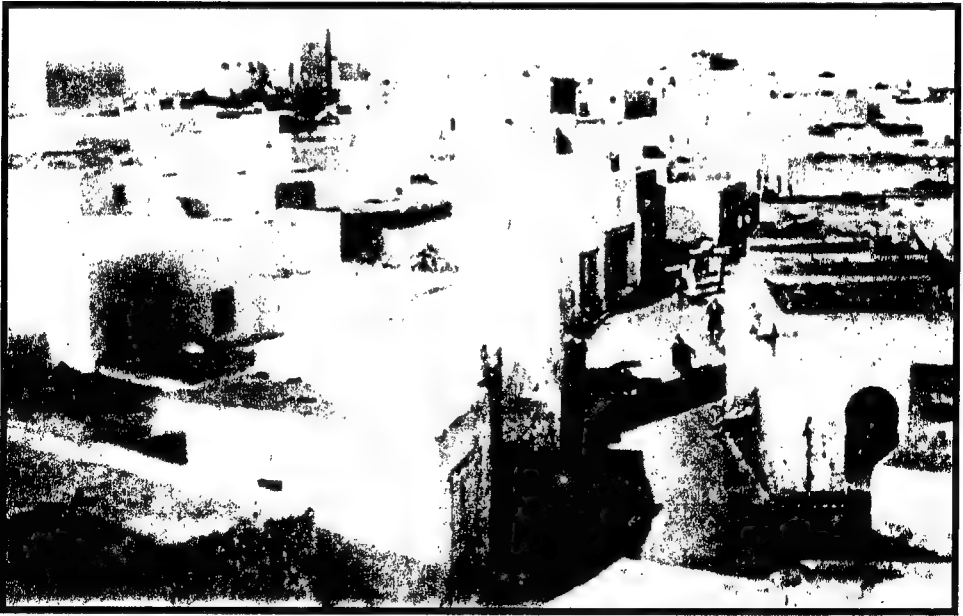
(1) «مراد» هو «مراد باي الأول» من أصل كورسيكي وهو أب العائلة المرادية أسلم على يد سيده «رمضان باي» وتدرج في المناصب حتى أصبح قائد عساكر «الداي يوسف»، وتدرج بعده في المناصب حتى سنة 1041هـ - 1631م حين تحصل على لقب الباشا فتخلّى عن الأُمحال لابنه «محمد» وهو «حمودة باي». (7.م). (2) «حمودة» هو «حمودة (أو محمد) باي المرادي بن مراد باي الأول مؤسس الأسرة المرادية»، تولى منصب الباي عن أبيه الباشا سنة 1041 هـ / 1631م مباشرة بعد وفاة «الأسطا مراد داي» بسنة، وتحصل على الباشاوية سنة 1068هـ / 1658م وعقد لأولاده على النواحي وتوفي سنة 1076هـ - 1665م، وخلفه ابنه «مراد الثاني». (7.م). (2.و7).

وَلَّى بِهَائِجَلَهُ «الْحَفْصِيَّ»<sup>(3)</sup> عَنْ ثِقَةٍ  
وَجَاءَ تَقْلِيدُهُ بِأَشَأْ، لِيُخْلِفَهُ  
وَمَاتَ مُنْشَرِحًا فِي عِزَّةٍ وَرِضًا  
وَكَانَ دَائِهِمْ<sup>(4)</sup> قَدْ شَاخَ وَارْتَبَكَتْ  
فَكَانَ فِي خَلْعِهِ خَيْرٌ لِأُمَّتِهِ  
لَكِنَّ غَايَتَهُمْ فِي مَنْصَبٍ وَجَلًّا  
فَبَعْدَهُ «مُنْتَشَالِي»<sup>(5)</sup> الدَّايُّ قَدْ خَلَعُوا  
فَفَرَّ مِنْ بَيْنِهِمْ «مُحَمَّدٌ»<sup>(6)</sup> وَ أَتَى  
فَأَضْمَرَ أَحْرَبَهُمْ فِي دَارِهِمْ أَمَلًا  
وَانْتَشَرَ الْخَوْفُ فِي كُلِّ الْبِلَادِ، وَقَدْ  
كَانَتْ عَوَاقِبُهَا لِلْبَايِ خَالِصَةً  
وَالنَّاسُ عَادُوا إِلَى أَشْغَالِهِمْ بِأَمَّا

فِي عَوْنِهَا دَائِمًا بِالْجُنْدِ وَالْمِيرِ  
«مُرَادُ»<sup>(4)</sup> فِي جَيْشِهِ مِنْ دُونِ تَأْخِيرِ  
وَالشَّعْبُ مُعْتَبِطٌ، بَلْ جِدُّ مَسْرُورِ  
أَحْوَالُهُ ، فَعَدَا فِي حِلْمِ عُسْفُورِ  
لَوْ كَانَ فِي حُكْمِهِمْ رَأْيٌ لِتَحْرِيرِ  
لِخَلْفِهِ دَائِمًا شَرُّ الْمَحَازِيرِ  
وَنَصَبُوا «لَاَزَ»<sup>(7)</sup> كَيْ يَطْعُوا بِتَدْبِيرِ  
بِـ «الْقَيْرَوَانِ» أَخَا مِنْ أَجْلِ تَحْذِيرِ  
فِي رَدِّ غَاشِيَةِ الْأَطْمَاعِ وَالزُّورِ  
كَانَتْ مُوَاجَهَةً مِنْ دُونِ تَوْقِيرِ  
وَأَصْبَحَ الدَّايُّ فِي أَثْوَابِ مَهْزُورِ<sup>(8)</sup>  
نِ مِنْ «مُرَادُ» وَقَدْ جَدُّوا بِتَشْمِيرِ

(3) هو «محمد الحفصي ابن حمودة باي المرادي» تولى ولاية «منصب الساحل» و«سنحق القيروان» سنة 1658م. (7م. و8). (4) «مراد» هو «مراد الثاني» أكبر أبناء «حمودة باي»، تولى الحكم بعده منذ 1665 م فخضد شوكة الثائرين ، ونازعه الأنكشارية فهدم عليهم قتلهم وجعلها مدرسة هي «المدرسة المرادية» التي تولى إدارتها فيما بعد الشيخ «محمد زيتونة المنستيري» في فجر الدولة الحسينية. وتوفي مراد هذا سنة 1086هـ 1675م وترك الملك لابنيه «محمد وعلي». (م. 7 و9). (5) هو الداي «الحاج شعبان خوجة» وخلعه «مراد باي» سنة 1082هـ. (م. 2). (6) «منتشالي» داي ضعيف نصبه «مراد باي الثاني» لكن أهل الفساد خلعوه ونصبوا مكانه «علي لاز» سنة 1083هـ. (م. 2). (7) «لاز» هو «علي لاز» وهو ليس «لاز الأول» فهم «محمد لاز» توفي سنة 1063 هـ ثم «مصطفى لاز» توفي سنة 1075هـ و«علي لاز» هو الثالث. (م. 2 و7). (8) «مهزور» مطرود ومنبذ.

وَتَوَجَّ الْكُلَّ «فَرْمَان»<sup>(9)</sup> أَتَى عَجَلًا  
فَعَيَّنَ الدَّايَّ «مَامِي»<sup>(10)</sup> مِنْ صَنِيعَتِهِ  
ثَارَ «أَبُو الْقَاسِمِ الشُّوكِي»<sup>(11)</sup> فِي جَبَلِ الشُّوَارِ «وَسَلَات» فِي جَمْعِ الْبَرَابِيرِ  
فَعَاجَ يَخْضِدُهُ مُسْتَفْتِحًا وَأَبَا  
وَهَاجَ فِي «ثُونِس» الْأَثْرَاكَ بَعْدَهُمْ  
فَهَدَّ قِشْلَتَهُمْ وَشَادَ مَوْضِعَهَا  
وَمَاتَ مُغْتَبِطًا فِي أَوْجِ عِزَّتِهِ  
سَمَّاهُ بَاشَا عَلَى «أُمِّ الْحَوَاضِيرِ»  
لِيَأْمَنَ الْأَمْرَ فِي الْأَنْجَالِ بِالْخَيْرِ  
دَ الثَّائِرِينَ بِهِ فِي سَطْوِ سَابُورِ  
فِي قِشْلَةٍ جُعِلَتْ لِحُنْدٍ «يَنْشِيرِ»  
لِلنَّاسِ مَدْرَسَةً لِلْعِلْمِ وَالنُّورِ  
فِي سِرِّهِ آمِنًا حُكْمَ الْمَقَادِيرِ



(9) «الفرمان» هو القرار الذي يتخذُه الباب العالي. (10) كان الداي آنذاك «مَامِي جَمَل» وهو صنيعة «مراد باي الثاني». (م. 2 و 7). (11) ثار «أبو القاسم الشوك» بـ «جبل وسلات» فقاتله «مراد» سنة 1674م 1085هـ حاصره وافتتح الجبل عنوة. (م. 2 و 7).

## صراع الأخوين

وَنَصَّبُوا نَجْلَهُ «مُحَمَّدًا» <sup>(1)</sup> بِرِضًا  
«مُحَمَّدًا» <sup>(2)</sup> عَمَّهُ أَغْرَى أَخَاهُ بِهِ  
وَالْدَائِي وَافَقَهُ وَلَمْ يَجِدْ مَانِعًا  
وَصَارَ «حَفْصِيَّهُمْ» بَايَا وَقَدْ خَلَعُوا  
وَسَارَ مَخْلُوعُهُمْ «لِلْكَافِ» فِي حَشْدٍ  
نَادَى الْمُنَادِي فَلَبَّى النَّاسُ دَعْوَتَهُ  
لَمَّا رَأَى عَمَّهُ مَا هَالَهُ انْخَلَعَتْ  
وَصَارَ فِي هَلَعٍ يَخْشَى مُعَاتَبَةً  
عَنْهُ نَضَى كِسْوَةَ الْحُكَّامِ مُعْتَرِفًا  
سَارَتْ مَبْرَاكِبُهُ فِي الْبَحْرِ هَارِبَةً  
وَجَازَ «نَجْلُ مُرَادٍ» «تُونِسًا» جَذَلًا  
أَلْقَى أَخَاهُ «عَلِيًّا» فِي مُضَابِقَةٍ  
بِبَعْضِ آطَامِهِمْ فِي ضَيْقٍ مُظْلِمَةٍ

لَكِنَّهُمْ نُكِسُوا بِنَقْضِ تَقْرِيرِ  
سَعَى لَدَى دَائِهِمْ <sup>(3)</sup> بِكُلِّ تَغْرِيرِ  
مِنْ كَسْرِ شَوْكَتِهِمْ مِنْ بَعْدِ تَجْبِيرِ  
«مُحَمَّدًا» بَعْدَ أَنْ حَادُّوا عَنِ الثُّورِ  
يُعِدُّ عُذَّتَهُ لِقَفْرِ عَثُورِ  
وَجَاءَهُ مَدَدٌ مِنْ كُلِّ مَعْمُورِ  
مِنْ قَلْبِهِ عَزْمَةُ الْعُرِّ الْمَعَاوِيرِ  
وَالْغَنِيمَةِ لَمْ يُعِدْ بِمَعْرُورِ  
بِحَقِّ غَالِبِهِ فِي الْحُكْمِ وَالْثُورِ  
لِلْأَسْتَانَةِ مِنْ خَوْفِ الدَّوَاغِيرِ <sup>(4)</sup>  
إِذْ نَالَ بُعَيْتَهُ مِنْ بَسْطِ مَمْعُورِ <sup>(5)</sup>  
حَتَّى غَدَا عَاجِزًا فِي شِبْهِ مَحْجُورِ  
لَمْ يُلَفِّ فِي قَعْرِهَا شَيْئًا مِنَ الثُّورِ

(1) هو «محمد باي بن مراد الثاني» الذي ولي الأمر بعد أبيه ثم عزله الديوان في رجب 1086هـ / أكتوبر 1675م وسمى مكانه عمه «محمد الحفصي»، فثار «محمد» عليه واحتدى بـ«الكاف» ثم بـ«المنستير» ضد أخيه «علي باي» سنة 1678م، ومات بعد أخيه «علي» في سنة 1108هـ 1696م. (م. 2 و7). (2) هو «محمد الحفصي بن حمودة باي المرادي» تولى ولاية «منصب الساحل» و«سنحق القيروان» سنة 1658م. (م. 7 و8). (3) هو الداي «مامي جمل» (4) «الدواغير» جمع ( «داغرة» وهي المصيبة تقحم على الإنسان هجوما (5) «الممعور» هو المقطب غضبا.

فِي غَيْبَةِ الْبَايِ وَافَى الْمَوْتَ بَعْضَهُمْ وَمَا اسْتَطَاعَ «عَلِيٌّ» دَفْنَ مَقْبُورٍ  
فَحَزَّ فِي نَفْسِهِ تَضْيِيقُ أَنْفَاسِهِ وَالْحَقْدُ مَصْدَرُهُ الْإِمْعَانُ فِي الْجُورِ  
وَفَرَّ مِنْ سِجْنِهِ، وَكَانَ وُجْهَتُهُ عَنَابَةٌ مُبْحِرًا مِنْ غَيْرِ تَأْخِيرِ  
أَعَانَهُ «أَحْمَدُ الشُّلْبِيُّ»<sup>(6)</sup> عَنْ طَمَعٍ فِي نَصْرِهِ بَعْدَ أَنْ يَحْطَى بِتَأْمِيرِ  
وَنَالَ مَأْرَبَهُ، وَكَانَ مُنْزَلُهُ «شَيْخُ الْحَنَانِشَةِ»<sup>(7)</sup> الْأَبْطَالِ فِي الضَّرِّ  
فَكَوَّرُوا جَمْعَهُمْ فَوْرًا لِنَصْرَتِهِ وَقَادَهُمْ غَازِيًا فِي غَيْظِ مَوْتُورِ  
جَبَى «سَبِينُولُ»<sup>(8)</sup> مِنْ «عَمْدُون» نَاحِيَةً لِحَاجَةِ الْجَيْشِ مِنْ ذُخْرِ وَمِنْ مِيرِ  
وَسَارَ مُتَّخِذًا «وَسَلَات» مُحْتَصِنًا يَحْمِيهِ مِنْ كُلِّ مَا يَخْشَى مِنَ الضَّرِّ  
لَمَّا أَتَى خَبَرَ الْأَخْشَادِ «تُونِس» لَمْ يَشْغَلْ «مُحَمَّد» أَمْرَ غَيْرِ تَشْمِيرِ  
وَسَارَ فِي جَيْشِهِ، «وَسَلَات» وَجْهَتُهُ مُصَمِّمًا فَتَحَهُ بِالنَّارِ وَالْقِيرِ  
وَكَادَ يَفْتَحُهُ لَوْلَا مَدَافِعُ قَدْ دَوَّتْ بِعَسْكَرِهِ فِي شِبْهِ مَعْدُورِ  
وَدَبَّ فِي جَيْشِهِ وَهْنُ الْعَزَائِمِ فَأَنْحَلَتْ مَحَازِمُهُ مِنْ دُغْرِ مَدْعُورِ  
فَكَانَ تَصْمِيمُهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَارْتَدَّ مِنْهُزِمًا يَهْدِي كَمَسْحُورِ<sup>(9)</sup>

(6) هذا الداوي هو «أحمد شلبي» وهو الذي ساعد «علي باي» على ركوب البحر إلى «بلد العناب»؛ وقد بلغ «محمد باي» أنه اعصوب بـ«الحاضرة» فراسل أخاه «عليا» واصطلحا وقاتلا الداوي الناصر لكنه هزمهما وقوي أمره، ثم كرا عليه. (م. 72 و 7). (7) شيخ الحنانشة هو «سلطان بن منصور بن خالد»، لما فر «علي باي» من سجنه التحق بـ«الجزائر» وتزوج ابنة شيخ «الحنانشة» واستعان به على طلب الولاية من أخيه والتف حوله جيش كبير من «الحنانشة» (وهم إحدى القبائل العربية الجزائرية) والعرب ونزل بهم «جبل وسلات». (م. 72 و 7). (8) هو «مصطفى سبنول» قائد جيوش «علي باي» وقد جى محلّة تابعة لـ«محمد باي» قرب «عمدون» للترود بمالها لعسكره. (م. 72 و 7). (9) انكسر «محمد باي» أمام أخيه في «جبل وسلات» وانعزل إلى «القيروان» في ذي قعدة سنة 1087هـ 1676 م. (م. 72 و 7).

## إمارة علي المرادي

أَمَّا «عَلِيٌّ» فَقَدْ تَمَّتْ إِمَارَتُهُ  
طَارَتْ إِلَى «ثُونِس» الْأَنْبَاءُ عَنْ عَجَلٍ  
وَعَيَّرُوا دَائِهِمْ<sup>(١)</sup> وَاسْتَقْبَلُوهُ بِمَا  
وَجَّازَ ثُونِسَ لَمْ يُلَفِ مُعَارَضَةً  
لَمَّا اسْتَقَرَّ، وَصَارَ الْأَمْرُ فِي يَدِهِ  
أَعَدَّ عُدَّتَهُ لِلْحَرْبِ مُتَّجِهَاً  
فَخَابَ مَأْمُولُهُ فِي قَصْفِهَا هَدْرًا  
لَمْ يُلَفِ فِيهَا أَخَاهُ أَصْلَ مُحَنَّتِهِ  
إِذْ جَاءَهُ خَبَرٌ أَنَّ «الْجَرِيدَ» عَصَى  
«مُحَمَّدٌ» حَازَهُ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ قَدْ  
فَسَارَ فِي إِثْرِهِ لـ «قَفْصَةٍ» حَرْدًا  
لَكِنْ إِلَى «ثُونِسٍ» عَاجَ مُرَاوَعُهُ  
أَعَادَ «مَامِي» إِلَى الدِّيَوَانِ دَائِهِمْ  
وَبَعْدَهُ جَاءَ «سَاقْسَلِي»<sup>(٢)</sup> لِيُخْلِفَهُ  
دَائِيًا عَلَى بَلَدٍ ضَاعَتْ ضَوَائِبُ طُهُ

وَسَارَ فِي جَيْشِهِ بِالطُّبْلِ وَالصُّورِ  
فَارْتَبَاعَ أَغْيَانُهَا مِنْ وَقَعٍ مَحْذُورٍ  
يَلِيقُ مِنْ بَهْرَجٍ فِي حَفْلٍ تَأْمِيرٍ  
أَوْ مَنْ يُصَادِمُ مِنْ كَبْشٍ وَلَا ثُورٍ  
دَعَتْهُ هِمَّتُهُ دَعْوَى الْحَيَادِيرِ  
«لِلْكَافِ» يَأْخُذُهَا مِنْ كَفٍّ صُغُرٍ  
مِنْ بَعْدَانٍ أَسْقَطَ الْبَعْضَ مِنَ السُّورِ  
فَهَاجَ هَائِجُهُ كَفُورَةَ الْحِيرِ  
وَصَارَ فِي حُكْمِهِ يُعْزَى إِلَى الْغَيْرِ  
نَادَوْا بِنُصْرَتِهِ بِالْجَيْشِ وَالْمِيرِ  
يَرْجُو مُلَاقَاتَهُ فِي غَيْظٍ مَمْعُورٍ  
فِي جَمْعِهِ دَاخِلًا مَشْيَ الظُّوْفِيرِ  
فَعَادَ فِي قَصْرِهِ يَمْشِي كَبْخَتِيرٍ  
فَعَاشَ مُغْتَبِطًا عَيْشَ الْمَقَاصِيرِ  
لَا أَمْنٌ فِيهِ سِوَى كُلِّ الْمَحَازِيرِ

(1) لَمَّا سَمِعَ «أَهْلُ الْحَاضِرَةِ» بِاتِّصَارِ «عَلِي بَاي» خَلَعُوا الدَّيَا «مَامِي جَمَل» وَوَلَّوْا مَكَانَهُ «مُحَمَّدَ بِيشارَةَ».

(2) م. (72و). هو الدَّيَا «سَاقْسَلِي» الَّذِي جَاءَ بَعْدَ «مَامِي جَمَل». م. (72و).



كَيْفَ الْهَنَاءُ لِشَخْصٍ بَاتَ يَطْلُبُهُ  
سَارَ «سَبْنِيُولُ» فِي الْأَجْنَادِ يَطْلُبُهُ  
وَأَطْلَقَ الْيَدَ فِي أَرْجَائِهَا نَهَبًا  
بِهَا الدَّايُ<sup>(٢)</sup> قَدْ طَالَتْ مَسَرَّتُهُ  
هَذَا «سَبْنِيُولُ» قَدْ جَاءَ، وَهَدَدَهُ  
غَابَتْ مَسَرَّتُهُ كَالْحُلْمِ يُطْرِدُهُ  
وَسَارَ فِي أَهْلِهِ يَبْغِي النَّجَاةَ، وَقَدْ  
سَرَّ «عَلِيٌّ» بِخُنْدِ النَّصْرِ فَأَنْفَرَجَتْ  
وَذَاغَ فِي النَّاسِ أَقْوَالُ بِلَا أُسُسٍ  
أَيْنَ اخْتَفَى بَأْيُهُمْ «مُحَمَّدٌ» هَرَبًا  
وَالنَّاسُ مِنْ خَوْفِهِمْ ضَاعَتْ مَصَالِحُهُمْ

مَنْ ضَاقَ قَلْبُهُ مِنْ أَنْفَاسٍ مَوْثُورٍ  
وَحَاصِرَ «الْقَصْبَةِ» أَشْمَاءَ بِالضَّبِيرِ  
فَخَرَّ شَامِخُهَا مِنْ غَيْرِ تَعْكِيرِ  
وَالْآنَ، قَدْ جَاءَهُ هُمُ الْفَوَاقِيرِ  
فَفَرَّ مِنْ حَيْنِهِ خَوْفَ الْعَوَاقِيرِ  
قَصَفَ الرُّعُودُ وَإِبْرَاقُ الْأَعَاصِيرِ  
أَلَى عَلَى نَفْسِهِ تَحْرِيمَ تَكْرِيرِ  
كَفَاهُ يَنْفُلُهُمْ بَعْضَ النَّوَاصِيرِ  
وَعَمَّهُمْ قَلَقُ الْإِرْجَافِ وَالزُّورِ  
بَعْدَ الَّذِي قَدْ جَرَى مِنْ عَقْرِ عَاقُورِ<sup>(٣)</sup>  
وَبَاتَ عَيْشَهُمْ خَوْضُ الْفَوَاقِيرِ

(3) «عاقور» ما يعقر الظهر فيضنيه.

## عليُّ يُعاقب المنستير

هَذَا «عَلِيٌّ» أَتَى «بِالْفَحْصِ» فِي عَدَدٍ دَوَّتْ مَكَاحِلُهُ فِي السَّهْلِ وَالْعُورِ  
لَاقَاهُ فِي جَيْشِهِ أَخُوهُ فَانْهَزَمَتْ أَجْنَادُهُ شَيْعًا مِنْ بَعْدِ تَكْوِيرِ  
فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَادَ الْعَمُّ مِنْ سَفَرِ الشَّشْرِيقِ فِي كَفِّهِ «فَرْمَانُ» تَأْمِيرِ<sup>(١)</sup>  
عَادَ «عَلِيٌّ» إِلَى «أُمِّ الْحَوَاضِرِ» كَيْ يَلْقَى بِهَا عَمَّهُ «الْحَفْصِيَّ» فِي الْخَيْرِ  
وَبَعْدَهَا كَوَّرَ الْأَجْنَادَ يَحْشِدُهَا فِي سِيرِهِ قَاصِدًا حِصْنَ «الْمُنَسْتِيرِ»  
إِذْ جَاءَهُ خَبَرٌ: أَنَّ أَخَاهُ بِهَا فَنَارَ فِي غَضَبٍ نَارًا بِتَنُورِ  
وَضَنَّ أَنَّ أَخَاهُ فِي حِمَايَتِهَا فَسَامَهَا غَاضِبًا أَقْسَى الْفَوَاقِيرِ  
وَعَاثَ فِيهَا فَسَادًا قَاطِعًا شَجَرًا فِي سُورَةِ طَرَأَتْ مِنْ سُوءِ تَخْبِيرِ  
فَغَاضَهَا أَنْ تَرَى أَرْزَاقَهَا قُطِعَتْ فِي غَضَبَةِ الْحَاقِدِ الْمُوصُوفِ بِالْجُورِ  
أَلَتْ عَلَى نَفْسِهَا أَنْ تَسْتَجِيبَ لِمَنْ يَنْغِي هَزِيمَتَهُ بِالذُّخْرِ وَالْمِيرِ  
فِي حَرْبِهَا لَنْ يَرَى إِلَّا مُنَاجَزَةً حَتَّى يَفِيءَ إِلَى الْإِصْلَاحِ وَالْخَيْرِ  
وَجَاءَهُ نَبَأٌ بِتَأْنٍ غَائِظُهُ أَوَى إِلَى «جَرَبَةِ» لَوْثٍ تَعْكِيرِ  
فَسَارَ يَطْلُبُهُ فَهَذَا وَرَاءَ غَزَا لِعَزِّ مَهْرَبُهُ فِي الْغِيلِ وَالْعُورِ  
فَفَرَّ مِنْ وَجْهِهِ لِبُرْقَةٍ قَتَلَتْ مَنْ جَاءَهَا غَافِلًا بِالْآلِ وَالضَّيْرِ  
أَمَّا «عَلِيٌّ» فَعَادَ وَهُوَ فِي حَرَدٍ يَشُنُّ غَارَاتِهِ فِي كُلِّ مَعْمُورِ

(١) رجع «الحفصي» من الآستانة بالباشاوية فأخذ البيعة لنفسه سنة ١٠٨٩هـ - ١٦٧٨م حتى قدم ابن أخيه «علي» فسلمه إياها. (م. ٢ و ٧ و ٨).

بـ«الكاف» قيل أخوه عاد مُحْتَمِيًا  
فَكَرَّ يَطْلُبُهُ مِنْ دُونِ تَأْخِيرٍ  
وَحَرْبُهُمْ بَقِيَتْ عَامًّا مُؤَجَّجَةً  
وَالنَّاسُ قَدْ ضَجِرُوا مِنْ أُمِّ صَبُورٍ<sup>(2)</sup>



(2) «أُمِّ صَبُور» كنية الداهية العظيمة.

## المنستير ثناصر محمد

ثَارَتْ «سَعِيدٌ»<sup>(١)</sup> مِنَ الْإِرْجَافِ وَأَنْطَلَقَتْ

فِي شَنْ غَارَاتِهَا مِنْ «رَأْسِ إِيْدِيرٍ»<sup>(٢)</sup>

إِلَى «الْمُنْسْتِيرِ» فَرَّتْ عِنْدَمَا انْكَسَرَتْ

وَأَمْرُهَا قَدْ غَدَا فِي خَطِّ عُجْرُورٍ

«مُحَمَّدٌ» لَمْ يَجِدْ حِصْنًا يَقِيهِ مِنَ الْأَعْدَاءِ فِي زَحْفِهِمْ غَيْرَ «الْمُنْسْتِيرِ»

وَأَفَى «سَعِيدًا» بِهَا فَصَارَ فِي سَعَةٍ مِنْ خَوْفِ أَعْدَائِهِ فِي أَمْنٍ مَخْفُورٍ

أَعَدَّ أَسْوَارَهَا بِالنَّارِ مُحْتَسِبًا لِكُلِّ طَارِئَةٍ تَأْتِي بِمَحْذُورٍ

عُمُرَانُهَا ، بَعْدَ أَنْ وَفَّتْ بِمَا وَعَدَتْ زَهَا كَبَارِقَةٍ فِي لَيْلٍ دِيْجُورٍ

هَذَا «عَلِيٌّ» أَتَى يَبْغِي إِجَاعَتَهَا حَتَّى تُصِيْخَ لِأَمْرِ الْقَهْرِ وَالْجُورِ

بِقِطْعِ زَيْتُونِهَا وَقَمْعِ سَاكِنِهَا بِقِلَّةِ الرِّزْقِ وَالْإِيْقَاعِ فِي الضَّرِّ

«مُحَمَّدٌ» جَاءَهَا يَبْغِي حِمَايَتَهَا مِنْ بَطْشِ ظَالِمِهَا بِالْغَدْرِ وَالزُّورِ

«مُحَمَّدٌ» بَايَهَا فَمَنْ يُنَازِعُهَا فِي مَنْحِ جَيْرَتِهَا لِكُلِّ مَوْثُورٍ؟

وَلَيْشَرَبِ الْخَلَّ مَنْ كَانَتْ مَسَرَّتُهُ فِي رُؤْيَةِ النَّاسِ فِي حُزْنٍ وَقَاشُورٍ

لَمَّا أَتَى خَبْرُ الْأَحْشَادِ صَارَ «عَلِيٌّ» فِي مَحَلَّتِهِ فِي غَيْظٍ مَقْهُورٍ

(1) «سعيد» هي قبيلة (أولاد سعيد) وقد كانوا دائما تائرين وفي هذا الوقت انتشروا في «الوطن القبلي» وفي «الساحل» واعصوبوا بـ«رابط المنستير» عندما دخله «محمداي» مُحْتَمِيا سنة 1678م. (م.2). (2) «رأس إيدير» رأس أدار وهو الوطن القبلي أي شبه جزيرة شريك.

وَسَارَ فِي حَيْشِهِ يَبْغِي أَخَاهُ فَلَا  
بِ«سُوسَة» نَزَلَتْ أَجْنَادُهُ، وَلَقَدْ  
فَلَمْ يَجِدْ مَنْفَذًا فِيهَا لِيَدْخُلَهَا  
فَقَامَ أَغْيَانُهَا يَسْعَوْنَ بَيْنَهُمَا  
قَامَتْ «سَعِيدٌ» بِمَكْرِ الْحَرْبِ طَالِبَةً  
تَرَاوَعَ الْبَايُ فِي حَزْمِ الْعُتَاةِ وَقَدْ  
وَعِنْدَمَا نَكَّتِ الْأَغْرَابُ مَا غَزَلُوا  
وَعَادَ فِي عَجَلٍ دُونَ مُنَاجَزَةٍ  
مُسْتَلْهِمًا رَأْيَهُ فِي عَقْدِ هُدْنَتِهِمْ  
أَمَّا أَخُوهُ، فَعَزَّتْ نَفْسُهُ ضَجْرًا  
فَاسْتَنْجَدَ الْعَوْنَ مِنْ أَهْلِ «الْجَزَائِرِ» فِي  
فَجَاءَهُ عَاجِلًا مِنْ حَيْشِهِمْ مَدَدٌ  
فَقَادَهُمْ زَاحِفًا عَلَى جُيُوشِ أَخِيهِ قَاصِدًا مَحْقَهُ بِكُلِّ تَدْبِيرٍ

يُثْنِيته عَنْ عَزْمِهِ نُصْحُ النَّحَارِ  
سَارَتْ طَلَائِعُهَا إِلَى «الْمُنَسْتِيرِ»  
وَصَارَ يَرْمُقُهَا غِيظًا بِتَشْزِيرٍ  
كَي يَنْتَهِيَ الْخُلْفُ، لَكِنْ دُونَ تَأْثِيرٍ  
تَرَكَ الْمَمَرُ لِتَسْلِيمٍ وَتَهْجِيرٍ  
تَأَخَّرَ الْجَيْشُ عَنْ بَوَابَةِ السُّورِ  
قَادَ الْجُيُوشَ إِلَى «أُولَى الْحَوَاضِرِ»<sup>(3)</sup>  
مُسْتَقْبِلًا عَمَّهُ بِكُلِّ تَقْدِيرٍ  
فَالْحَرْبُ قَدْ دَمَّرَتْ عَيْشَ الْجَمَاهِيرِ  
مِنْ طُولِ غُرْبَتِهِ فِي الْحَرْبِ وَالضَّرِيرِ  
ضَيْقِ الَّذِي آيَسَ النَّفْسَ مِنَ الْخَيْرِ  
يَبْغِي مُنَازَلَةَ الْأَنْدَادِ بِالْغُورِ  
تَدْبِيرٍ



(3) «أولى الحواضر» المقصود بها «القيروان» كما المقصود بـ«أم الحواضر» «تونس العاصمة».

## ونام بعد الصدام

في «ثونس» اعصوَصَب الدَّاي<sup>(1)</sup> عَلَى أَمَلٍ

أَنْ يَأْخُذَ الْأَمْرَ سَهْلًا دُونَ تَأْمِيرِ

ضَيَاعِ مُلْكِهِمَا فِي الْخُلْفِ وَالضَّرِ

وَلَمْ يَكُنْ حَائِرًا ، بَلْ جَدَّ مَوْثُورِ

وَلَدَانُ فِي الْمَهْدِ وَالْأَطْفَالُ فِي الدُّورِ

وَصَارَ مَأْمَنُهُ حِصْنُ «الْمُنْسْتِيرِ»

فِي فَرْحَةٍ بَلَقَا الْإِخْوَانَ فِي الْخَيْرِ

فَبَاتَ مَبْعُوثُهُ قَدْ جَدَّ فِي السَّيْرِ

بَعْضَ الْغَنَائِمِ إِنْ فَازَا بِتَقْدِيرِ

بِالْأَوْبِ لِلدَّارِ مَعَ لُطْفِ الْمَقَادِيرِ

إِقْبَالَ حَتَّى غَدَتْ فِي خَيْرِ تَيْسِيرِ

مِنْ خَوْفِهِمْ أَمِنُوا وَغَدَرِ مَعْدُورِ

ذَ الْأَمْرِ مُؤْتَلَفًا مِنْ بَعْدِ تَشْطِيرِ

فَاصْطَلَحَ الْأَخْوَانُ عِنْدَمَا رَأَيَا

فَأَجْمَعَا حَرْبُهُ، لَكِنَّهُ فَطِنُ

ذَاقَا الْأَمْرَيْنِ مِنْ حَرْبٍ يَشِيبُ لَهَا

وَارْتَدَّ جَيْشُهُمَا فِي الْحَرْبِ مُنْكَسِرًا

آوَتْهُ نَاصِرَةٌ فِي غَيْرِ مَا سَأَمِ

وَرَأْسَلَا «خُوجَةَ»<sup>(2)</sup> فِي بَعْثِ نَجْدَتِهِ

وَهَبَّ فِي نَجْدَةِ الْمَوْثُورِ مُشْتَرِطًا

وَحَارَبَا الدَّايَ حَتَّى فَرَّ مُكْتَفِيًا

وَجُدَّدَتْ بَيْعَةُ الْإِثْنَيْنِ فِي كَنْفِ

وَعَادَتِ النَّاسُ فِي الْأَفْرَاحِ رَاتِعَةً

إِلَّا «عَلِيًّا» قَضَى غَدْرًا، وَبَعْدَهُ عَا

(1) هو الداي «أحمد شلي» طمع في الملك لنفسه وحارب الأخوين ودحرهما حتى استنجدوا عليه بمتولي الجزائر  
فأنجدهما (2) «خوجة» هو «إبراهيم خوجة» متولي «الجزائر» آنذاك . راسلة الأخوان «محمد باي» و«علي باي»  
فأنجدهما وتمكنا من دحر الداي «أحمد شلي» سنة 1096هـ 1685 وجددت البيعة للأخوين مقاسمة (م. 2 و 7) .

## نهاية المرادين

لَمَّا صَفَا الْحُكْمُ لِلْبَاقِي وَ دَانَ لَهُ بِالطَّاعَةِ النَّاسُ مِنْ كُلِّ الْعَشَائِرِ  
 «مُحَمَّدُ بْنُ شُكْرٍ»<sup>(1)</sup> هَاجَ مَطْمَعُهُ فِي مُلْكٍ أَصْهَارِهِ مِنْ دُونِ تَوْقِيرِ  
 «مُحَمَّدٍ» صَدَّهُ، لَكِنَّهُ انْهَزَمَتْ أَجْنَادُهُ فَاحْتَمَى حِصْنَ «الْمُنَسْتِيرِ»  
 فَجَمَعَتْ جَيْشَهُ، وَ اشْتَدَّ سَاعِدُهُ وَعَادَ ثَانِيَةً لِحَرْبِ تَعْكِرِ  
 فَفَرَّ خَائِنُهُ لـ «فَاسٍ» مُنْهَزِمًا وَالْبَائِي عَادَ إِلَى «أُمِّ الْحَوَاضِرِ»  
 وَ سَارَ فِي هُدْنَةٍ مَعَ «الْجَزَائِرِ» حَتَّى مَاتَ فِي غَمْرَةِ الْأَحْدَاثِ وَالْخُورِ  
 «رُمُضَانَ»<sup>(2)</sup> لَمْ يَتَّبِعْ آثَارَ مَنْ ذَهَبُوا بَلْ سَلَ مِنْ خُرْقِهِ سَوَاطِ الْمَقَامِيرِ<sup>(3)</sup>  
 حَتَّى غَدَا مُبْغَضًا، وَالنَّاسُ تَرَهَّبُهُ لَا يُرْتَجَى مِنْهُ إِلَّا سُوءُ تَدْبِيرِ  
 لَمْ يَرَعْ لِابْنِ أَخِيهِ ذِمَّةً وَ سَعَى لِسَمَلِ عَيْنَيْهِ تَنْكِيلًا بِتَوَغِيرِ  
 «مَزْهُودٍ»<sup>(4)</sup> أَرْكَبَهُ شَرَّ الْمَرَائِبِ فِي تَضْيِيعِ مَمْلَكَةٍ بَيْنَ الْجَحَادِيرِ<sup>(5)</sup>  
 فَ قَامَ «بُو بَالَةَ مُرَادٍ»<sup>(6)</sup> يَقْتُلُهُ وَيَعْتَلِي عَرْشَهُ بِالْقَهْرِ وَالْجُورِ

(1) هو «محمد بن شكر» ثار على صهره «محمد باي» سنة 1105هـ - 1684م فحاربه «محمد باي» لكنه انهزم ففر إلى «المنستير» التي جمعت له جيشا رجع به إلى «الحاضرة» وهزم الناصر الذي هرب إلى «فاس» ومات بها ، وكان ذلك سنة 1106هـ - 1694م. (م.7). (2) «رمضان» هو «رمضان باي بن مراد الثاني» تولى بعد أخيه «محمد باي» لكنه كان خاملا متعسفا حتى أثار الحفائظ، فوثب عليه ابن أخيه «علي» وهو «مراد الثالث» وقتله وأخذ مكانه سنة 1110هـ - 1698م. (م.7). (3) «المقامير» جمع مقمور وهو الشر والكريهة ، يقال : (وقعت بين مقمورين) أي بين شرين (4) مزهود كان مغنيا لدى رمضان باي وقد عاث فسادا في مدة حكم سيده مع زميله عبد النبي. (5) الجحادير جمع جمع جحدر وهو الرجل الضعيف الرأي. (6) «مراد» هو «مراد الثالث أبو بالة بن علي بن مراد باي الثاني بن خمودة بن مراد الأول» كان سفاكا للدماء وكان عصبي المزاج ، ولعل نقمته كانت بسبب اغتيال أبيه فأورث ذلك في قلبه حقدًا على الرعية ، وثار على عمه «رمضان باي» سنة 1110هـ - 1698م وقتله وتولى مكانه .

كَمْ نَكْبَةٍ وَقَعَتْ مِنْ جُوعٍ «بَالْتِه»<sup>(7)</sup>  
 لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ بَرْدًا لِحُرْقَتِهِ  
 أَهْلُ «الْحَزَائِرِ»<sup>(8)</sup> قَامُوا بَعْدَ هُدْنَتِهِمْ  
 فَفَرَّ أَجْنَادُهُمْ مِنْ هَوْلٍ مَا وَجَدُوا  
 فَعَادَ مُنْهَزِمًا مَنْ كَانَ مُتَّصِرًا  
 فَخَائَهُ حِلْمُهُ وَالْعَيْظُ يَمْلَأُهُ  
 وَعَاجَ مِنْ بَعْدِهَا يَنْغِي الرِّبَاطَ وَقَدْ  
 قَامَ «الشَّرِيفُ»<sup>(9)</sup> لَهُ وَاغْتَالَهُ وَسَطًا  
 وَهَكَذَا دَوْلَةٌ مِنْ «تُونِس» انْقَرَضَتْ  
 لَا حَوْلَ إِلَّا بِرَبِّ الْعَرْشِ وَارِثِهَا

فِي رَأْسِ مُتَّهِمٍ بِالْحَقِّ وَالزُّورِ  
 مِنْ ثَأْرِ وَالِدِهِ فِي النَّاسِ مَهْدُورِ  
 فَسَارَ فِي حَرْبِهِمْ بِقَلْبِ عَثُورِ  
 لَكِنَّهُمْ رَجَعُوا فِي كَرٍّ تَعْكِيرِ  
 وَقَادَهُ حَنْقٌ مِنْ غَيْظٍ مَقْهُورِ  
 فَصَبَّ جَمًّا عَلَى «أُولَى الْحَوَاضِرِ»  
 هَاجَتْ هَوَاجُجُهُ فِي غَيْرِ تَفْكِيرِ  
 سَطَوْا عَلَى عَرْشِهِ مِنْ دُونِ تَأْخِيرِ  
 وَصَارَ أَصْحَابُهَا مِنَ الْمَقَابِرِ  
 وَالنَّاسُ لَنْ يَهْرُبُوا مِنَ الْمَقَادِيرِ

(7) «البالة» هو سيف عريض النصل، قيل أنه كان لا يهدأ له بال ولا يتمكن من النوم إلا إذا رأى دما بشريا مسفوحا، فإن لم يجد من يقتل صاحبه: «البالة جاعت» فيؤتى له بأي كان ولو بريئا ليقتله فيهدأ . (8) «وحارب» مراد الثالث أبو بالة «الحزائرين سنة 1112 هـ - 1700 م فهزم صاحب «قسنطينة»، لكن هذا الأخير كَرَّ وفتك بجيش «مراد الثالث» في «سطيف» فعاد «مراد» مدحورا ودخل إلى «القيروان» وعيث بمعاملها وبقي عابثا مَحْنُونًا حتى قتله «إبراهيم الشريف» بمواطاة الجند في 3 مُحْرَم 1114 هـ - 6 جوان 1702 م. (م.7). (9) «الشريف» هو «إبراهيم الشريف» أصله من جند الأتراك بـ«لحزائر» جاء مع «محمد ابن شُكْر» إلى «تونس» وانخرط في خدمة «محمد باي» حتى أصبح آغا. وهو الذي أوقع بـ«مراد باي الثالث» وقلته. فبايعه الجند وانتصب بـ«تونس» وأولى قاره مصطفى» دايا ، ثم عزله وتقلد هو وظيفته وأصبح يصدر الأوامر والمراسيم باسم «إبراهيم باي داي» ثم جاءه لقب الباشا من الخلافة فاصبح يوقع «الباشا إبراهيم باي داي» وأتخذ «حسين بن علي تركي» كاهية له ، انتصر في حرب «طرابلس» سنة 1116 هـ - 1704 م ولكنه فشل في حرب «الحزائر» وانهمز ثم وقع أسيرا سنة 1117 هـ - 1705 م ، فخلفه كاهيته «حسين بن علي تركي» مؤسس الدولة الحسينية . (م.7)

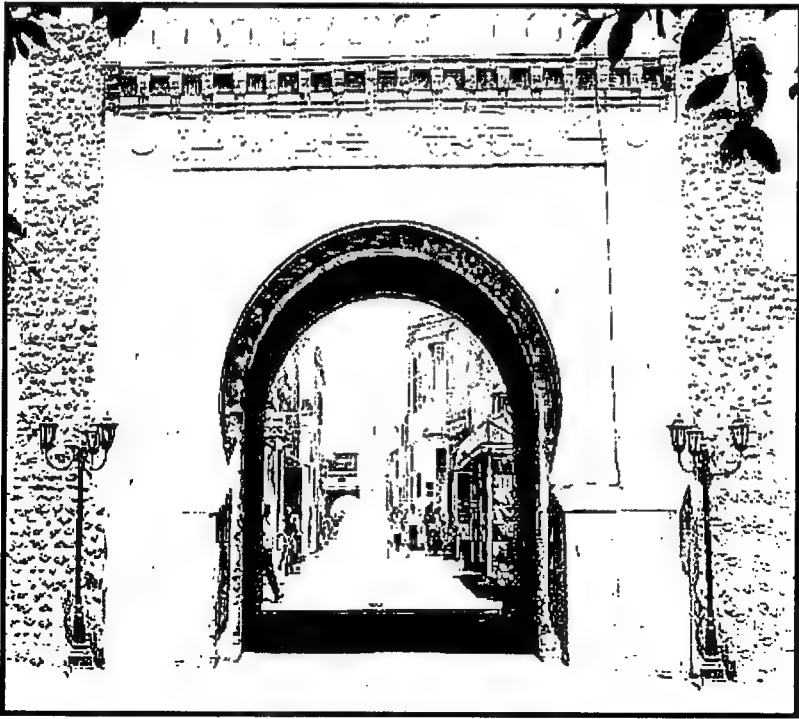


## بداية الدولة الحسينية

سَارَ «الشَّرِيفُ» إِلَى حَرْبِ «الْجَزَائِرِ» مُعْتَرَاً بِعَسْكَرِهِ فِي ثَوْبِ بَخْتِيرِ  
 «حُسَيْنٍ»<sup>(١)</sup> تَبَطَّهْ لَكِنْ تَهَوَّرُهُ أَعْمَاهُ فَأَنْزَجَ فِي هَوَانٍ تَأْسِيرِ  
 وَبَايَعُوا «ابْنَ عَلِيٍّ»<sup>(٢)</sup> بَعْدَهُ خَلْفَا فَجَدَّ فِي شَأْنِهَا بِكُلِّ تَشْمِيرِ  
 وَصَارَ تَرْتِيبُهُ عَلَى الْبُكُورَةِ مِثْلَ رَأْيَا يُورَثُهُ الْأَبْنَاءُ بِالْأَدُورِ  
 بِذَلِكَ انْخَلَعَتْ أَضْرَاسُ طَامِعِهِمْ فِي حَوْزِ مَمْلَكَةِ بِالْغَدْرِ وَالزُّورِ  
 وَقَامَ مِنْ تَوَّهِ يَبْنِي الْمَآثِرَ مِنْ تَنْظِيفِ سَاحَاتِهَا مِنَ الْمَخَامِيرِ  
 وَيَتَنِي «نَخْلَةً»<sup>(٣)</sup> لِلْعِلْمِ قَدْ بَسَقَتْ فَقَامَ يُخْلِدُهَا «سَعَادَةً»<sup>(٤)</sup> الْخَيْرِ  
 وَكَانَ «زَيْتُونَةً»<sup>(٥)</sup> لِلْحَقِّ يَرْشُدُهُ قَدْ يَمْزِجُ النَّصْحَ تَبْشِيرًا بِتَحْذِيرِ

(1) «حسين» هو «حسين بن علي تركي» من عائلة كرتية (كندية) تقلد أبوه علي رئاسة المتطوعين من الأعراب ، ونشأ «حسين» في كنف البايات من بني مراد ، وتدرج في الوظائف إلى خزنदार إلى آغا الصبايحية الترك . واتخذ «إبراهيم الشريف» كاهية لأعماله . فلما أسر «الشريف» بـ«الجزائر» بايعه الناس بايا في 20 ربيع الأول سنة 1117 هـ / 03 جويلية 1705م بديوان المدافعية بـ«القصبة» فرتب الأمر وراثيا في عائلته كايبرا عن كايبرا لقطع كل الأطماع وبذلك انقرضت رتبة الدايات.(م.7). (2) هي مدرسة «نخلة» الحسينية التي بناها حسين بن علي وأشاد بذكرها الشيخ محمد سعادة المنستيري في أشعاره.(3) «سعادة» هو الشيخ «محمد سعادة» المنستيري الأديب الشاعر الذي عاش في أواخر الدولة المرادية وأوائل الدولة الحسينية وُلد سنة 1088 هـ وعاش 83 سنة وتوفي سنة 1171 هـ في عهد الأمير محمد الرشيد بن حسين بن علي ؛ ومن مؤلفاته «قرة العين» فيكون معاصرا للشيخ «محمد زيتونة». (4) «زيتونة» هو الشيخ «محمد زيتونة المنستيري» الكفيف المولود سنة 1081 هـ المَوتى سنة 1138 هـ شيخ «المدرسة المرادية» وقد كان مقربا «للحسين بن علي» مؤسس الدولة الحسينية و يتول هذا الأخير عند رأيه ، وحضر جنازته ورفع نعشه بنفسه إلى «الجلّاز». وكان لا يخالفه ، ويتغاضى عن تحاملاته . لكنه خالفه مرة بإظهار الكبر فغضب الشيخ ووقع بينهما وحشة؛ فلما توفي الشيخ انقلب على الباي ابن أخيه وربيه «علي باشا». (م.9، محمد الهادي العامري).

فَكَانَ لَا يَأْتِلِي جُهْدًا لِمَنْفَعَةٍ لَكِنَّ عِفَّتَهُ فَوْقَ التَّقَادِيرِ  
لَكِنَّ «حُسَيْنٌ» أَبِي وَعْظَ الصَّدِيقِ بِمَا يُبْقِي مَحَبَّتَهُ بَيْنَ الْجَمَاهِيرِ  
وَالشَّيْخِ حَذَرُهُ مِنْ سُوءِ عَاقِبَةِ الْإِخْلَافِ فِي وَعْدِهِ أَقْوَى التَّحَاذِيرِ  
قَدْ كَانَ ذَا نَظَرٍ ، وَالْيَوْمَ فِي بَطَرٍ مِنْ دُونِ مَا حَذَرَ يُلْقِي بِتَضَعِيرِ  
وَصَوْلَةِ الْحُكْمِ تُعْمِي كُلَّ ذِي نَظَرٍ فَيَرْتَمِي بَطَرًا فِي كُلِّ مُحْذُورٍ  
فَأَخْلَفَ الْوَعْدَ فِي عَهْدِ الرَّيِّبِ بِمَا أَثَارَ نَقَمَتَهُ مِنْ حَقْدِ مَوْثُورٍ  
أَقَامَهَا فِتْنَةً كَادَتْ تُدْكُ بِهَا أَرْكَانُ دَوْلَتِهِ طَيِّ الْعَجَارِيرِ<sup>(5)</sup>  
لَوْلَا تَدَارَكَهَا مِنْ بَعْدِهِ خَلَفٌ صَارَتْ مَائِرُهُمْ حَلِي الدَّفَاتِيرِ



(5) «العجاري» واحدها العجور وهو خطوط الرمل ترسمها الرياح.

## ولاية علي بن حسين

لَمَّا تَوَلَّى «عَلِيٌّ»<sup>(١)</sup> أَمْرَ دَوْلَتِهِ وَسَادَ فِي عَهْدِهِ الْأَمَانُ بِالْخَيْرِ  
لَمْ يَنْسَ مَنْ وَقَفَتْ فِي دَعَمِ دَوْلَتِهِمْ  
حَبَا «الْمُنْسْتِير» مِنْهُ بِالتَّفَاتِهِ  
مُؤَسَّسًا جَامِعًا لِلدِّينِ وَالتُّورِ<sup>(٢)</sup>  
أَقَامَ مِنْ فَوْرِهِ لِـ «لَمَازَرِي»<sup>(٣)</sup> مَقَا  
مَا شَامِخًا وَحَمَى الْأَحْيَاءَ بِالسُّورِ<sup>(٤)</sup>  
ضَمَّتْ «فِرْنَسَةُ» «كُرْسِيكَ» لِحُوزَتِهَا  
وَاسْتَرْجَعَتْ أَهْلَهَا مِنَ الْمَاسِيرِ  
لَكِنَّ «تُونِسَ» مَا أَصْغَتْ لِمَطْلَبِهَا  
وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ تَعْرِضًا بِتَحْقِيرِ  
لَكِنَّ «بَارِيَسَ» حَرَكَتْ سَفَائِنَهَا  
فِي الْبَحْرِ قَاذِفَةً مَرَسَى «الْمُنْسْتِير»  
وَدَارَتْ الْحَرْبُ، لَكِنْ هُدْنَةُ عُقِدَتْ  
فِي «قَصْرِ بَارْدُو» بِتَحْدِيدِ الْمَخَاسِيرِ



(1) هو «علي باي الثاني بن حسين بن علي تركي» رابع البايات الحسينيين وفي عهده هاجم الأسطول الفرنسي مرسى «المنستير» في 1184هـ - 1770م . ولكن الهدنة لم تبطل بل أبرمت في «باردو» في سنتها . ثم خرجت الإعانة «للدولة العثمانية» ضد «روسيا» في حرب القرم سنة 1185هـ - 1771م . (م.7). (2) وقفت المنستير مع علي باي وأخيه محمد الرشيد في محنتهم مع حسن باي الجزائري عند استرداد ملكهم من ابن عمهم علي باشا (أحمد بن أبي الضياف، تحاف أهل الزمان) (3) تقول بعض المصادر أنه «المسجد الحنفي» أي «جامع بورقية» الآن. (4) هو «مقام المازري» الموجود إلى الآن والذي دخلت عليه تحويلات أنقصت منه بعض الأبنية بعد الإستعمار وقد استعمل هذا المقام في التدريس لسنوات طويلة قبل إحداث المعاهد العصرية. (5) هي أسوار «الربط» و«باب تونس» و«باب الكرم» .

## المنستير في الدولة الحسينية

كَفَى «الْمُنَسْتِير» فَخْرًا أَنَّهَا دَعَمَتْ      بِفِكْرِهَا دَوْلَةً فِي الْأَعْصُرِ الْقَوْرِ  
أَرْسَى دَعَائِمَهَا الْأَبْنَاءُ فَانْتَشَرَتْ      أَخْبَارُهَا بِالرِّضَا فِي كُلِّ مَعْمُورٍ  
فَوَسَّعُوا رَبَضَهَا فَاْمْتَدَّتْ، وَاتَّسَعَتْ      وَازْدَادَ عُمْرَانُهَا، يَا خَيْرَ تَعْمِيرٍ!  
رَبَضٌ جَدِيدٌ عَلَا، فَكَانَ مَتَّسَعًا      قَامُوا بِتَخْصِيصِهِ بِالْبَابِ وَالسُّورِ<sup>(1)</sup>  
أَبْوَابُهَا بَلَعَتْ عَدًّا ثَمَانِيَةً      كَيْ تَعْتَدِي جَنَّةَ تَخْتَالُ بِالْحُورِ  
رَاجَتْ صِنَاعَتُهَا فِي غَيْرِ مَوْطِنِهَا      وَجَابَ صِنَاعُهَا أَقْصَى الْمَعَامِيرِ  
مِنْ صُنْعِ أَسْلِحَةٍ بِالْبُرْجِ، أَوْ شَبَكٍ      لِلصَّيْدِ أَوْ سُفْنٍ شَتَّى الْمَقَادِيرِ  
أَثَاثُهَا أَصْبَحَتْ فَخْرًا حَيَاثُهَا      أَوْ صُنْعُ أَبْوَابِهَا مِنْ حُسْنِ تَنْجِيرِ  
أَسْوَاقُهَا ازْدَهَرَتْ بِكُلِّ مُبْتَكِرٍ      مِنْ صُنْعِ أَبْنَائِهَا الْعُرَّالِ مَبَاكِرِ  
مِنْ صَاغَةِ ذَهَبٍ دَقَّتْ صِنَاعَتُهُ      أَوْ نَحْتِ مَرْمَرَةٍ، أَوْ رُوحِ تَقْطِيرِ  
مِنْ صُوفٍ أَغْنَامِهَا فِي السُّوقِ أَغْطِيَةً      دَقَّتْ حَيَاكُتُهَا مِنْ كَفِّ «مِسْتِيرِي»  
أَوْ بُرْتُسٍ جَلَلٌ تُرْجَى مَهَابَتُهُ      تَفْصِيلُهُ جَيِّدٌ فِي حُسْنِ «بِشْمِيرِ»<sup>(2)</sup>  
أَوْ سَرْجٍ سَابِحَةٍ مِنْ حُسْنِ صِنْعَتِهِ      بَاهَتْ بِهِ زَمَانًا أَخْلَى الْمِيَاثِرِ

(1) هذا الرِضْ هو «حومة الربط» الحالية والباب هو «باب تونس» الحالي وكذلك «باب الكرم» اتفق الجميع على أن أبواب المنستير سبعة إلا أنهم يَسْقُطُونَ «باب البنات» لِحِدَاثَتِهِ مَعَ أَنَّهُ كَانَ بِهِ بَرَجٌ وَقَدْ فَتَحَ مَدْرَسَةً صِنَاعِيَةً لِلْبَنَاتِ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِ الْإِسْتِعْمَارِ الْفَرَنْسِيِّ سُمِّيَ «باب البنات» وَبِهِ تَصَبَّحَ الْأَبْوَابُ ثَمَانِيَةً مِثْلَ أَبْوَابِ الْحِجَّةِ وَهِيَ: «باب القشلة» «باب الخوخة» «باب الكرم» «باب تونس» «الباب الغربي» «باب بريقشة» «باب البنات» «باب السور». (2) «بِشْمِير» هُوَ حَاشِيَةٌ تَصْنَعُ مِنْ حَرِيرٍ أَوْ خِيوطٍ أَوْ نَسِيجٍ آخَرَ يَطْرُزُ بِهَا أَطْرَافُ الْبُرْسِ أَوْ الْحِجَّةِ.

أَوْ حَبْكُ بَرْدَعَةٍ مِنْ حَشْوِهَا وَثَرَتْ  
 أَوْ صُنْعُ مَجْرُورَةٍ تَجْرِي بِهَا عَجَلٌ  
 تَحْتَازُ فِي سَيْرِهَا كُلَّ الْبِلَادِ بِمَا  
 غَرَبَ لَهَا رَائِجٌ مِنْ أَجْلِ حِكْمَتِهِ  
 سَلَالُهَا سَعْفُ الرُّسْتَاقِ أَوْ قَصَبٌ  
 أَمَّا مَعَاصِرُهَا فَاسْأَلْ زَنَادِلَهَا  
 فَصَارَ صَابُونُهَا مِنْ صُنْعٍ مَعْمَلِهَا  
 غَلَاثُهَا اشْتَهَرَتْ، يَاحُسْنَ طَالِعٍ مِنْ  
 لَوْلَا الْمَلَامَةُ شَبَّهْتُ الْجَنَانَ بِهَا  
 تُفَاحُهَا فَاحٍ فِي الْأَرْجَا لَهُ نَبَأٌ  
 عَبِيرُهُ يَاسِرُ الْأَنَافِ، يَجْعَلُهَا  
 مَنْ لَمْ يَذُقْ طَعْمَهُ لَمْ يَذَرْ قِيمَةَ مَا  
 كَمْ رَدٌّ مُدْنِفَةٌ مِنْ بَعْدِ أَنْ فَقَدَتْ  
 فَعَادَ إِشْرَاقُهَا فِي الْوَجْهِ مَتَشِيرًا

وَأَمَّا تَازَ إِتْقَانُهَا بِشَدِّ «تَسْمِيرٍ»<sup>(3)</sup>  
 تَدُورُ فِي «كُوبِهَا»<sup>(4)</sup> دَوْرَ التَّوَاغِيرِ  
 شَاءَ الْحَرِيفُ مِنَ الْأَنْقَالِ وَالْخَيْرِ  
 لَيْسَتْ تُنَافِسُهُ صِنَاعَةُ الْغَيْرِ  
 مِنْ دَقَّةِ الصُّنْعِ لَمْ تَخْضَعْ لِتَسْعِيرِ  
 كَمْ مَطَرٍ<sup>(5)</sup> أَنْتَجَتْ أَوْزَيْتِ «فَيْتُورٍ»<sup>(6)</sup>  
 تَخَالُ رَغْوَتُهُ نَشْرًا مِنَ النُّورِ  
 يَحْطِي بِنُكْهَتِهَا مِنْ دُونَ تَغْرِيرِ  
 تَغْيِيرٍ مُقْتَصِدٍ خَيْرٌ مِنَ الزُّورِ  
 فَاخْتَارَهُ الْبَايُ مِنْ ضِمْنِ الْمَآثِرِ  
 تَنْسَى الْعُطُورَ وَتَنْسَى كُلَّ تَبْخِيرِ  
 أَرْوِيهِ عَنْ ثِقَةٍ مِنْ غَيْرِ تَحْبِيرِ  
 فِي حُبِّهَا أَمَلًا لِيَبْشُرَ تَبْشِيرِ<sup>(7)</sup>  
 يَحْكِي الصِّفَا أَلْقَامَعُ حُسْنِ تَفْتِيرِ

(3) «التسمير» هو عمل من صناعة الحشو سواء كان في الحشاي أو البراذع أو السرج وهو شد الحشو إلى الحشية بخياطة تمنع انسياحه إلى جانب دون آخر. (4) «الكوب» وهي كلمة (كوبو) غير عربية وهي قلب العجلة الذي يدور فيه المحور (المغزل) وتنغرز فيه (الراويات) وهي الأشعة. (5) «مطر» هي وحدة كيل السوائل في القدم وهو مقدار 24 لترا من الزيت. (6) «الفيتورة» هي بقايا الزيتون بعد عصره، فيعاد عصرها بطرق أخرى لاستخراج زيت يصنع منه الصابون. وما زال المعمل يشتغل إلى حين كتابة هذه الأبيات. (م.4). (7) إشارة إلى القولة المعروفة «التفاح اللي يفوح يرد العقل والروح»

وَمَشْمَشٍ عَطِرْلَوْ لَا نَوَائِهِ لَمْ  
 أَمَّا مَطَابِخُهَا فَاحْذَرْ لِنَفْسِكَ مِنْ  
 أَجْيَالِهَا لَمْ تَزَلْ تَرَوِي مَذَاقَتَهَا  
 فِي الصَّيْفِ سَرْدِيْنُهَا أَطْبَاقُهُ نَشَرَتْ  
 شَرَكَاوَهَا <sup>(9)</sup> أَنْفَرَدَتْ فِي صَيْدِهِ فَعَدَا  
 تَمُرٌ أَسْرَابُهُ تَرُودُ جَائِعَةً  
 تُرْمَى لَهَا جُبْنَةٌ بِالْخُبْزِ قَدْ مُزِجَتْ  
 وَالْكُبُّ <sup>(10)</sup> يَرِصُّدُهَا مِنْ تَحْتٍ يُخْرِجُهَا  
 إِعْدَادُهُ فِكْرَةً قَدْ قَلَّ عَارِفُهَا  
 فِي لَذَّةٍ أَسْرَتْ مَنْ ذَاقَ نُكْهَتَهُ  
 إِمَّا فَطَائِرٌ فِي الْمَقْلَاةِ قَدْ دُحِيتَ  
 تِلْكَ «الْمَسْلَةُ» <sup>(13)</sup> كَالشَّرَكَاوِ طَبَخَتْهَا  
 تَسْعُدُ بِهِ لِسَةً ، فِي الْبَلْعِ مَيْسُورِ  
 أَنْفَاسٍ نُكْهَتِهَا أَسْرَ الْمَنَاحِيرِ  
 عَلَى تَعَاقُبِهِمْ بَيْنَ الْمَغَاضِيرِ <sup>(8)</sup>  
 عَنْ عَدَّهَا وَاعْتَصَتْ عَنْ كُلِّ تَقْدِيرِ  
 رَمْزًا يُمَيِّزُهَا فِي كُلِّ مَعْمُورِ  
 بِالْقُرْبِ مِنْ شَاطِئِ بَحْثًا عَنِ الْمِيرِ  
 فَتَرْتَمِي نَهْمًا كَكُلِّ مَغْرُورِ  
 فِي لَمْحَةٍ خَارِجًا مِنْ فَوْقِ شَخْتُورِ <sup>(11)</sup>  
 خُصَّتْ بِحُكْمَتِهَا نَسَا «الْمُنْسْتِيرِ»  
 فِي صُدْفَةٍ مَرَّةً ، وَلَوْ عَلَى الْفُورِ  
 أَوْ بِالْفَلَافِلِ إِذْ يُطْهَى بِتَفْوِيرِ <sup>(12)</sup>  
 رَغَمَ الْمَنَاقِرِ مُدَّتْ كَالشَّوَاغِيرِ <sup>(14)</sup>

(8) «المغاضير» جمع «مغزور» أي عاش في خصب وخفض من العيش من الغضارة (9) «شركاو» سمك صغير أصغر من خنصر اليد فإذا بلغه صار حششا غير مرغوب في أكله ، وأكله اختصاص في أهل المنستير. (10) «الكب» هو كيس من الشبك جيد العيون يُعَقَّدُ بطريقة مخالفة للعقد العادي للشباك ، ويصطاد به خاصة الشركاو كما يصطاد بشباك أخرى تسمى «أمبارة». (11) «الشختور» قارب صيد صغير بمحذافين سريع وخفيف يطلق عليه بدارجتنا «شكيف» (12) «التفوير» من فَوَّرَ يُفَوِّرُ تفعيل فار يفور وهو طريقة الطبخ بالبخار فتوضع الأطعمة في كسكاس (آنية مثقوبة عذة ثقبو لتمرير البخار) على قَدْرٍ بها ماء أو مرق فتغلي القدر ويحترق البخار ما في الكسكاس فينضج. (13) المسلة سمك مغزلي جيد وطويل وذو منقار طويل كمسلة الحنيط (المحيط الطويل) وفقراته عظيمة زرقاء اللون ويعظم في شهر أيار (مسلة مايو). (14) الشواجير جمع شواجر وهي الرماح المشرعة.

أَمَّا «مَسَلَّةُ مَائُو» فَهِيَ قَدْ عُرِفَتْ      مِثْلَ الْأَوَابِدِ<sup>(15)</sup> مِنْ أَصْلِ الدَّهَارِيرِ<sup>(16)</sup>  
أَمَّا بَرَاقِشُهَا<sup>(17)</sup> بِالْكَسْكَسِ اشْتَهَرَتْ      أَوْ مَرَقَةٌ حُصِرَتْ<sup>(18)</sup> مَعَ بَعْضِ تَبْهِيرِ  
حَتَّى يُذَاقَ بِهَا طَعْمُ الْبَرَاقِشِ، لَا      طَعْمَ الْبَهَارَاتِ، أَوْ تُرْمَى بِتَقْصِيرِ  
لَمْبُوكَةٍ<sup>(19)</sup> «بِالْقَنْطُسِيِّ»<sup>(19)</sup> كَانَ مَصِيدُهَا      إِنْ سُوِيَتْ أَطْرَدَتْ جُوعَ الْمَفَاطِيرِ<sup>(20)</sup>  
وَالثَّنُّ مِنْ صَيْدِهَا، مِنْ أَجْلِ وَفَرْتِهِ      يُطْهَى بِمَعْمَلِهَا فِي شُغْلِ تَصْصِيرِ  
مِينَؤُهَا لَمْ يَزَلْ تُرْسُو بِهِ سُفُنُ      تَعْدُو مُحْمَلَةً مِنْهُ بِتَصْصِيرِ  
زَيْتًا وَمِلْحًا وَحَلْفَاءَ مُصْنَعَةٍ      وَغَيْرَ مَصْنُوعَةٍ أَوْ نَصْفَ تَحْضِيرِ  
لِكُلِّ شَيْءٍ أَمِينٌ لِلرَّقَابَةِ وَالتَّجْوِيدِ فِي      صُنْعِهِ مِثْلَ الْبَنَادِيرِ<sup>(21)</sup>  
فِي الْبَحْرِ كَمْ سُفُنٍ بِالْحَاجِّ قَدْ مَخَرَتْ      يَسْعَوْنَ فِي عَمَلٍ بِالْحَجِّ مَبْرُورِ  
لَا غَرَوْ أَنْ يَخْرُجَ الْحُجَّاجُ مِنْ حَرَمٍ      حَاجًّا إِلَى الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ لِلْخَيْرِ  
فَيَرْجِعُونَ بِعُنْمٍ دَاعِمٍ عَمَلًا      بِالْإِسْتِقَامَةِ مِنْ تَوْبٍ وَتَكْفِيرِ  
يُعْطُونَ فِي غَدَقٍ مِنْ خَيْرٍ مَاقُطَفُوا      طُلَابُهُمْ دُونَ مَا شُحُّ وَتَقْتِيرِ  
فَالْعِلْمُ كَاتِمُهُ لِلنَّارِ تُلْجِمُهُ      يَصْلَى بِهَا حَقَبًا فِي غَيْبَةِ النُّورِ  
فَهُوَ الَّذِي حَجَبَ الْأَنْوَارَ فِي صَلَفٍ      فَلْيُلْقَ فِي قَعْرِ أَطْبَاقِ الدِّيَاجِيرِ

(15) الوحوش التي تطارد في الغابة (16) الدهارير: أول الزمان في الماضي وهي صيغة لا مفرد لها (17) «البراقش» من برَقَش أي زين بألوان مختلفة والبراقش جمع قلة من برقاش (اسم النوع) وبرقاشة (اسم الفرد) وهو سمك يبلغ طوله من 10 إلى 20 سنتيمترا يغلب عليه اللون البني إما داكنا أو فاتحا حسب مكان الصيد وبه خطوط زرقاء وسوداء واضحة بذاتها (18) «حُصِرَتْ» يُقَالُ (حُصِرْتُ الْمَرْقَةُ) أي أقلت مرقها وهي بذلك تكون الذئ. (19) القنطسي بالقاف البدوية ظلة من جريد النخل ترمى على سطح الماء فيجتمع تحتها سمك اللمبوكة فيؤخذ بالشباك (20) المفاطر جمع مفطر وهو الصائم حين فطره. (21) البنادير جمع بندر وهي المدينة التجارية الساحلية.

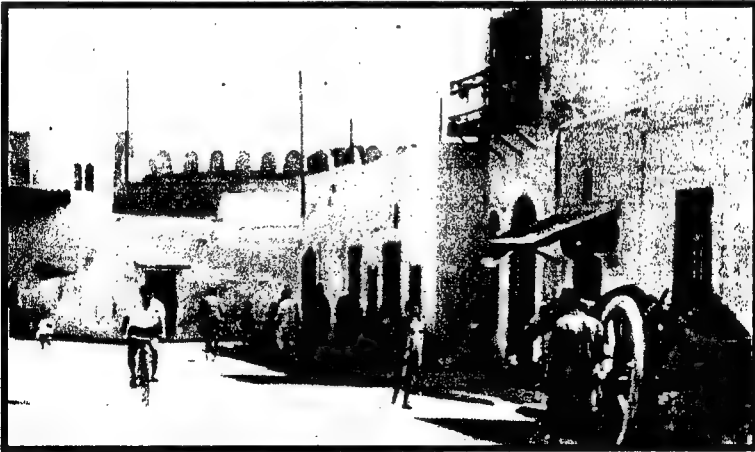
و«قُلَّةٌ»<sup>(22)</sup> بَرَزَتْ لِلنَّخِيرِ سَاعِيَةً  
أَمْوَالُهَا جُمِعَتْ فِي غَيْرِ مُعْتَسَفٍ  
صَارَتْ هَنَاشِرُهَا لِلنَّاسِ مُزْدَرَعًا  
مُحْتَرَثٌ بَعْضُهَا ، وَبَعْضُهَا قَصَبٌ<sup>(23)</sup>  
فَكَانَ مِنْ بَرِّهَا بَرٌّ بِسَاكِنِهَا  
لِدَفْعِ غَائِلَةٍ عَنْ كُلِّ مَعْسُورٍ  
مِنْ قَطْرَةِ الزَّيْتِ فِي أَغْقَابِ تَقْطِيرِ  
يَحْنُونٍ مِنْ حَبِّهَا كَيْلَ الْقَنَاطِيرِ  
فِي رَعِيهِ أَمَلٌ فِي الْحِصْبِ وَالْخَيْرِ  
فِي وَفْرَةِ الْحِصْبِ أَوْفَى جَذْبِ تَقْتِيرِ

(22) «قُلَّةٌ» هي «جَمْعِيَّة الْقَلَّة» التي تَكَوَّنَتْ مثل صندوق تضامن بين المنسْتيرين و وقع حلها بأمر رئاسي في فيفري 1958 وأحيلت أُملاكها إلى «بلدية المنستير»، وكان آخر رؤسائها السيد «صالح نابي» أطال الله أنفاسه. (م.20). (23) كانت الأرض في نظام المَراح تزرع فتسمَّى مُحْتَرَثًا وتترك للرعي فتسمَّى قَصْبًا، و بالرعي يقع تسميدها فتنتج في العام القابل إنتاجا أجود (م.20) أرشيف جَمْعِيَّة الْقَلَّة).



## انحلال الدولة الحسينية

يَا دَوْلَةً عَمَّرْتَ بِالْفِكْرِ كَرَاهَا  
قَرْنَيْنِ دَامَتْ وَنِصْفَ الْقَرْنِ نَافِلَةً  
كَمْ خَصْبَلَةٌ سَجَّلَ التَّارِيخُ مُفْتَحِرًا  
دُسُورُهَا أَوَّلُ فِي الْكُونِ قَاطِبَةً  
وَالرَّقُّ؟ إِلْعَاؤُهُ أَحْكَامُهُ صَدَرَتْ  
لَكُنَّمَا سُنَّةُ الْأَكْوَانِ مَاضِيَةً  
فَبَعْدَ عِزَّتِهَا وَبَعْدَ هِمَّتِهَا  
شَاحَتْ وَدَبَّ سِقَامُ الْوَهْنِ فِي جَسَدِ  
وَعِنْدَمَا أَفْلَتْ وَأَنحَلَّ مَا عَقَدَتْ  
وَالنُّصْحَ أَمْحَضَهَا فِكْرُ «الْمُنْسْتِيرِي»<sup>(١)</sup>  
سَارَتْ مَحَامِدُهَا فِي كُلِّ مَعْمُورٍ  
فِي سُودِ أَوْرَاقِهِ خَطًّا مِنَ النُّورِ  
«عَهْدُ الْأَمَانِ» حَوَى حَقَّ الْجَمَاهِيرِ  
وَصَارَ فِي ذِكْرِهِ طَيِّ الْمَغَابِيرِ  
وَبَالِغِ الْأَوْجِ مَاضٍ نَحْوَ تَقْصِيرِ  
فِي الْكُونِ شَامِخَةً بِكُلِّ مَأْثُورِ  
أَبْلَاهُ كَرُّ الْجَدِيدَيْنِ بِتَمْرِيرِ  
كَانَ مُقَوِّضَهَا «نَحْلُ الْمُنْسْتِيرِ»<sup>(٢)</sup>



(1) هذا المفكر «المنستيري» هو الشيخ «محمد زيتونة» المذكور آنفا. (2) «نحل المنستير» هو الزعيم الرئيس «الحبيب بورقيبة».

## ثورة الساحل 1864م

لَمَّا رَأَى «الْبَايُ»<sup>(١)</sup> نَقْصًا فِي خَزَائِنِهِ  
دَعَا بِطَانَةِ سُوءِ طَالِبًا نَظْرًا  
فَزَادَهُ صَلَفًا مَنْ جَاءَ يَنْصَحُهُ  
وَسَارَ أَجْنَادُهُ يَجْبُونَ فِي عَسَفٍ  
فَاجْحَفُوا فِي مَكُوسِ السُّوقِ وَابْتَدَعُوا  
لَيْسَتْ سِوَى جَشَعٍ مِنْ دُونِمَا وَرَعَ  
قَامَتْ «مُنْسْتِيرُنَا» فِي ثَوْرَةٍ غَضَبًا  
جَالَتْ مَشَائِخُهَا فِي الرَّأْيِ، ثُمَّ ارْتَأَوْا  
فَأَمْسَكَتْ جُنْدَهَا عَنِ اللَّحَاقِ بِمَنْ  
وَأَوْصَدَتْ بَابَهَا فِي وَجْهِ نَائِرِهِمْ<sup>(٢)</sup>  
وَجَاءَ «عُصْمَانُ»<sup>(٣)</sup> بَاغِيًّا كَسَّرَ شَوْكَتَهَا  
لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ فِي سُورِهَا ثَلَمًا  
«أَبُو النَّجَاةِ»<sup>(٤)</sup> أَتَى يُرِيدُ عَوْدَتَهُمْ

مِنْ كَثْرَةِ اللّٰهُوِّ وَالْإِنْفَاقِ فِي الضَّرِيرِ  
وَالشَّهْدُ لَا يُجْتَنَى مِنْ عُشِّ زُبُورِ  
وَلَمْ يَجِدْ مُخْلِصًا يَهْدِيهِ لِلْخَيْرِ  
مِنْ دُونِمَا رَادِعٍ عَنْ فِعْلِ مَحْظُورِ  
إِعَانَةً لَمْ تَكُنْ إِلَّا لِتَبْذِيرِ  
لِرَدِّ عَادِيَةٍ أَوْ نَصْرِ مَقْهُورِ  
مِنْ جَوْرِ حُكَّامِهَا فِي عُمُقِ تَفْكِيرِ  
إِعْلَانِ عَصِيَانِهَا مِنْ دُونِ تَأْخِيرِ  
لَمْ يَحْفَظُوا حَقَّهَا فِي مَنَعَ تَسْخِيرِ  
وَرَتَّبَتْ حَرَسًا فِي شُرْفَةِ السُّورِ  
مُحَاوِلًا جَرَّهَا لِفِعْلِ شِغِيرِ<sup>(٥)</sup>  
مِنْهُ يَمُرُّ إِلَى قَلْبِ الْمَعَايِيرِ  
لِطَاعَةِ الْبَايِ لَكِنْ دُونَ تَثْمِيرِ

(1) هو «محمد الصادق باي» الذي وقع الإحتلال الفرنسي في عهده سنة 1881 م. (2) النائر هو علي بن غدام الذي لم تشاركه المنستير في ثورته رغم التزامن وقد أوصدت بابها في وجه أجناده. (3) هو «الفريق عصمان» الذي تولّى عمل «المنستير» في أوائل القرن التاسع عشر وحاول إذلال أهلها وبين قصرًا على ضفاف «الكحلية» الآن (والمكان مازال يعرف «بدار الفريك» وابتنى به مدرسة أراد أن يُجير الناس على ارتيادها لكنهم أبوا فأهان شيخهم وأذله. (م. 54). (4) «شغير» مخادع ومنافق وخائن لأهله. (5) هو اللواء «أبو النجاة سليم» مبعوث الباي لاستمالة المنستيريين إلى صف الباي. (م. 54).

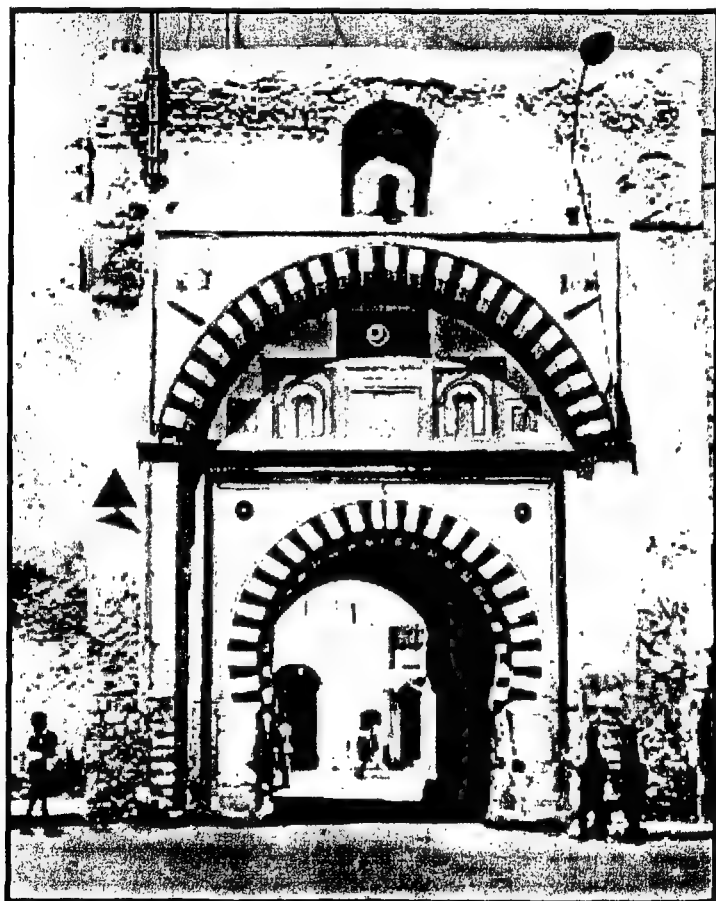
فَلَانَ ثَانِيَةً يَدْعُو لِسَيِّدِهِ  
 بَلْ صَاحَ فِي وَجْهِهِ شَعْبٌ أَبِيٌّ، أَبِي  
 وَ عَادَ مُصْطَحِبًا مِنْ سُوءِ طَالِعِهِ  
 مِنْ بَعْدِهِ «حَسَنُ الْمَقْرُونُ»<sup>(6)</sup> جَاءَ رَجَا  
 فَقَالَ مُفْتِيَهُمْ<sup>(7)</sup>: «مَا كَانَ مَطْلَبُنَا  
 إِنَّ الْوَزِيرَ<sup>(8)</sup> طَعَى فِي حُكْمِهِ وَغَدَا  
 وَالظُّلْمَ مِنْ شَأْنِهِ رَجُ الْعُرُوشِ إِذَا  
 وَالْحُكْمَ أَفْسَدَهُ الْمَمْلُوكُ فِي بَطْرِ  
 بَلْ كُلُّ مَطْلَبِهِ إِرْضَاءُ سَيِّدِهِ  
 كَذَا الْمَمَالِيكُ لَا تُرْجَى مَوَدَّتُهُمْ  
 وَالنَّاسُ مِنْ ظُلْمِهِمْ ذَاقُوا الْبَلَاءَ وَكَمْ  
 لَا يَخْدُمُ الْوَطْنَ الْمَحْبُوبَ غَيْرُ بَنِيهِ  
 هَذَا مَطَالِبُنَا نَرْجُو تَحَقُّقَهَا  
 وَلَاؤُنَا دَائِمًا لِلْبَايِ نَضْمَنُهُ  
 خَفَّ الْوَزِيرُ وَنَادَى فِي بَطَانَتِهِ:

لَكِنَّهُ لَمْ يَفْزُ مِنْهُمْ بِقُطْمِيرٍ  
 إِذْلَالَهُ دَائِمًا بِالنَّهْبِ وَالْجُورِ  
 حَزَنًا وَسُخْخَرِيَّةً وَقَرَعَ تَقْعِيرِ  
 شَرْحَ مَا طَلَبُوا ، فَهَمَّا بِتَنْوِيرِ  
 إِلَّا عَدَا لَكُمْ فِي رَفْعِ دِيْجُورِ  
 كَشَوَكَةِ غُرَزَتْ فِي حَلْقٍ مَذْغُورِ  
 لَمْ يَلْقَ مِنْ نَاصِرٍ يُخَشَى لِمَقْهُورِ  
 إِذْ لَمْ يَكُنْ هَمُّهُ حَقُّ الْجَمَاهِيرِ  
 حَتَّى يَرَى الْعَدْلَ مِنْ طَيْشِ الْمَعَارِيرِ  
 إِلَّا الْقَلِيلَ وَلَوْ كَانُوا مِنَ الْحُورِ  
 ضَاعَتْ حَقُوقُ لَهُمْ فِي خَطِّ عُجْرُورِ  
 خَدَمَةٌ دُونَ أَطْمَاعِ الصَّعَارِيرِ  
 فِي قُطْرِنَاعِاجِلًا مِنْ حُسْنِ تَدْبِيرِ  
 لَكِنْ كَرَامَتُنَا فَوْقَ الْمَعَارِيرِ  
 أَنْ ارْكَبُوا عَاجِلًا إِلَى «الْمُنْسْتِيرِ»

(6) هو «حسن المقرون» الذي أوفده الباي فزار «المنستير» في 26 سبتمبر 1864م ليستفسر عن مطالبها. (م.4و5).

(7) هو المفتي «محمد بوزقرو الجدي» الذي بين لمبعوث الباي مطالب «المنستير» في إقصاء «مصطفى خزندار» وإبعاد المماليك وتولية التونسيين محلهم في الوظائف الحكومية. (م.4و5و8). (8) هو «مصطفى خزندار» وزير السوء لدى «الصادق باي». (م.4و5و8).

فَكَانَ «زُرُوقُ»<sup>(٨)</sup> مَنْ وَافَى بِأَخْذَتِهِ مُتَّحِدًا ضِدَّهَا أَقْسَى التَّدَابِيرِ  
فَصَبَّ نَقْمَتَهُ فِي الشَّعْبِ يَنْهَبُهُ بِالرُّعْبِ يَسْحَقُهُ بِالْحَقِّ وَالزُّورِ  
وَسَاقَ أَعْيَانَهُمْ لِلْسَّخَنِ يَحْبِسُهُمْ وَالْبَعْضُ صَارَ فَقِيدَ الْأَهْلِ وَالْدُّورِ



(8) «زُرُوقُ» هو الجنرال «أحمد زروق» قائد عساكر الباي وصنعية الوزير «مصطفى خزندار»؛ والأخذة هي اسم المرأة من (أخذ)، قال تعالى: {فَقَصَّوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (10) الحاقة} و تطلق على النكبة أو الشدة وما زالت الذاكرة الشعبية تطلق على هذه الحادثة (أخذة زروق) و تسمى أيضا مثل هذه النكبات (تريكة) نسبة إلى الترك حيث إن أول ما عرف منهم المجتمع التونسي عرف القراصنة. (م. 4 و 8).

## الإستعمار الفرنسي

مَا زَالَ لَمْ يَنْدَمِلْ جُرْحُ الْمُصَابِ بِمَا  
 حَتَّى غَدَا أَهْلُهَا فِي شَرٍّ مَخْمَصَةٍ (١)  
 قَامَتْ «فَرَنْسَا» بِغَزْوِ الْقَطْرِ قَاهِرَةً  
 وَقَامَ أَبْطَالُهَا بِالْدَّفْعِ مَا وَسِعُوا  
 لَكِنَّهُمْ كَبِكْبُوا فِي الْأَسْرِ وَانْكَمَشُوا  
 فِي «السَّاحِلِينَ» وَفِي «مُعْتَمَرٍ» وَجَدُوا  
 بِالرَّغْمِ مِنْ جَهْدِهِمْ فِي ضَعْفِ قُوَّتِهِمْ  
 نَالُوا مِنَ الشَّرَفِ الْأَعْلَى مُسَامَتَةً  
 رَغْمَ الْبَسَالَةِ لَمْ يَحْظُوا بِتَكْرَمَةٍ  
 وَقَامَ أَعْدَاؤُهُمْ يَسْعَوْنَ فِي حَنْقٍ  
 فَأَغْلَقُوا سُوقَهُمْ وَكَانَ مُزْدَهَرًا  
 وَأَفْلَسُوا أَهْلَهُمْ فِي مَالِهِمْ فَعَدُّوا  
 فَزَوَّدُوا فَقَرَّهُمْ فِي غَيْرِ مَخْمَصَةٍ  
 وَأَكْرَمُوا نَذْلَهُمْ كَيْ يَرْكَبُوا غَرَرًا  
 فِي بَلَدَةٍ قَدْ رَأَتْ عِزَّ الْأَبَاةِ وَذُلَّ

أَتَاهُ «زَرْوُوقُ» مِنْ ظُلْمٍ وَتَفْقِيرٍ  
 وَأَرْضُهَا أَجْدَبَتْ مِنْ غَيْضٍ تَنْضِيرٍ  
 شَعْبًا بِأَكْمَلِهِ بِالْعُسْفِ وَالْجُورِ  
 وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ مِنْ حَظٍّ عَثِيرٍ  
 فِي طَيٍّ مَا وَجَدُوا مِنْ بَعْدِ تَنْشِيرٍ  
 أَضْعَافَ قُوَّتِهِمْ فِي الْعَدِّ وَالْمِيرِ  
 كَانُوا لَنَا مَثَلًا فِي الصَّبْرِ لِلضَّرِيرِ  
 قَلَّتْ نَظَائِرُهُمْ فِي الْأَعْصَرِ الْقُورِ  
 مِنْ بَعْدِ نَكْسَتِهِمْ غَيْرِ الْعَزَائِرِ (٢)  
 لِحَنْقٍ أَنْفَاسِهِمْ، كَيْلَ السَّنَادِيرِ (٣)  
 يَغْشَاهُ قُصَادُهُ مِنْ كُلِّ مَعْمُورٍ  
 مِنَ الْمَعَاوِيزِ مِنْ بَعْدِ الْمَيَاسِيرِ  
 وَهَوَّنُوا أَمْرَهُمْ بِالْكَذْبِ وَالزُّورِ  
 فَيُرْغِمُوا أَنْفَهُمْ لِلذَّلِّ وَالنَّيْرِ  
 الْقَهْرِي أَنْفٍ مِنْ كُلِّ تَحْقِيرٍ

(١) إشارة إلى مجاعة «بوبراك». (٢) جمع (عزائر) وهي العيدان الباقية من الشجر (لاواحد له). (٣) كيل السنادير (كيل السندرة) القتل الذريع.

فَقَامَ مَنْ بَقِيَتْ فِي كَفِّهِ فَضْلَةٌ  
وَهَكَذَا اِنْتَعَشَتْ بَعْدَ الْخُمُودِ كَمَا  
هَبُّوا لِنَجْدَتِهَا، لَكِنَّهُمْ عَجَزُوا  
وَقَامَ أَصْحَابُهَا يَرْجُونَ نَجْدَتَهَا  
وَعَارَضَتْ دَوْلَةُ الطُّغْيَانِ مَدَّ خُطُوبِ  
كَيْ لَا يَكُونَ لَهَا حَظُّ الْكَرَامِ وَلَا  
وَسَوَّدَتْ خَائِنًا يَرْجُو تَمَلُّقَهَا  
مُسْتَأْسِدًا كَالَّذِي يَسْعَى لِنِعْمَتِهِمْ  
لَكِنَّهُمْ ، قَدْ سَعَوْا فِي ضَعْفِهِمْ وَبَنَوْا  
فَزَيْتُهُمْ قَدْ غَدَا فِي الْكُونِ قَاطِبَةً<sup>(4)</sup>  
أَبْطَالُهُمْ فِي غَمَارِ الْحَرْبِ قَدْ بَرَعُوا  
وَبَعْدَمَا أَهْمَلَ الْمُحْتَلُّ صِحَّتَهُمْ  
قَامُوا يَرُومُونَ مُسْتَشْفَى يُعَالِجُهُمْ

يَرْجُو مُشَارَكَةَ الْإِخْوَانِ فِي الْخَيْرِ  
يَحْيَا اللَّهَيْبُ بِنَفْخِ مَنْ فَمِ الْكَبِيرِ  
لَهْفِي عَلَى مَا جِدَّ فِي الْعَجْزِ مَأْسُورِ!  
بِذَلِّ مَا قَدَرُوا مِنْ التَّدَابِيرِ  
طِلْقَ طَارِبِهَا رَغَمَ التَّقَارِيرِ  
يَبْقَى لِسَاكِنِهَا غَيْرُ الْمَحَاقِيرِ  
فِي قَوْمِهِ نَاهِدًا مِثْلَ الْعُضَافِيرِ  
وَمَارِغًا أَنْفَهُ قُدَّامَ عَثُورِ  
ذِكْرًا سَرَى نَشْرُهُ فِي كُلِّ مَعْمُورِ  
أَعْلَى الزُّيُوتِ وَأَعْلَى فِي الْمَقَادِيرِ  
فِي دَفْعِ عَادِيَةٍ أَوْ نَصْرِ مَقْهُورِ<sup>(5)</sup>  
وَصَارَ مَرْضَاهُمْ فِي شِدَّةِ الضَّرِيرِ  
يَبْنُونَ حِيطَانَهُ بِالصَّخْرِ وَالْجَبْرِ<sup>(6)</sup>

(4) إشارة إلى حصول «المنستير» على الجائزة الأولى في المعرض العالمي بـ«نيويورك» سنة 1922. (م. أرشيف بلدية المنستير). (5) إشارة إلى بعض أبطال «المنستير» الذين جندهم «فرنسا» في الحرب العالمية الأولى ضد أعدائها وسقطوا شهداء منهم «عامر بوزقرو» سنة 1916 وقد أقام له المجلس البلدي حفلا تذكاريًا لتأبينه. (م. محاضر جلسات بلدية المنستير). (6) فعلا بني هذا المستشفى على أرض «سانية الساقوسي» باتفاق رئيس البلدية العامل «الطاهر العجمي» و السيد رئيس جمعية الأوقاف أمام الباي «محمد الناصر» سنة 1905 ووقع تدشينه سنة 1911 وهو المستشفى الجامعي الحالي، وألف الشيخ «محمد مخلوف» بالمناسبة كتابه «المازيرية» الذي قام بطبعه فيما بعد المرحوم «عبد الله الزناد» ، وبقيت إدارة المستشفى بيد البلدية إلى سنة 1959 ، حيث تم تعويضه مع الدولة بمساكن الشكنة. (م. 20).

حَتَّى اشْمَخَرَّ وَبَاتَ النَّاسُ فِي فَرَحٍ      بِحِفْظِ صِحَّتِهِمْ مِنْ كُلِّ تَغْيِيرٍ  
وَصَارَ جِرْأَتُهُمْ يَبْغُونَ عِنْدَهُمْ      دَفْعًا لَأَذْوَائِهِمْ وَكُلَّ مَحْذُورٍ  
وَصَارَ تَعْلِيمُهُمْ مَسْخًا لِشَخْصِيَّةِ      لَمْ تَنْفَصِمِ أَبَدًا طُولَ الْأَعَاصِيرِ  
فَالضَّادُّ فِي مَكْتَبِ التَّعْلِيمِ مُهْمَلَةٌ      لَمْ تَحْظَ فِي صَفِّهِ بِأَيِّ تَقْدِيرٍ  
وَالنَّاسُ إِنْ حَنَقُوا لَا يَمْلِكُونَ سِوَى      حِفْظِ الْحَيَاةِ وَلَوْ فِي بَعْضِ تَكْدِيرٍ  
ذَلَّتْ نُفُوسُهُمْ وَانْقَادَ أَكْثَرُهُمْ      لِلْوَاقِعِ الْمُرِّ مِنْ قَهْرٍ وَغَشْمِيرٍ<sup>(7)</sup>  
وَالدِّينُ يَرْزَحُ تَحْتَ الْفَقْرِ طَالِبُهُ      وَالْجَهْلُ عَمَّ جَمِيعَ النَّاسِ بِالضَّرِيرِ  
حَتَّى الشَّهَادَةُ أَضْحَى نُطْقُهَا عَسْرًا      كَأَنَّ قَائِلَهَا قَدَامَ مَحْضُورٍ<sup>(8)</sup>  
فَقَامَ «عُثْمَانُ»<sup>(9)</sup> فِي وَجْهِ كَيْسَتِهِمْ      وَشَادَ مَدْرَسَةَ الْقُرْآنِ وَالْخَيْرِ  
فَجَذَرَ الطِّفْلُ فِي الدَّرْسِ عُرُوبَتَهُ      مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْتَقِيَ فِي «جَامِعِ الثَّوْرِ»<sup>(9)</sup>  
غَذَى الْفَوَادِ بِإِخْلَاصٍ لِمَوْطِنِهِ      حَتَّى غَدَا مُدْرِكًا زَوَرَ الزَّعَارِيرِ<sup>(10)</sup>  
لَكِنَّهُمْ نَكَبُوا فِي هَذَمِ مَرَفَاتِهِمْ      وَخَافَ مُوسِرُهُمْ مِنَ الْعَوَاقِيرِ

(7) الغَشْمِير: الشدة، أخذته بالغشمير أي بالشدة (8) المحضور هو الذي نزل به الموت أي في حالة احتضار.  
(9) «عثمان» هو «الحاج عثمان هنية» من سكان «الباب الغربي» ولد حوالي 1845، أسس مقر «المدرسة القرآنية»  
أمام الكنيسة بـ«الربط» سنة 1918م وحسبها للتعليم القرآني واللغة العربية، ولعل من طريف ما ورد في نص التحجيس  
أن المحجس اشترط أن يقرأ التلاميذ كل يوم سورة «الإخلاص»، فكان مديرها الأول المرحوم الشيخ «محمود  
عباس»، ومديرها الأخير المرحوم «محمد الهادي العامري»، حيث وقفت عن التدريس في أكتوبر 1958؛ وعمر  
«الحاج عثمان» 80 سنة وتوفي في 30 أكتوبر 1925م وسجل وفاته المرحوم الشيخ «محمد صالح عباس». ويظهر  
أن المدرسة أسستها سنة 1909 جمعية القلة في مكان آخر وانتقلت لهذا المكان بعد أن حبسه الحاج عثمان (م. 5 و 4).  
(10) «جامع النور» المقصود به جامع الزيتونة المعمور وفروعه ومنها فرع المنستير (11) زور الزعاريير: ميل واعوجاج،  
والزعاريير (جمع زعرور) الرجل البسيء الخلق.

فَطَالَبُوا أَنْ يُقَرُّوا فِي مَدِينَتِهِمْ سِيَاحَةً<sup>(12)</sup> عَلَّهَا تَأْتِي بِتَوْفِيرٍ  
فَأَسَّسُوا ثَكْنَةً فِي جَنْبِهَا غُرَزَتْ لِقَمْعٍ سُكَّانَهَا بِالْقَهْرِ وَالْجُورِ  
وَحَارَبُوا دِينَهَا بِكُلِّ مَخْبِثَةٍ بِدَعْمِ حَائِثَاتِهَا أَوْفَتْحَ مَاخُورٍ  
حَتَّى يَمِيعَ شَبَابُ الْمُسْلِمِينَ وَتَخْشَبُو نَخْوَةً فِيهِمْ فِي إِثْرِ تَخْدِيرِ  
بَيْنَ الرِّبَاطِ وَبَيْنَ الْجَامِعِ انْتَصَبَتْ دُورُ الْخِنَاءِ بِتَشْجِيعٍ وَتَأْطِيرِ  
لِلَّهِ كَيْفَ التَّقَى طَهْرٌ بَعْهَرٍ بِسَا حِ الْمُسْلِمِينَ، فَضَاعَ الْبُرُّ فِي الزَّرِيرِ

(12) بعد أن هدم «الألمان» «ميناء الغدير» أثناء الحرب العالمية الأولى، و بعد رفض سلطات الاحتلال مرور السكة الحديدية منذ 1907م طالب المجلس البلدي بإقرار «المنستير» مدينة سياحية منذ 1922م ، بعد تهئية «طريق القراعية» عن طريق السخرة البلدية (أي تسخير التاس للعمل بدون أجر) سنة 1919م فلم تقع الإجابة بل تم انتزاع أراضي «الحماري» من أصحابها عنوة لبناء ثكنة للحرس المتحول سنة 1932م (م. 20. أرشيف بلدية المنستير) هذه الثكنة هي الآن مقر العيادات الخارجية وكلية الطب ، وقد عملت قبل ذلك مدرسة لترشيح المعلمين .



## حادثة التجنيس

وَنَازَعَ الْبَدُو فِي حَقِّ التَّمْلِكِ فِي  
وَأَصْدَرَ الْحَاكِمُ الْحُكْمَ الظُّلُومَ بِمَا  
وَلَمْ يَكُنْ حُكْمُهُ إِلَّا مُرَاكَنَةً  
وَالصَّدْرُ ضَاقَ بِمَنْ قَدْ جُرِّعَتْ غُصَصًا  
مُنْذُ الْقَلِيمِ بَنَى الْأَبْنَاءَ عِزَّهُمْ  
فَالْعِزُّ لَا يُشْتَرَى إِنْ ذَلَّ صَاحِبُهُ  
فَثَارَ فِي صَدْرِهَا كَالْقَدْرِ مِنْ غَضَبٍ  
لَا لَا «فرنسا»، فَإِنَّ الشَّعْبَ مُنْطَلِقٌ  
هَذِي مُظَاهَرَةً بِالْعُنفِ قَدْ وَصِمَتْ  
فَاعْلَقُوا بِأَبَهُمْ فِي وَجْهِ مَنْ عَمَدُوا  
وَقَاطَعُوا مَكْتَبَ التَّعْلِيمِ عَنْ ثِقَةٍ  
وَمَاتَ طِفْلٌ أَبُوهُ كَانَ مُعْتَنَقًا  
هَزَّتْهُمْ نَحْوَةُ الْإِسْلَامِ أَنْ يَقِفُوا  
فَاسْتَنَجَدَ الْوَالِدُ الْمَغْبُوتُ شُرْطَتَهُمْ  
أَنْ يَذْفِنَ الْمَيِّتَ طُغْيَانًا بِمَقْبَرَةِ الْإِسْلَامِ مُجْتَرِفًا كُلَّ الْمَعَايِرِ

إِنْزَالِ رَاتِعِهِمْ عُشْبَ الْهَنَاشِيرِ  
يَقْضِي بِتَمْلِكِهِمْ بِالْعَدْرِ وَالزُّورِ  
مُخَالَفًا شَرْعَهُ، بِكُلِّ تَزْوِيرٍ  
وَالْعِزُّ يَدْفَعُهَا : « قَوْمِي ! أَلَا تُورِي !  
فَانتَهَجِي نَهْجَهُمْ، فِي دَرَبِهِمْ سِيرِي !  
وَالْمَوْتُ أَخَذَهُ فِي الشَّرِّ وَالْخَيْرِ .  
يَعْلِي وَيَعْلُو لَطَى إِلَى الْمَنَاخِيرِ  
فِي رَدِّ قَمْعٍ بِأَصْلَابِ السَّمَاهِيرِ  
مِنْ بَعْدَانِ يَسُوءُ مِنْ رَدِّ «هَنْشِير» (1)  
إِلَى افْتِكَكِ حُقُوقِهِمْ بِتَزْوِيرٍ  
بِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلَى التَّعَابِيرِ  
جَنَسِيَّةَ الظَّالِمِ الْمَوْسُومِ بِالْجُورِ  
كَيْ يَمْنَعُوا دَفْنَهُ جَنْبَ الْمَعَايِرِ  
فَأَمْسَكُوا يَدَهُمْ عَنْ خَرَقِ هَجِيرٍ (2)  
أَنْ يَذْفِنَ الْمَيِّتَ طُغْيَانًا بِمَقْبَرَةِ الْإِسْلَامِ مُجْتَرِفًا كُلَّ الْمَعَايِرِ

(1) هو «هنشير دخيلة العلالشة» الذي كان من أملاك «قلة المنستير» ثم ادعى ملكيته بعض الأعراب فحكم سنة 1905 م لفائدة «جمعية القلة» ؛ ولكن في المحكمة المختلطة سنة 1932 م حكم بتسجيله لفائدة الأعراب . وأثار هذا حفيظة المنستريين . (م. أرشيف جمعية القلة بالمنستير). (2) «الهجير» هو الذآب والعادة.

فَالدَّنُ فِيهَا لِمَنْ حَادَتْ عَقِيدَتُهُ  
وَالطُّفْلُ شَرْعًا عَلَى أَشْرَاطِ وَالِدِهِ  
وَحَابَ مَأْمُولُهُ، فَعَاجَ يَطْلُبُهُ  
فَمَا رَأَى مَانِعًا وَاخْتَارَ فِي صَلَفِ  
وَجَاءَهُ مَلَأَ مِنْهُمْ يُحَذِّرُهُ  
فَزَادَهُ أَنْفًا تَحْذِيرُهُمْ وَأَبَى  
لَكِنَّ أَبْطَالَهَا لَمْ يَذْعَنُوا وَبَدَتْ  
لَمَّا رَأَى الْأَمْرَ قَدْ دَارَتْ دَوَائِرُهُ  
ضَاقَتْ بِهِ سُبُلُ التَّفَكِيرِ فِي وَجَلِ  
وَخَافَ مِنْ صَوْلَةِ الْأَحْرَارِ تَأْخُذُهُ  
فَجَاءَهُ مَدَدٌ مِنْ جَيْشِ سَيِّدِهِ  
بِالْحُمُقِ أَشْعَلَهَا حَرْبًا مُؤَجَّجَةً  
سِلَاحُهُ مِنْ حَصَى لَا نَصَرَ يُؤْمَلُ مِنْهُ غَيْرَ أَنَّهُ تَغْيِيرُ النَّحَارِيرِ  
رَامُوا تَأْخِرَهُ فَأَمْطَرُوا مَطَرًا  
«فَرِيش»<sup>(6)</sup> أَطْلَقَ نَارًا مِنْ مُسَدَّسِهِ  
مُحَجَّرٌ بِنُصُوصٍ دُونَ تَحْوِيرِ  
مَا دَامَ لَمَّا يَصِلُ لِسِنٌ تَخْيِيرِ  
مِنْ عَامِلٍ<sup>(3)</sup> جَائِرٍ بِالْحَقْدِ مَغْيُورٍ<sup>(4)</sup>  
رُكُوبَ جَامِحَةٍ فِي حُمُقٍ مَشُورِ  
مِنْ قُبْحٍ فَعَلَّتِهِ أَوْ سُوءِ تَقْدِيرِ  
إِلَّا مُكَابِرَةً فِي طَيْشٍ مَغْرُورِ  
فِيهِمْ مُنَاجَزَةً الْغُرِّ الْعَنَاتِيرِ  
وَبَاتَ مُرْتَقِبًا وَفَوْعٌ مَحْذُورِ  
وَخَافَ مِنْ حَادِثٍ يُنْبِي بِتَغْيِيرِ  
نَادَى بِوَيْلٍ وَإِثْعَاسٍ وَتَشْيِيرِ  
فِي أَهْبَةِ اللَّقَا مِنْ مَدْرَجِ السُّورِ  
قَدْ خَاضَهَا الشَّعْبُ مَكْشُوفَ الْمَنَاحِيرِ  
مِنْ الْحَصَى كَالْمَطَارِيدِ الْمَهَازِيرِ<sup>(5)</sup>  
فَطَاحَ «شُعْبَانُ»<sup>(7)</sup> فِي فُؤَارِ نَاعُورٍ<sup>(8)</sup>

(3) هذا العامل هو «حسن السقا» عامل «المنستير». (م.4). (4) «مغيور» مسقي بلبن «الغيار» وهو لبن الأم الحامل يطفل جديد وهو لبن ضار حسب تقاليد العائلة التونسية. (5) «المهازير» جمع «مهزور» وهو المطرود المنفي. (6) «غريش» أو «فريش» هو قائد فرقة المشاة الفرنسية بـ«قشلة قصر الرباط» 1933 م. (م.4). (7) هو «شعبان بن صالح البحوري يدعى حروفشة» أول شهداء التحنيس في 7 أوت 1933 م. (م.4). (8) «الناعور» هو العرق الفائز من الدم.

تَرَاجَعَ النَّاسُ بِالتَّدْرِيجِ حَتَّى خَلَتْ  
وَسَادَ مِنْ بَعْدَهَا جَوُّ الْكَاتِبَةِ فِي  
وَأُعْلِنَتْ حَالَةُ الْحِصَارِ وَ انْطَلَقَتْ  
مَحَاكِمُ نُصَيْبَتِ تَدِينٍ مَنْ عَمَدُوا  
تَأَثَّرَ النَّاسُ بِالْأَحْدَاثِ فَاثْدَفَعُوا  
فَاضْطُرَّتِ السُّلْطَاتُ أَنْ تَقُومَ بِمَا  
وَحَارَّ أَشْيَاخُهَا فِي حُلِّ مُعْضِلِهَا  
«فَرِيشُ» يُبْعَدُ لِلصَّخْرَاءِ مُتَبَذًّا  
وَلِيُطْلَقَ الْآنَ مَنْ تَمَّ أَتْهَامُهُمْ  
وَجَاءَهُ خَبْرٌ بِالْعَزْلِ فَاثْعَرَسَتْ  
لَمْ يَسْتَطِعْ هَضْمُهُ فَانْهَارَ مُتَحَرِّجًا  
وَقَامَ نُخْبَتُهُمْ بِالشُّكْرِ تَرْفَعُهُ  
قَادَ «الْحَبِيبُ»<sup>(9)</sup> خُطَاهُمْ فِي مُخَاطَبَةٍ  
لَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يُعْجِبْ غَرَانِطَةً<sup>(10)</sup>  
فَوَجَّهُوا لَوْمَهُمْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ  
فَانْشَقَّ عَنْهُمْ وَ فِي الْأَعْمَاقِ مَوْجِدَةٌ

لِلْقَبِّ<sup>(9)</sup> مَقْبَرَةٌ ذَلَّتْ بِمَقْبُورِ  
أَرْجَائِهَا مُنْذَرًا بِشَرِّ مَطُورِ  
حَمَلَاتُ قَمْعٍ وَ تَمْشِيطُ وَ تَطْهِيرِ  
أَوْ كَانَ مُشْتَبِهًا فِيهِمْ بِتَوَغِيرِ  
تَضَامُنًا فِي مَسِيرَاتِ وَ تَشْهِيرِ  
يَمْتَصُّ فِي رَأْيِهَا غَيْظُ الْجَمَاهِيرِ  
وَانْزَاحَ آخِرَهَا غَيْمُ الدِّيَاجِيرِ  
تَخْبُو بِبُعْدِهِ ثَارَاتُ لَمُوتُورِ  
وَلِيُعْزَلَ الْعَامِلُ الْمَافُونُ بِالضَّرِ  
فِي قَلْبِهِ شَوْكَةٌ كَوْقَعِ سَاطُورِ  
وَكَانَ فِي نَعْيِهِ أَحْلَى التَّبَاشِيرِ  
لِلْبَايِ عَنْ ثِقَةٍ فِي الْعَدْلِ وَ الْخَيْرِ  
هَشَّ لَهَا الْبَايُ مَبْسُوطِ الْأَسَارِيرِ  
غَابَتْ عَلَيْهِمْ أَسَالِيبُ الْعَبَاقِيرِ  
لِلْكَاتِبِ الْعَامِ<sup>(12)</sup> تَلْوَِيْحًا بِتَحْذِيرِ  
خَوْفِ انْزِلَاقٍ إِلَى شَرِّ الْمَحَازِيرِ

(9) «القب» هو رئيس القوم الذي مدار أمرهم عليه، نقول في المستتر «أبي قب» ونقصد «السيد» استهزاء. (10) هو الزعيم الحبيب بورقيبة. (11) هم أعضاء الحزب الحر الدستوري القديم وسموا هكذا لأن مقرهم كان بنهج غرناطة بالعاصمة. (12) كان الحبيب بورقيبة الكاتب العام للجنة التنفيذية للحزب آنذاك.

وَقَامَ يَدْعُو لِتَجْدِيدٍ وَتَعْبِيَةٍ  
 مِنْ بِلْدَةٍ وَسَمَتْ مِنْ يَوْمٍ أَنْ بُنِيَتْ  
 إِسْلَامُهَا مَالِكِيٌّ فِي تَفْتُّحِهَا  
 فَكَانَ مَا كَانَ مِنْ عَسْفٍ وَعَطْرَسَةٍ  
 حَتَّى غَلَى غَضَبٌ فِي قَلْبٍ مَنْ أَنْفُوا  
 فَأَشْعَلُوا نَارَهَا فِي كُلِّ مَنْطِقَةٍ  
 لِلْحَرْبِ صَارُوا دُعَاةَ رَغَمِ قَلْبِهِمْ  
 وَالْأَمْنُ ضَاعَ، وَعَادَ الْقَوْمُ فِي خَطَرٍ

لِخَوْضٍ مَعْرَكَةٍ مِنْ أَجْلِ تَحْرِيرِ  
 بِنَصْرَةِ الْحَقِّ أَوْ تَعْزِيرِ مَحْقُورِ  
 لِسَائِهَا ذَرْبٌ، وَالْحِزْبُ دُسْتُورِي  
 وَكَانَ مَا كَانَ مِنْ نَفْيٍ وَتَهْجِيرِ  
 أَنْ يَرَكُونُوا فَرَقًا لِلظُّلْمِ وَالزُّورِ  
 وَهَبَّ أَبْطَالُهَا فِي قَفْزِ سَابُورِ  
 حَرْبُ الْعِصَابَاتِ مِنْ خَيْرِ التَّدَابِيرِ  
 وَالشَّعْبُ مُضْطَرِبٌ وَالْكُلُّ فِي الضَّيْرِ

## ليلة الرعب

فِي لَيْلَةِ الرُّعْبِ <sup>(1)</sup> وَالْإِظْلَامِ مُنْعَقِدْ دَوْتَ بَنَادِقُهَا مِنْ أَسْطَحِ الدُّوْرِ  
مِنْ دُغْرِنَا عُقِدَتْ أَفْوَاهُنَا فَرَقًا خَلْنَا الْفَنَاءَ أَتَى وَ نَفْخَةُ الصُّوْرِ  
فَالرَّعْدُ بَعْدَ الْفَضَا فَوْقَ السُّطُوحِ دَنَا يَهْدُ أَعْصَابُنَا مِنْ دُونِ تَحْذِيرِ  
وَالْبَرْقُ مُسْتَسْلِمًا خَلَّى الطَّرِيقَ إِلَى بَارُودِهِمْ قَائِلًا: «لَيْسَتْ أَعَاصِيرِي؟  
تَوَمَّاضُ بَارِقَتِي بُشْرَى وَلَيْسَ نَذِيرُ الشُّؤْمِ فِي الصَّيْفِ، لَأَلَيْسَتْ تَبَاشِيرِي»  
فَالنَّاسُ قَدْ ضَجَرُوا مِنْ جَوْرِ ظَالِمِهِمْ أَلْقَى مَقَانِعَهُ عَنْ وَجْهِ مَسْعُورِ  
«الْثَّاورِي» <sup>(2)</sup> سَطَا فِي الشَّعْبِ يُرْجِفُهُ

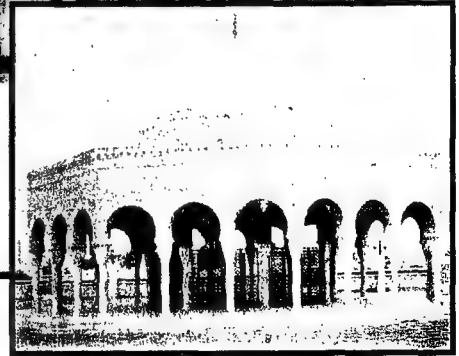
يَرْجُو حَذَلَّتْهُ بِالْعَسْفِ وَالْجُورِ  
فَهَذِهِ غُضْبَةٌ حَمْرَاءُ مَا فِتْنَتْ تَغْتَالُ مَنْ يَنْتَمِي لِلْحِزْبِ دُسْتُورِي  
وَتِلْكَ شِرْذِمَةٌ بِالْعَدْرِ قَدْ وُسِمَتْ بَاعَتْ ضَمَائِرَهَا مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرِ  
فَهَبَّ أَحْرَارُهَا لِلذُّودِ عَنْ حُرْمِ فِي دَوْسِهَا الْمَوْتُ أَهْوَنُ الْمَحَازِيرِ  
وَجَنَدُلُوا حَرَسًا قَدَامَ ثَكْنَتِهِ كَيْ يُوقِظُوا نَائِمًا عَنْ حَقِّ مَقْهُورِ  
كَانُوا بَعُوهَا أَحَدَ الْبَاغِينَ عَنْ ثِقَةٍ مِنْ أَنْ فِي قَتْلِهِ أَجْلَى التَّعَابِيرِ

(1) «ليلة الرعب» هي ليلة من ليالي «المنستير»، التاريخية بالتحديد في 31 أوت 1953 وقد غلى مرجل الحقد بين التونسيين والمستعمرين فهاج هائج الحرس المتحوّل وزرع الرعب في المدينة وقتل غدرا أربعة من خيرة أبنائها (الحاج سعيد المرشاي وأحمد الغندري ومصطفى بن جنات وعبد السلام ترمش. (2) الثَّاورِي هي الكلمة الشعبية التي تطلق على الأجانب الأوروبيين وهي من كلمة «guerrier» محارب حيث ليس لنا تاريخ مع أوروبا إلا الحرب.

وَالْعُنْفُ حَلَّ مَحَلَّ الرِّقِّ فِي غَضَبٍ  
 هَاجَ الْبُغَاةُ وَرَامُوا كَسَرَ شَوْكَتِهَا  
 وَأَشْعَلُوا نَارَهَا وَالْحَرْبُ جَارِفَةٌ  
 وَأَنْهَارَ مِنْ خَيْرَةِ الْأَبْنَاءِ أَرْبَعَةٌ  
 إِيْنَيْنِ قَدْ جَنْدَلُوا<sup>(3)</sup>، وَالْبَابُ<sup>(4)</sup> يَشْهَدُ أَنْ  
 وَوَاحِدًا غَدَرُوا<sup>(5)</sup> فَانْهَارَ وَاحْتَفَرَتْ  
 وَوَاحِدًا جَرَجَرُوهُ<sup>(6)</sup> خَلْفَ مَرْكَبَةٍ  
 فَاسْتَبَلَتْ فَاحِمَ الْأَنْوَابِ مِنْ ثَكَلٍ  
 مَا أَسْفَرَ الصُّبْحُ حَتَّى هَبَّ نَائِرُهَا  
 يَسْعَوْنَ فِي حَرَدٍ وَ الْفِكْرُ مُشْتَغَلٌ  
 وَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ فِي السَّرِّ وَاقْتَنَعُوا  
 أَنَّ الْخَلَاصَ رَهْنُ الصَّبْرِ فِي ثِقَةٍ  
 «أَكُونُ أَوْ لَا أَكُونُ» تِلْكَ مَسْأَلَةٌ  
 وَالْآنَ «يَهْنَفُ مَنْ يَبْقَى لِأَخْرِهَا»  
 وَجَاهَرُوا عَلَانًا بِكُلِّ مَسْئُورٍ  
 كَأَنَّمَا قَدْ خَشَوْا مِنْ سَطْوِ مَذْخُورٍ  
 فِي سَيْرِهَا لَا تَسْرَى حَقًّا لِمَبْرُورٍ  
 فِي سَطْوَةِ الْقَهْرِ وَ التَّعْذِيبِ وَالزُّورِ  
 قَدْ أَسْرَفُوا وَ أَتَوْا فِعْلَ الْجَبَابِيرِ  
 أَظْفَارُهُ أَثَرًا فِي الصَّخْرِ وَالْجِيرِ  
 تَجْرِي بِهِ فَعْدَاصِنُوا لـ «هَكْتُور»<sup>(7)</sup>  
 أَنْتِ، وَصَاحَتْ، وَدَقَّتْ صَدْرَ مَوْثُورٍ  
 فِي غَضَبِ الْأُسْدِ إِذْ غِيْظَتْ بِتَخْفِيرِ  
 بِالرَّدِّ فِي دَقَّةِ الشَّمِّ الذَّوَاكِرِ  
 مِنْ بَعْدِ أَنْ قَلَّبُوا وُجُوهَ تَفْكِيرِ  
 بِمَنْهَجِ الْقَادَةِ الْغُرِّ النَّحَارِيرِ  
 قَدْ خَاضَهَا قَبْلُ أَبْطَالُ «شِكْسِيرِ»  
 لَا بُدَّ لِلْقَيْدِ مِنْ فَكٍّ وَتَكْسِيرِ

(3) هما أحمد الغندري وعبد السلام ترمش. (4) الباب هو باب السور أو باب البحر كان أمام البلدية وهو أحد أبواب المدينة الأصلية. (5) هو مصطفى بن حسين بن جنات (6) هو الحاج سعيد المرشاوي، وقد خرجت به مركبة الجيب من «مركز الجندمة» مركز حرس المرور الآن أمام المستشفى، وجرته به «طريق الكورنيش»، وانفلقت رأسه في «دويرة زهرة» قرب «برج القلب» (7) «هكتور» هو فارس طروادة وسيدها الذي قاوم اليونانيين وقُتل في ساحة الشرف وجرّت جثته جراً وراء المركبة كما وقع جَرَّ «الحاج سعيد المرشاوي» حياً وراء سيارة «جيب» حتى مات وهذا أفظع مما وقع لـ «هكتور».

فَلَمْ يَكُنْ أَمْرُهُمْ فِي صَبْرِهِمْ وَهَنًا  
وَقَامَ مِنْ سَعْدِهَا مَا كَانَ مُنْكَفِتًا  
هَذِي «الْمُنْسْتِيرُ» فِي الْحَقِّ مَلَا حِمَّهَا  
لَكِنَّهَا لَمْ تَقْعَ فِي فَخِّ غَادِرِهَا  
أَلْقَتْ بِسَبْعِ حُصَيَّاتٍ وَرَاءَهُ كَيَّ  
وَأَلْبَسَتْ حُلَّةً زَادَتْ مَفَاخِرَهَا  
وَهَذِهِ تُبَدِّدُ مِنْ بَعْضِ مَا تَرَكُوا  
قُمْنَا بِتَسْجِيلِهَا خَوْفَ الدُّثُورِ فَمَا  
لَا! الْبَابُ يَشْهَدُ إِنَّ الْكُلَّ مُنْذَرٌ  
بَلْ صَرَّةَ الْفَوْزِ مِنْ قَبْلِ النَّبَاشِيرِ  
وَشَعَّ فِي جَوِّهَا عَيْقٌ مِنَ الثُّورِ  
فَاقَتْ بِرَوْعَتِهَا «عَلِيُونَ هُومِيرُ»<sup>(8)</sup>  
بَلْ أَخْرَجَتْ غَارِيًّا فِي حُسْنِ تَدْبِيرِ  
لَا يَرْتَبِي عَوْدَةً مِنْ بَعْدِ تَهْجِيرِ  
مِنْ بَعْدِ إِعْسَارِهَا فِي الْأَعْصُرِ الْقُورِ  
يُعْزِي مُبَيِّنُهَا لِكُلِّ تَقْصِيرِ  
تُعْنِي الْمَعَالِمُ مِنْ دُونِ الْمَحَابِيرِ  
وَاللَّهُ وَحْدَهُ يَبْقَى دُونَ تَغْيِيرِ



(8) «عليون هومير» Illion de Homère وهي «طروادة» التي كتب فيها الشاعر «هوميروس» إلياذته.

## خاتمة

فِي حُبِّ مَنْ تَيَّمَتْ قَلْبِي بِنُضْرَتِهَا  
فِي قُرْبِهَا نَصَبٌ، فِي بُعْدِهَا تَعَبٌ  
عُمْرِي انْقَضَى وَمَضَى لَمْ أَجْنِ فِيهِ رِضًا  
وَالْحُبُّ لَوْ وَصَفَ الْعُشَّاقُ مَا بَلَّغُوا  
لَوْلَا الْأُولَى سَبَقُوا قَدْ شَاعَ ذِكْرُهُمْ  
مَهْمَا يَكُنْ لَا عَجُ الْأَشْوَاقِ مُتَقَدِّمًا  
أَمَّا حَبِيبَةُ قَلْبِي فَالْهَوَى نَشَقُّ  
فَالْأَفْقُ يَمْلُؤُهُ سِحْرٌ إِذَا عَبَقَتْ  
أَوْ رَفَّةٌ مِنْ جَنَاحٍ وَقَعَتْ نَعَمًا  
أَوْ مَوْجَةٌ عَزَفَتْ لَحْنُ الزَّمَانِ عَلَى  
تَرْوِي حَكَايَا قُرُونِ الْمَجْدِ إِذْ عَبَرَتْ  
يُنْبِيكَ عَنْ صِحَّةِ الْأَخْبَارِ حَاضِرُهَا  
اسْمُ «الْمُنْسْتِيرِ» يَأْتِي الْأُذُنَ يَجْعَلُهَا  
كَمْ مَرَّةً رَاعَنِي نَجْلِي بِصِيْحَتِهِ  
«هَذَا الْهَتَافُ لِمَنْ؟» فَقَالَ مُبْتَسِمًا:  
جَمْعِيَّةٌ رَفَعَتْ رَأْسَ الرِّيَاضَةِ فِي  
أَلُومُهُ وَأَنَا فِي دَاخِلِي جَذِلٌ

لَمْ أَجْنِ إِلَّا خَيَالَاتِ السَّمَادِيرِ  
فِي حُبِّهَا عَجَبٌ فَوْقَ التَّعَابِيرِ  
غَيْرَ الْحَنِينِ إِذَا جَتَّ دِيَاجِرِي  
بَعْضَ الَّذِي قَدْ سَبَّأَنِي وَتَفَكِيرِي  
فِي الْحُبِّ، كُنْتُ أَنَا أُولَى الْمَذَاكِرِ  
لَا يَعْتَصِي أَبَدًا عَنْ حُسْنِ تَصْوِيرِ  
مِنْ رِيحِهَا قَدْ سَمَاعَنْ كُلُّ تَقْدِيرِ  
أُغْنِيَةً بِشَذَى مِنْ شَدْوِ عُصْفُورِ  
بَاتَتْ تُرَدِّدُهُ أَوْ تَارُطُنْبُورِ  
قِيَارَةَ الرَّمْلِ فِي شَاطِي «الْمُنْسْتِيرِ»  
مِنْ سِحْرِهَا قَدْ بَدَتْ مِثْلَ الْأَسَاطِيرِ  
يَحْكِيهِ فِي رَوْعَةٍ مِنْ غَيْرِ تَرْوِيرِ  
تَقُولُ لِلْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ: «أَنْ طِيرِي!»  
فَقُلْتُ فِي عَجَلٍ مِنْ دُونِ تَفَكِيرِ:  
«لِلْإِتِّحَادِ الرِّيَاضِيِّ الْمُنْسْتِيرِي»  
هَذِي الرُّبُوعُ، وَنَالَتْ كُلُّ تَقْدِيرِ  
فَالِاسْمُ فِي جَرْسِهِ صَوْتُ الشَّحَارِيرِ



فِي وَصْلَةٍ مِنْ تَلِيدِ الْفَنِّ مَا انْقَطَعَتْ  
«جَمْعِيَّةٌ لَصِيَّانَةِ الْمَدِينَةِ» قَدْ  
بِهَا أَسَاتِذَةٌ بِالْحَزْمِ قَدْ وَسَمُوا  
فَكَانَ مَقْصُودُهُمْ نَشْرُ مَفَاخِرِهَا  
وَتَالِدٍ وَتَقُوا أَشْتَبَاتَهُ فَبَدَا  
وَطَارِفٍ حَضَنُوا كَيْلًا يَضِيعُ فَفَا  
فَعَيَّرُوا وَجْهَهَا فِي بَعْثٍ مُنْدَرٍ  
فِي نَشْرِ أَمْجَادِهَا سَارَتْ إِذَا عَثَّتْهَا  
تَغْزُو الْمَسَامِعَ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ فَلَا  
مَسْرَحُهَا «الْبَعْثُ» لِلْأَمْجَادِ مُدْخِرُ  
الْفَنِّ دَيْنُهُ يَسْعَى بِلَا حَرَجٍ  
يَا «مَجْلِسًا بَلَدِيًّا» حُرْتُ مَفْخَرَةٌ  
ابْنِ الْحَضَارَةِ فَلَا أَجْيَالُ قَدْ فَخَرَتْ  
فَذَاكَ تَأْصِيلُهَا ، وَذَاكَ مُنْطَلَقُ  
عَرَجٍ بِهَا صُعْدًا نَحْوَ الْعُلَا فَلَقَدْ  
وَادْخُلَ بِهَا قَرْنٌ تَحْدِيثُ بِلَا مَلَقٍ  
وَاسْتَلَّكَ بِهَا دَرْبٌ مَنْ لَمْ يَرْكُنُوا أَبَدًا  
وَابْنِ الْعَدَا الْمُشْرِقِ الرَّاهِي بِمَا جَمَعَتْ  
فَالسَّرُّ يَكْمُنُ فِي حُبِّ التَّمْيِيزِ لَا

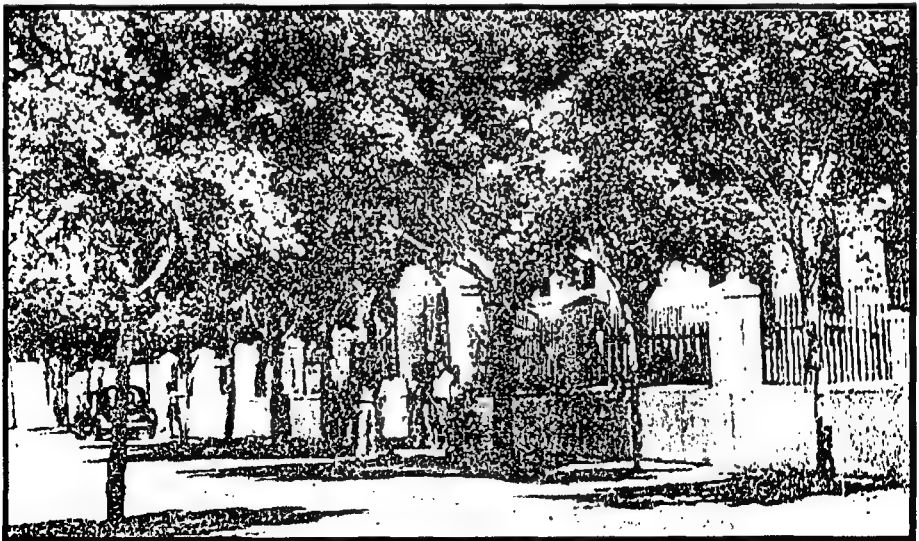
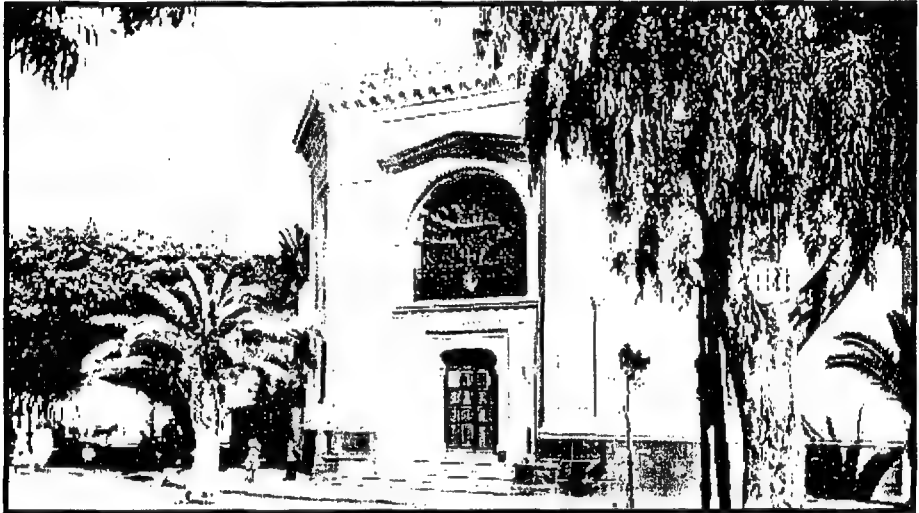
بَاتَتْ تُوثِقُهَا جَمْعِيَّةُ الْخَيْرِ  
آلَتْ عَلَى نَفْسِهَا إِحْسَانَ تَذْيِيرٍ  
مِنْ وَقْتِهِمْ وَهَبُوا لِلْأَهْلِ وَالْغَيْرِ  
مِنْ دَارِسٍ لَمْ يُنَلِّ قَبْلًا بِتَحْفِيرٍ  
كَالْفَجْرِ فِي طَيْهِ سَوَاطِعِ الثُّورِ  
حَتَّى مِنْ عَوَاقِبِهِ أَحْلَى التَّعَاطِيرِ  
وَبَارَكَتْ سَعْيُهُمْ كُلُّ الْجَمَاهِيرِ  
مِنْ ضَبْطِ بَرْمَجَةٍ فِي حُسْنِ تَحْرِيرِ  
يَشْكُونَ مِنْ ثَقَلٍ أَوْ عَوْدٍ تَكْرِيرِ  
كَمْ حَازَ مِنْ شَرَفٍ فِيهِ وَتَقْدِيرِ  
مُجَادِّدًا وَاعِيًا بِكُلِّ تَغْيِيرِ  
فِي وَضْعٍ تَهْيِئَةٍ أَوْ شَرْعٍ تَعْصِيرِ  
بِفِعْلِ أَجْدَادِهَا فِي الْأَعْصُرِ الْقُورِ  
لَقَفْزَةِ الْعَصْرِ فِي تَعْمِيقِ تَحْذِيرِ  
نَلَتْ الرِّضَا، فَاجْتَهَدَ مِنْ دُونِ تَقْصِيرِ  
جَدَّدَ بِهِ فَخْرَهَا فِي عَهْدِ تَغْيِيرِ  
لِلْعَجْزِ فِي سَيْرِهِمْ شَأْنَ الْمَغَاوِيرِ  
مِنْ ثُبُلٍ مَقْصِدِهَا وَحُسْنِ تَسْيِيرِ  
تَقْلِيدٍ مَنْ سَبَقُوا مِنْ دُونِ تَفْكِيرِ

وَذَاكَ مَا سَحَرَ الزُّوَّارَ فَانْجَذَبُوا  
لَا خَابَ مَنْ تَرَكَ الْفَالَازَ مُنْتَزَهَا  
وَذَاكَ الَّذِي شَقَّ بِالرُّتْلِ الْخَفِيفِ شَعَا  
جَوْ الْمُنْسْتَبِرِ يَسْتَهْوِيكَ فِي نَهْمِ  
سَاحَاتِهَا قَدْ غَدَتْ تُغْرِيكَ فِي أَلْقِ  
عِنْدَ الْغُرُوبِ تَرَى جَلَالَ بَهْجَتِهَا  
هَذِي رِيَاضُ بِهَا الْأَشْجَارُ قَدْ بَسَقَتْ  
عِنْدَ الْأَصِيلِ تَرَى فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ  
مُسْتَرَسِلًا فِي نَشِيدِ السَّعْدِ مُدَكِّرًا  
نَوَارِسُ الْبَحْرِ تُمَسِّي عِنْدَ مَوْقِعِهَا  
لَا لَيْسَ مِنْ عَجَبٍ فِي نَوْرَسٍ حَرَسٍ  
أَلَمْ يَقُمْ هَاهُنَا «بُرْجُ» <sup>(2)</sup> أَقَامَ بِهِ

بَطْلَسَمِ الْحُسْنِ مِنْ شُغْلِ السَّوَاخِرِ  
لَمْ يَعْدُهُ الرُّشْدُ فِي أَشْغَالِ تَعْمِيرِ  
بَا فَانْجَلَتْ عَنْ كُنُوزٍ مِنْ مَآثِرِ  
كَالشُّرْبِ عَنْ عَطَشٍ مِنْ رَكْوَةِ الْبِيرِ  
شَعَّتْ وَزَانَتْ بِأَزْهَارٍ وَتَشْجِيرِ  
وَيَسْتَبِيكَ اجْتِمَاعُ اللَّيْلِ بِالنُّورِ  
أَغْصَانُهَا قَدْ أَوَتْ شَتَى الْعَصَافِرِ  
جَوْفًا يُقَامُ عَلَى غُصْنٍ مِنَ الْحُورِ  
أَحْلَى الْأَمَاسِيِّ مَعَ الْغُرِّ الْمَعَاطِرِ  
بِـ«غَارِ قِطْ» <sup>(1)</sup> كَحُرَّاسِ نَوَاطِيرِ  
فِي بَلَدَةٍ رَابَطَتْ طُولَ الْأَعَاصِيرِ  
بَعْضُ النَّوَاطِيرِ مِنْ أَمْثَالِ «مَنْصُورٍ» <sup>(3)</sup>

(1) «غار القِطْ» هو الغار الذي بني على ضفافه «مقهى الفريك» الآن. (2) هو «برج سيدي منصور» ولعله «برج حديجة» الذي ما زالت أسسه قائمة لحد كتابة هذه الأسطر بساحة 3 أوت حاليًا على «غار حديجة» وقد هدم أيام الاستعمار لإنشاء مسلخ، ثم لم يتم هناك بل تم بالقرب منه لأنه كان لا يتسع لهذا النشاط وهذا ما ثبت في محاضر جلسات المجلس البلدي، خلافاً لمن توهم فعله «دار الفريك» على «غار الكحلية» والتي ما زالت أسسها ظاهرة إلى الآن و«الكحلية» نفق تحت الأرض تُقر في الصخر و يظهر أنه كان حماماً بحرياً «لبحر الفريك»، غير أن البعض توهم أنه كان منعزلاً لبعض الرهبان وهذا بعيد حيث إن غرفه لا تسمح بأي نشاط تعبدية مسيحية أو إسلامية. ولا عجب أن يكون فينيقي الأصل جنائزي المقصد إذ به أحواض تسمى «الماجل الكبير والماجل الصغير» جعلت لتحنيط الموتى قبل وضعها في النواويس على عادة شعوب الشرق الأوسط (3) هو «منصور» يزيد المرباط «الذي سبق ذكره في المقدمة.

وَهَاهُنَا جَاشَ صَدْرُ الْحَنِينِ فَقَا  
لَ الشَّعْرَ مُسْتَلْهِمًا سِرَّ الْمَعَاوِيرِ  
أَدِفُوْهَا مَا سَبَّاهُ أَمْ نَسَائِمُهَا  
أَمْ رَصْدُ سَاحِرَةٍ فِي عَيْنِ مَسْحُورٍ؟  
إِنِّي عَشِقْتُ الَّتِي مَا زَالَ يَأْسِرُنِي  
فِي عِشْقِهَا دَنْفٌ رَغَمَ التَّبَاحِيرِ  
إِنْ كُنْتُ مُتَّهِمًا فِي عِشْقِ غَانِيَةٍ  
فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ غَيْرَ «الْمُنْسْتِيرِ».





فِي وَقْفَةِ الْعِشْقِ وَالْإِعْجَابِ هَامَ أَبِي  
وَسَرَّحَ الطَّرْفَ فِي عُرْسِ الْمُنْسْتِيرِ  
هَلْ بَطْلُمُوسُ رَأَى فِي مِصْرَ مِثْلَ أَبِي  
هَذَا الْحَلَالِ مِنَ الْأَجْوَازِ وَالْعُورِ؟

كَلَامُ الْوَحِيدِ الْوَحِيدِ الْوَحِيدِ الْوَحِيدِ

# الفهرس



## فهرس

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
5	فاتحة	38	العهد الرومي
7	الإهداء	40	روسبينا البيزنطية
9	قائمة المراجع	42	ظهور الإسلام
11	مقدمة	43	روسيا تدخل الإسلام
14	العهد البربري	44	تأسيس المنستير
16	العهد الفينيقي	45	بداية الإمارة العربية
17	الدور الإغريقي	48	بداية المراقبة
19	لراجع قرطاج	51	بناء قصر الرباط الكبير
21	العهد الروماني	54	بناء قصر دؤيد (سيدي ذويب)
23	روسبينا القيصرية	56	بناء قصر سهل
24	تنازع الرومان	57	قصر ابن الجعد بالجزيرة
25	حروب العصابات	58	الدولة العبيدية
26	ظهور المسيحية	60	ثورة صاحب الحمار
27	ظهور الزيغ	62	بركة الغدامسي
28	موقف روسبينا	63	بداية الصنهاجين
30	السلاح الأخضر	66	ولاية المعز وبناء قصر السيدة
31	نهاية الرومان	68	الرحفة الأهالية
32	روسبينا في عهد الرومان	70	المنستير الصنهاجية
34	عهد الوندال	72	إمارة تميم
37	نهاية الوندال	75	أطماع النورمان

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
77	زروع السلف حصاد الخلف	115	الدولة المرادية
79	ولاية عليّ بن يحيى بن تميم	118	صراع الأخوين
81	تلاميذ المازري وفتاويه	120	إمارة عليّ المرادي
83	نهاية الصنهاجين	122	عليّ يُعاقب المنستير
85	الموجة المألحة	124	المنستير تناصر مُحمّدا
87	الموجة الحلوة	126	وئام بعد الصّدام
90	بداية الحفصيين	127	نهاية المرادين
92	تأسيس الدولة الحفصية	128	بداية الدولة الحسنية
95	إمارة المؤمنين	131	ولاية عليّ بن حسين
96	الحملة الصليبية	132	المنستير في الدولة الحسنية
97	المنستير الحفصية	137	انحلال الدولة الحسنية
100	نهاية الحفصيين	138	ثورة الساحل
102	استقلال المنستير عن الحفصيين	141	الإستعمار الفرنسي
104	تنازع الإسبان والأتراك	145	حادثة التحنيس
106	الإحتلال الإسباني	149	ليلة الرعب
108	حكم الدايات	152	خاتمة
110	المنستير في حكم الدايات	157	فهرس
113	تدهور الدايات		





## دار سيبويه للنشر والتوزيع

تم سحب 2000 نسخة من هذا الكتاب في طبعة أولى 2006

جميع الحقوق محفوظة

ISBN 9973-130-00-0

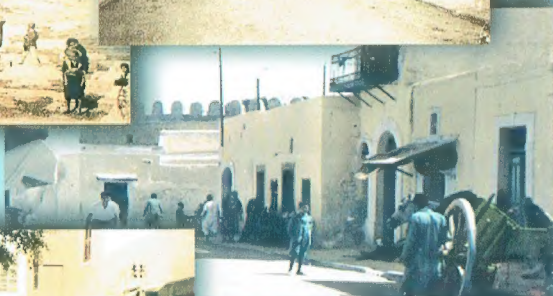
8 بابج الحرم الميمير 5000 تونس

الماتيم و الماتيم 00216.73465253

SIBAWAIH éditions@yahoo.fr

I M S

المطبعة العصرية بالماجل. حياحة



ISBN 978-9973-965-12-7

التمن: 7.600 دت